



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع اللغة والنحو والصرف

مراعاة القلة والكثرة في النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل في القرآن الكريم

رسالة مقدمة لنيل درجة (الماجستير) في النحو والصرف

إعداد الطالب

محمد بن سعيد بن أحمد الزهراني

الرقم الجامعي ٤٣٤٨٨٢٦٠

إشراف سعادة الدكتور

عبد الله بن محمد المسلمي حفظه الله

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَكْتُبُ إِنْسَانٌ كِتَابًا فِي يَوْمِهِ ؛ إِلَّا قَالَ فِي غَدِهِ : لَوْ غَيَّرَ هَذَا لَكَانَ أَحْسَنَ ، وَلَوْ زِيدَ كَذَا لَكَانَ يُسْتَحْسَنُ ، وَلَوْ قُدِّمَ هَذَا لَكَانَ أَفْضَلَ ، وَلَوْ تُرِكَ هَذَا لَكَانَ أَجْمَلَ .

هذا مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَرِ ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِيْلَاءِ النَّقْصِ عَلَى جُمْلَةِ الْبَشَرِ " .

القاضي الفاضل عبد الرَّحِيمِ بن عليّ البيهقيّ

" مِنْ قَرَضِ شَعْرًا أَوْ وَضَعَ كِتَابًا ؛ فَقَدْ اسْتَهْدَفَ لِلْخِصْمِ ، وَاسْتَشْرَفَ لِلْأَلْسِنِ ؛

إِلَّا عِنْدَ مَنْ نَظَرَ بِعَيْنِ الْعَدْلِ ، وَحَكَمَ بِغَيْرِ الْهَوَى ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ " .

العتابي

إهداء

إلى أمي و أبي

مهجة القلب ونبع العطف والحنان ، أهدى لكما هذا البحث ؛ الذي هو ثمرة من ثمار
غراسكما لحب العلم فينا ، وبركة من بركات دعائكما .

فأسأل الله العظيم بفضله ومنه وكرمه أن يوفقني لبركما، وأن يعينني على امتثال ما أمرنا به
في قوله تعالى :

﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]

ابنكما محمد

شكر و عرفان

قال صلى الله عليه وسلم: " لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ " صححه الألباني.
بكل الحب ... إلى رقيقة دربي إلى من سار معي نحو الحلم خطوة بخطوة ، بذرناه معا
وحصدناه معا ؛ إلى زوجتي الغالية أم حسان ؛ لك مني المودة والدعاء .

ومن هذا الباب كذلك ؛ استميتكم عذراً بأن أنسب الفضل لأهله ، وأن أشكر كل من
وقف معي ، وكل من ساهم في هذه الرسالة بمشورة ، أو إبداء رأي ، وعلى رأسهم أستاذي
الفاضل الدكتور/ عبد الله بن محمد المسلمي، الذي تكرم علي بقبول إشرافه على هذه الرسالة،
فلم ييخل عليّ بجهد أو نصيحة، فجزاه الله عني خير الجزاء، ويسعدني أن أتقدم بوافر الشكر
وعظيم الامتنان إلى عُضْوَي لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور / رياض بن حسن الخوام ، والأستاذ
الدكتور/ الحسن السعيد العياشي - وفقهما الله - على ما تفضلا به عليّ بقبول مناقشة
الرسالة ، وبما بذلاه من جهد ووقت في قراءتها وتقويمها ، وبما سيُبدِيانه من إرشادات وتوجيهات
وملاحظات أعتز بها من أستاذين كريمين وأستفيد منها .

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير لهذا الصرح العلمي الشامخ ؛ كلية اللغة العربية بجامعة
أم القرى ممثلة في قسم الدراسات العليا ، ورئيسه الدكتور / إبراهيم بن عبد الله الغامدي ،
والأساتذة الكرام الذين نهلت من علمهم الكثير .

ومما أسعدني وأثلج صدري؛ اهتمام إخوتي وأخواتي وأولادي وأقاربي وزملائي بإنهاء هذه
الرسالة على أكمل وجه ، وسؤالهم الدائم ، ودعاؤهم لي ، فجزاهم الله عني خيراً.

وأخيراً قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: "مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا
فَكَافَيْتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا مَا تُكَافِيُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَيْتُمُوهُ" ، فلذلك أقول لكل من
كانت له يدٌ في عوني أثناء إعداد هذا البحث ، بارك الله فيكم جميعاً ، وجزاكم الله عني خير
الجزاء وأعظمه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ملخص رسالة ماجستير بعنوان :

(مراعاة القلة والكثرة في النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل في القرآن الكريم)
وهي دراسة استقرائية وصفية، تبحث في أثر دلالة جمع ما لا يعقل - قلة وكثرة - على النعت وعود الضمير؛ إذ إن جمع ما لا يعقل يأتي نعتة مفردا وجمعا، وكذلك يعود عليه الضمير مفردا وجمعا، وهذا ظاهر في القرآن، فكانت هذه الدراسة في البحث عن تفسير هذه الظاهرة، وما لها من أثر على تفسير القرآن، وجاءت بعد المقدمة، والتمهيد، في أربعة فصول، وخاتمة، وبيان ذلك :

الفصل الأول: وجاء فيه ما عاد عليه الضمير من جمع ما لا يعقل في القرآن، حيث عاد الضمير مفردا مؤنثا على جمع ما لا يعقل في ستة عشر ومئتي موضع في القرآن؛ كلها دل الجمع فيها على الكثرة، كما عاد الضمير جمعا مؤنثا على جمع ما لا يعقل في تسعة عشر موضعا في القرآن؛ دل الجمع فيها على القلة أو لإنزال جمع ما لا يعقل منزلة العاقل، وعاد الضمير مفردا مذكرا على جمع ما لا يعقل في ثلاثة مواضع في القرآن؛ ليدل على ما يستلزم التذكير، وعاد الضمير جمعا مذكرا على جمع ما لا يعقل في ثلاثة مواضع في القرآن؛ لإنزال جمع ما لا يعقل منزلة العاقل.

الفصل الثاني: وفيه ما جاء منعوتا من جمع ما لا يعقل في القرآن، حيث جاء نعت جمع ما لا يعقل مفردا في خمسة وأربعين موضعا في القرآن؛ ودل الجمع فيها على الكثرة، وجاء نعت جمع ما لا يعقل جمعا في سبعة وأربعين موضعا في القرآن؛ ودل الجمع فيها على القلة، أو لإخراج جمع ما لا يعقل من القلة والكثرة إلى معانٍ أخرى بينها في موضعها.

الفصل الثالث: وفيه ما جاء منعوتا من جمع ما لا يعقل في القرآن وعاد عليه الضمير، حيث جاء نعت جمع ما لا يعقل مفردا وعاد عليه الضمير مفردا مؤنثا في أربعة وعشرين موضعا، وجاء نعت جمع ما لا يعقل جمعا وعاد عليه الضمير جمعا مؤنثا في ثلاثة مواضع، وجاء نعت جمع ما لا يعقل جمعا وعاد عليه الضمير مفردا مؤنثا في موضع واحد فقط، ولم يأت نعت جمع ما لا يعقل مفردا وعاد عليه الضمير جمعا البتة.

الفصل الرابع: بينت في هذا الفصل أثر مراعاة القلة والكثرة في النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل في تفسير القرآن، وما لتلك المراعاة من أثر في الترجيح بين المفسرين.

الخاتمة: ذكرت فيها أبرز ما توصل إليه البحث من نتائج.

عميد كلية اللغة العربية:

أ.د. عبد الله بن ناصر

إشراف سعادة الدكتور:

عبد الله بن محمد المسلمي

الباحث:

محمد بن سعيد الزهراني

**Summary of a Master's thesis entitled:
(Regarding the the lesser broken Plural and the
greater Plural of the Adjective and the returning of
Pronoun in the pluralize of the non - sane in the holy
Quran)**

It's a inductive Descriptive study which looking into the effect of the Indication of Pluralizing the non-sane on the Adjective and the returning of Pronoun, as the adjective of non-sane plural coming in singular or plural form, thus the Pronoun returning at it in single or plural form, It's obvious in Holy Quran, this study is aiming to looking for in Explanation for this Phenomenon , and its effect on the explanation of the holy Quran, after the introduction there was four chapters and Conclusion as following:

First chapter: this chapter is described the names which on it the pronouns is returning of the plural of the non-sane. the pronoun returned in Feminine singular form to a plural of the non-sane in 216 positions in the holy Quran, all of it the plural was indicating as a greater plural, while the pronoun came in a feminine plural were returned to to a plural of the non-sane in 19 position in the holy Quran, all or it the plural was indicating as a lesser broken plural, or handling the non-sane plural as sane plural, meanwhile

The pronoun came in a Masculine singular form in returning of the non-sane plural in 3 positions only to indicating for what is necessitated the masculine form, The pronoun came in a Masculine plural form in returning of the non-sane plural in 3 positions only to handling the non-sane plural as sane plural .

The second chapter: this chapter is including what was as a substantive of non-sane plural in the holy Quran has been mentioned in a singular form 45 positions in the holy Quran, the plural was indicating as if was a great plural, and the substantive of non-sane plural in the holy Quran has been mentioned in a plural form 45 positions in the holy Quran, the plural was indicating as if was a lesser plural or to give the plural a different meanings from great or less, I explained those meanings in its positions

The third chapter: substantive of non-sane plural in the holy Quran and the pronoun was returning on it. the substantive of non-sane plural and the pronoun was returning on it in a feminine singular form in 24 positions in the holy Quran, while the adjective of the non-sane plural came in plural form with plural returning pronoun in 3 positions, and it came in a plural form with feminine singular pronoun in one position, the adjective of non-sane plural never came in a singular form with a returning pronoun.

The fourth chapter: I explained in this chapter the effect of Regarding the The lesser broken plural and The greater plural of the Adjective and the returning of pronoun in the pluralize of the non-sane in the explaining of the Hole Quran, and the effect of this regarding on the preference for the scientist of Quran explanation.

Researcher	Supervision By Dr.	Faculty of Arabic language dean
Mohamed bin Saied Al zahrani	Abdulla bin Mohamed Al mosalami	Dr. Abdullah Bin naser

المقدمة

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ﴾ [الكهف: ١]، أنزله بلسانٍ عربي مبين، تحدى به الإنس والجن أجمعين، فعجزوا عن مجاراته، ولا غرو ! فهو كلام اللطيف الخبير، لائقٌ بمقامه، ملائمٌ لجلاله ، جاء في قمة الإعجاز ، وذروة البيان ، غرائبُه لا تنفذ ، وعجائبُه لا تنتضي ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وأفصح الخلق أجمعين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين .

أما بعد ...

فلقد بهر القرآنُ الكريمُ العقولَ بما يحويه من وجوه الإعجاز ، ومنها الإعجاز البياني البلاغي، المتمثل في أسلوب القرآن ونظمه وتركيبه اللغوي ، فكل لفظة فيه قد وُضعت موضعًا سديدًا ، فبلغَ في ذلك الغاية ؛ جُمْلٌ قليلةٌ المباني ، عظيمةُ المعاني ، فلو أردتَ أن تضع حرفًا مكان حرف؛ لتغير نظمه الفريد ، ولما تأدى المعنى المراد ، يقول ابن عطية : " كتاب الله لو نزعَت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد " (١) .

ومن تلك المعاني وذلك الإعجاز ؛ ما يُلاحظ في مراعاة القلة والكثرة في النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل ، وما لتلك المراعاة من أثر على التفسير ، فأخذتُ بالبحث في هذه المسألة ؛ فوجدتُ فيها بغيتي ، ووسمتُ بها بحثي ؛ فجاء عنوان رسالتي :

(مراعاة القلة والكثرة في النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل في

القرآن الكريم)

وظهرت أهمية هذا الموضوع في الأمور الآتية :

- ١ . تعلقه بالقرآن الكريم .
- ٢ . ارتباطه بتفسير القرآن ، وأنه منطلقٌ للترجيح فيما اختلف فيه تجاه هذه المسألة .
- ٣ . لم تُسبق دراسته من قبل ؛ مع وجود إشكالاتٍ قائمٍ لم يُجسَم .

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (١ / ٥٢)

- ٤ . الوقوف على شيء من مقاصد اللغة العربية وعلل استعمالاتها .
 - ٥ . أثر علة المعادلة في هذا الموضوع ، مما يُثبِت أن اللغة العربية لغة متوازنة .
 - ٦ . الرد على شبهة اختلال نظام المطابقة في القرآن الكريم .
 - ٧ . إبراز مظهر من مظاهر بلاغة القرآن ، ودقة عباراته .
 - ٨ . إبراز أثر السياق في اعتبار القلة والكثرة في جمع ما لا يعقل ، وأنه مقدم على اعتبار الصيغة .
 - ٩ . أثر دلالة جمع ما لا يعقل على القلة والكثرة في اختيار صيغة النعت والضمير .
- وغير ذلك من الاعتبارات الداعية لاختيار هذا الموضوع ، والبحث فيه ، والغور في أسباره ، للخروج بفوائد جمة ونتائج معتبرة .

خطة البحث ...

يقوم منهج هذا البحث على الطريقة الوصفية لهذه الظاهرة ، والقائمة على الاستقراء والاستنتاج ، فقامت باستقراء القرآن كاملاً لجمع كل كلمات جمع ما لا يعقل التي جاءت منوعة وكذلك التي عاد عليها الضمير ، مستعيناً بالله أولاً ثم بقراءة القرآن والكتب التي سبقت في جمع مفردات القرآن ، ومنها ثلاثة كتب ساعدتني في الاستقراء ، وهن : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي ، وصيغ الجموع في القرآن الكريم للدكتورة / وسمية عبد المحسن المنصور ، والجمع في القرآن وأبعاده الدلالية للدكتور/ يوسف العثماني .

وبعد الانتهاء من جمعها ؛ ضمنت بعضها إلى بعض مراعيًا في ذلك اعتبارين :

١ . جعلت ما عاد عليه الضمير في فصل مستقل ، وما جاء منوعاً في فصل ثانٍ ، وما كان منوعاً وعاد عليه الضمير - مجتمعين معاً - في فصل مستقل كذلك .

٢ . النظر إلى صيغة الجمع ؛ فجعلت أوزان جموع القلة في مبحث مستقل ، وأوزان جموع الكثرة في مبحث ثانٍ ، وما جمع بالألف والتاء في مبحث مستقل كذلك .

وبعد مراعاة الاعتبارين السابقين في ضم الكلمات بعضها إلى بعض ؛ رتبها بحسب الأقل وروداً في القرآن ثم الأكثر ، بعد ذلك قَدِّمْتُ للبحث بتمهيد ، ذكرت فيه أقوال العلماء تجاه هذه الظاهرة ، ثم أفردتُ فصلاً في بيان أثر هذه الظاهرة في تفسير القرآن، فجاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

* **المقدمة:** ذكرت فيها أهمية الموضوع ، ومنهج البحث ، وخطته .

* **التمهيد:** وعرضت فيه أقوال وتفسيرات العلماء تجاه تلك الظاهرة ، ووجدت أنهم قد اختلفوا على خمسة أقوال ، فذكرت تلك الأقوال مفصلةً ؛ ببيان كل قول ، ومن قال به ، والإشكالات الواردة عليه .

* **الفصل الأول - عود الضمير على جمع ما لا يعقل في القرآن.**

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول/ ما جاء على صيغ جموع القلة مما لا يعقل في القرآن، وعاد عليه الضمير.
وجاء ذلك على ثلاثة أقسام :

١ . ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا فقط.

٢ . ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا، ومفردًا مذكرًا .

٣ . ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا، وجمعًا مذكرًا ، وجمعًا مؤنثًا .

المبحث الثاني/ ما جاء على صيغ جموع الكثرة مما لا يعقل في القرآن، وعاد عليه الضمير.
وجاء ذلك على خمسة أقسام :

١ . ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا فقط.

٢ . ما عاد عليه الضمير جمعًا مؤنثًا فقط.

٣ . ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا ، وجمعًا مؤنثًا.

٤ . ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا ، وجمعًا مذكرًا .

٥ . ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا ، ومفردًا مذكرًا .

المبحث الثالث/ ما جُمع بالألف والتاء مما لا يعقل في القرآن، وعاد عليه الضمير.
وجاء ذلك على أربعة أقسام:

١ . ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا فقط.

٢ . ما عاد عليه الضمير جمعًا مؤنثًا فقط.

٣ . ما عاد عليه الضمير مفردًا مذكرًا فقط.

٤ . ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا ، ومفردًا مذكرًا .

المبحث الرابع / عود الضمير على أكثر من جمع لما لا يعقل في القرآن .
وجاء ذلك على قسمين :

١. عود الضمير مفردًا مؤنثًا على أكثر من جمع لما لا يعقل في القرآن .

٢. عود الضمير جمعًا مؤنثًا على أكثر من جمع لما لا يعقل في القرآن .

* الفصل الثاني - ما جاء منوعًا من جمع ما لا يعقل في القرآن .

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول/ ما كان على صيغ جموع القلة مما لا يعقل في القرآن، وجاء منوعًا.
وجاء ذلك على ثلاثة أقسام:

١. ما جاء نعته مفردًا فقط .

٢. ما جاء نعته جمعًا فقط .

٣. ما جاء نعته مفردًا وجمعًا .

المبحث الثاني / ما كان على صيغ جموع الكثرة مما لا يعقل في القرآن، وجاء منوعًا .
وجاء ذلك على قسمين :

١. ما جاء نعته مفردًا فقط.

٢. ما جاء نعته جمعًا فقط.

المبحث الثالث / ما جُمع بالألف والتاء مما لا يعقل في القرآن ، وجاء منوعًا .
وجاء ذلك على قسمين :

١. ما جاء نعته جمعًا فقط .

٢. ما جاء نعته مفردًا وجمعًا .

* الفصل الثالث - ما جاء منوعًا من جمع ما لا يعقل في القرآن

وعاد عليه الضمير .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول/ ما كان على صيغ جموع القلة مما لا يعقل في القرآن، وجاء منوعًا، وعاد عليه الضمير .

المبحث الثاني / ما كان على صيغ جموع الكثرة مما لا يعقل في القرآن، وجاء منوعًا، وعاد عليه الضمير .

المبحث الثالث / ما جُمع بالألف والتاء مما لا يعقل في القرآن، وجاء منوعًا، وعاد عليه الضمير .

*** الفصل الرابع - أثر مراعاة القلة والكثرة في النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل في تفسير القرآن .**

وفيه مبحثان :

المبحث الأول / أثر مراعاة القلة والكثرة في النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل في المعنى .

وجاء ذلك على ثلاثة أقسام :

١. الأثر المتعلق بعود الضمير على جمع ما لا يعقل في المعنى .

٢. الأثر المتعلق بنعت جمع ما لا يعقل في المعنى .

٣. الأثر المتعلق بالنعت وعود الضمير - مجتمعين معًا - على جمع ما لا يعقل في المعنى .

المبحث الثاني / أثر مراعاة القلة والكثرة في النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل في الترجيح بين المفسرين .

وجاء ذلك على ثلاثة أقسام :

١. الأثر المتعلق بعود الضمير على جمع ما لا يعقل في الترجيح بين المفسرين .

٢. الأثر المتعلق بنعت جمع ما لا يعقل في الترجيح بين المفسرين .

٣. الأثر المتعلق بالنعت وعود الضمير - مجتمعين معًا - على جمع ما لا يعقل في الترجيح بين المفسرين .

بعد ذلك ختمت البحث بخلاصة أبرزت فيها النتائج التي توصلت إليها ، ثم ذيلت البحث بجدول للكلمات الواردة في البحث وعدد المواضع التي وردت فيها، ثم بقائمة المصادر والمراجع، وختمت بفهرس الموضوعات .

سائلًا المولى - عز جاهه - أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم ، وأن لا يجعل له فيما نعمل شريكًا ، والله المستعان ، وعليه التكلان، هو حسبي ونعم الوكيل .

التمهيد

من المعلوم أن لكل لغة نظامًا ، ولكل نظام قواعدًا ، ومن قواعد اللغة العربية؛ أن الأصل في الضمائر مطابقتها لما تعود عليه في العدد والجنس، إلا أن جمع ما لا يعقل جاز في الضمير العائد عليه مطابقتة في العدد كقوله تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ ﴾ [البقرة: ١٩٧] ، وعدم مطابقتة كقوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [آل عمران: ٤٠] .

ومن قواعد اللغة العربية كذلك؛ أن الأصل مطابقة النعت منوعته في النوع: التذكير أو التأنيث ، وفي العدد: المفرد أو المثنى أو الجمع ، إلا أن المنعوت إذا كان جمعًا لغير العاقل ؛ جاز في نعتة المطابقة في العدد، كقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [آل عمران: ٢٤] ، أو عدم المطابقة، كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ [البقرة: ٨٠] ، وهذا ما يراه أهل اللغة ظاهرًا في كتاب الله ، وفي كلام العرب ، ولا خلاف بينهم في جواز ذلك ، ولكن الخلاف بينهم يكمن في تأويل وتفسير تلك الظاهرة ، فالمتبع لآراء وأقوال علماء اللغة الذين تكلموا في تأويل وتفسير تلك الظاهرة ؛ يجد أنهم اختلفوا على خمسة أقوال ، وهن :

* القول الأول:

أن الأفصح في صيغ جموع القلة لما لا يعقل المطابقة مطلقًا في النعت والضمير ، وفي صيغ جموع الكثرة الأفراد ، ولو عكس العمل لجاز ، فتقول : (الأجداع انكسرن و منكسرات) ، (الجذوع انكسرت ومنكسرة) ، ولو قلت : (الأجداع انكسرت ومنكسرة) ، (الجذوع انكسرن ومنكسرات) ؛ لجاز هذا الأسلوب .
وكذلك في التأريخ والعدد إذا كان لقليل عاد عليه الضمير جمعًا ، وإذا كان لكثير عاد عليه الضمير مفردًا ، فتقول : (لخمس خلون) ، و (لخمسة عشرة خلوت) .
واختلفت تعليلاتهم لهذا القول ، فمنهم من علل لهذا القول : بأن مطابقة النعت والضمير لجمع القلة لما لا يعقل ؛ جبرٌ لقلته ، وفي جمع العاقل ؛ لشرفه، والأفراد في جمع الكثرة لغير العاقل ؛ لانحطاطه عن العاقل ، ومنهم من علل : بأن نعت الجمع بالمفرد حاصل تأويلاً لتأوله

بجماعة ؛ أي هو مفردٌ لفظاً وإن كان جمعاً معني ، ومنهم من علل : بأنّ بناء القلّة قد جرى عليه كثيرٌ من أحكام الواحد ، من ذلك جوازُ تصغيرها على ألفاظها، فيجوز وصف المفرد به وعود الضمير إليه مفردًا ، فلما غلبت على القلّة أحكام المفرد ؛ عبّروا عنها في التأنيث بالنون المختصّة بالجمع ، لئلا يُتوهّم فيها الإفراد ، ومنهم من علل : بأنهم جعلوا لصيغ جمع الكثرة الإفراد ولصيغ جمع القلّة الجمع ، حملاً على تمييز العدد ، ومن التعليقات كذلك ما ذكره أبو حيان عند قوله تعالى : ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٤] ، حيث قال : " وعدل عن أن يوصف الأيام بوصف الواحدة المؤنث ، فكان ، يكون : من أيام أُخَرى ، وإن كان جائزاً فصيحاً كالوصف بأخر لأنه كان يلبس أن يكون صفة لقوله : ﴿ فَعِدَّةٌ ﴾ ، فلا يُدرى أهو وصفٌ لعدة ، أم لأيام ، وذلك لخفاء الإعراب لكونه مقصوراً ، بخلاف : ﴿ أُخَرَ ﴾ فإنه نص في أنه صفة لأيام لاختلاف إعرابه مع إعراب ﴿ فَعِدَّةٌ ﴾" (١) ، وغير ذلك من التعليقات .

- وممن قال بهذا القول :

١- الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)

يقول في المفصل : " وتأنيث الجمع ليس بحقيقي ، ولذلك اتّسع فيما أسند إليه إلحاق العلامة وتركها ، كما تقول : (فعل الرجال والمسلمات) ، و (مضت الأيام) ، و (فعلت ومضت) ، وأما ضميره فتقول في الإسناد إليه : (الرجال فعلت وفعلوا) ، و (المسلمات فعلت وفعلن) ، وكذلك (الأيام) قال (٢) :

وإذا العذارى بالدخان تقنّعت ... واستعجلت نصب القدور فملّت

وعن أبي عثمان المازني العرب تقول: (الأجداع انكسرن) لأدنى العدد، و (الجذوع انكسرت) ، ويقال لخمسة : (خلون) ، ولخمس عشرة : (خلت) ، وما ذاك بضربة لازب (٣) :

٢ - ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ)

يقول في شرحه على المفصل : " وإن كان المكسّر لغير أولى العقل ؛ نحو : (الأيام) ، و (الحُمُر) ، فلك فيه وجهان: أحدهما: أن تُلحِق الفعلَ التاء، فتقول: (الأيامُ فعلت) ، على

(١) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٢ / ١٨٥)

(٢) البيت لسلمى بن ربيعة ، خزانة الأدب للبغدادي (٨ / ٣٦)

(٣) المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري (٢٤٢)

تقدير جماعة الأيَّام ، وإن شئت ، قلت : (فَعَلَنْ) ؛ لأنَّ الأيَّامَ ممَّا لا يعقل . فجمعه وضميرُ جمعه كالمؤنَّث ، وإن كان مذكَّرًا ، نحو : (ثِيَابُكَ مُزِقْنَ) ، و (جِمَالُكَ أَقْبَلْنَ) . قال الشاعر^(١) :

وإن تكن الأيَّامُ فَرَّقْنَ بَيْنَنَا فَقَدْ بَانَ مَحْمُودًا أَحْيَى يَوْمَ وَدَعَا

والذي يؤيد عندك أنَّ ما لا يعقل يجري عندهم مجرى المؤنَّث أنك إذا صغرتَ نحو : (جمالٍ) ، و (دراهم) ؛ فإنَّكَ تردّه إلى الواحد ، ثمَّ تجمعه بالألف والتاء كالمؤنَّث ، فتقول في تصغير (جمال) ، و (دراهم) : (جُمَيْلاتٌ) ، و (دُرَيْهَمَاتٌ) " (٢) .

- وقال كذلك في شرحه على قول الزمخشري : " وعن أبي عثمان : العرب تقول : (الأجذاع انكسرن) لأدنى العدد، و (الجنود انكسرت) . ويقال لخمسة : (خلون) ، ولخمس عشرة : (خلت) ، وما ذاك بضربة لازب " .

قال ابن يعيش في شرح ذلك : " اعلم أنَّ هذا الشيء قد استعملته العرب استحساناً للفرق بين القليل والكثير، فيقولون : (الأجذاع انكسرن) و (الجنود انكسرت) ، فيؤنثون الكثير بالتاء والقليل بالنون، ومنه قولهم في التاريخ لخمسة : (خلون) و (أربع بقين) ولخمس عشرة : (خلت) و ثلاث عشرة : (بقيت) .

وقد قيل في تعليل ذلك أقوال: أقربها ما ذهب إليه الجرجاني، وهو أنَّ التأنيث فيها لمعنى الجماعة، والكثرة أذهب في معنى الجمع من القلة، والتاء حرفٌ مختصٌّ بالتأنيث، فجعلت علامة فيما كان أذهب في معنى الجمع، والنون فيما هو أقلُّ حظاً في الجمع؛ لأنَّ النون لا ترد للتأنيث خصوصاً، وإمَّا ترد على ذواتٍ صفتها التأنيث.

والذي عندي في ذلك أنَّ بناء القلة قد جرى عليه كثيرٌ من أحكام الواحد ، من ذلك جوازُ تصغيرها على ألفاظها من نحو : (أجيمالٍ) و (أثيابٍ) ، ومنها جوازُ وصف المفرد به من نحو : (بُرْمَةٌ أكسارٍ) و (ثوبٌ أسمالٍ) ، ومنها عود الضمير إليه مفرداً من قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾ . فلما غلبت على القلة أحكام المفرد؛ عبّروا عنها في التأنيث بالنون المختصة بالجمع، لئلا يُتوهّم فيها الأفراد.

وقوله: "وما ذاك بضربة لازب" يريد: بأمرٍ ثابتٍ يلزمك أن تأتي به، بل أنت مخيرٌ إن أتيت

(١) البيت لمتعم بن نوية ، شرح اختيارات المفضل للتبريزي (١١٧٨) [حين ودعا] .

(٢) شرح المفصل لابن يعيش (١٨٦ / ٥)

به فحسناً؛ وإن لم تأت به فعربي جيداً، وهو من قولهم: (لَزَبَ الشَّيْءُ يَلْزُبُ لُزُوبًا) إذا ثبت ^(١)
٣ - ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ)

قال في شرحه للتسهيل في باب المضمر: " وجمع الغائب غير العاقل ما للغائبة أو الغائبات، و(فَعَلَتْ) ونحوه أولى من (فَعَلْنَ) ونحوه بأكثر جمعه وأقله "
وقال في شرحه لذلك: " إعطاء جمع الغائب غير العاقل ما للغائبة، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الْكُورُكِبُ انْتَثَرَتْ ﴾ [الانفطار: ٢] ، وإعطاؤه ما للغائبات كقوله تعالى: ﴿ فَأَبَيِّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، إلا أن الأكثر في الاستعمال أن يعطى الكثرة ما للغائبة، والقلة ما للغائبات، كقولهم: (الجذوع انكسرت)، و (الأجداع انكسرن) . قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكََ الَّذِينَ أَلْقِيَتْمْ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [التوبة : ٣٦] ، ف ﴿ مِنْهَا ﴾ عائد على ﴿ اثْنَا عَشَرَ ﴾ ، ﴿ فِيهِنَّ ﴾ على أربعة. ^(٢)

- و قال في باب العدد: " وقالوا فيما فوق العشرة (خلت وبقيت) ، لأن مميزه ليلة مقدرة، ولو ذكر لكان الفعل بعدها هكذا، فجيء به مع تقديرها على ما كان ينبغي له مع ذكرها. وقالوا في العشر وأحواتها (خلون وبقين) لأن مميزها في التقدير جمع مؤنث، ولو ظهر لكان (خلون وبقين) أولى من (خلت وبقيت)، لأن النون نصّ في الجمعية والتأنيث والتاء ليست كذلك. ولما استمر هذا الاستعمال في التاريخ حمل غيره عليه فقليل في الكثرة: (الجذوع انكسرت) حملا على (لإحدى عشرة خلت). وقيل في القلّة: (الأجداع انكسرن) حملا على (لعشر خلون)، وهذا إنما هو على مراعاة الأحسن، ولو عكس العمل في التاريخ وغيره لجاز ^(٣)
٤ - الرضي (ت ٦٨٦ هـ)

قال في شرحه على الكافية: " وذلك أنك تقول، في ثاني الأيام: (لليلتين خلتا) ، وفي ثالثها: (لثلاث ليال خلون)، وكذا إلى (عشر ليال خلون) ، ويجوز: (لثلاث ليال خلت)، إلى: (عشر ليال خلت) ، والأول أولى ليرجع النون الذي هو ضمير الجمع إلى الجمع، وفي

(١) شرح المفصل لابن يعيش (١٨٧ / ٥)

(٢) شرح التسهيل لابن مالك (١٢٩ / ١)

(٣) شرح التسهيل لابن مالك (٤١١ / ٢)

الحادي عشر: (لإحدى عشرة ليلة خلت) ، إلى أن تكتب في الرابع عشر: (لأربع عشرة ليلة خلت) ، ويجوز : (خلون) ، حملاً على المعنى، والأول أولى، مراعاة للفظ، وقريب من ذلك ما حكى المازني : (الأجداع انكسرن) ، و (الجذوع انكسرت) ، جعل ضمير الأجداع ، وهو جمع قلة، ضمير الجمع وهو النون، لأنك لو صرحت بعدد القلة، أي من ثلاثة إلى عشرة، لكان مميزه جمعا نحو: (ثلاثة أجداع) ، وجعل ضمير (الجذوع) ، وهو جمع الكثرة ، ضمير الواحدة، أي المستكن في (انكسرت) ، لأنك لو صرحت بعدد الكثرة، أي ما فوق العشرة لكان مميزه مفرداً، نحو: (ثلاثة عشر جذعا) ، وتكتب في الخامس عشر: للنصف من كذا، وهو أولى من قولك : (لخمس عشرة ليلة خلت) ، ومن قولك : (لخمس عشرة ليلة بقيت) أو (بقين) ، مع جوازهما أيضا ، وذلك لأن الأول أخصر منهما ، وفي السادس عشر : (لأربع عشرة ليلة بقيت) أو (بقين) ، كما قلنا ، وبعضهم يقول من الخامس عشر إلى الأخير : إن بقيت لتجويز نقصان الشهر ، إلى أن تكتب في العشرين (لعشر ليال بقين) ، وهو أولى من : (بقيت) ، كما ذكرنا مع جوازه أيضا " (١) .

٥ - أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ)

قال في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ اللَّيْلُ بَأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ اللَّيْلَ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٩] : " والضمير في : ﴿أَبْوَابِهَا﴾ ، عائد على البيوت . وعاد كضمير المؤنث الواحدة ، لأن البيوت جمع كثر ، وجمع المؤنث الذي لا يعقل فرق فيه بين قليلة وكثيره ، فالأفصح في قليلة أن يجمع الضمير، والأفصح في كثيره أن يفرد . كهو في ضمير المؤنث الواحدة، ويجوز العكس " (٢) .

- وقال عند قوله تعالى : ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٤] : " و ﴿أُخَرَ﴾ : صفة لأيام ، وصفة الجمع الذي لا يعقل تارة يعامل معاملة الواحدة المؤنثة وتارة يعامل معاملة جمع الواحدة المؤنثة . فمن الأول: ﴿ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ ومن الثاني: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ فمعدودات: جمع لمعدودة. وأنت لا تقول : يوم معدودة ، إنما تقول : معدود ، لأنه مذكر ، لكن جاز ذلك في جمعه ، وعدل عن أن يوصف الأيام بوصف الواحدة المؤنث ، فكان يكون :

(١) شرح الرضي على الكافية لرضي الدين الأسترابادي (٣ / ٣١٣)

(٢) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٢ / ٢٣٩)

من أيام أخرى ، وإن كان جائزاً فصيحاً كالوصف بأخر لأنه كان يلبس أن يكون صفة لقوله : ﴿ فَعِدَّةٌ ﴾ ، فلا يدري أهو وصف لعدة ، أم لأيام ، وذلك لخفاء الإعراب لكونه مقصوراً ، بخلاف : ﴿ أُخْرَ ﴾ فإنه نص في أنه صفة لأيام لاختلاف إعرابه مع إعراب ﴿ فَعِدَّةٌ ﴾ " (١) .

٦ - السمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ)

قال في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتَلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٣٦] : " والضمير في ﴿ منها ﴾ عائذٌ على ﴿ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ ، لأنه أقربٌ مذكورٌ ، لا على ﴿ الشُّهُورِ ﴾ والضمير في ﴿ فِيهِنَّ ﴾ عائذٌ على ﴿ اثْنَا عَشَرَ ﴾ أيضاً . وقال الفرّاء ، وقتادة : يعودُ على الأربعة الحُرْمِ ، وهذا أحسنُ لوجهين :

أحدهما : أنه أقربٌ مذكور .

والثاني : أنه قد تقرّر أنّ معاملة جمع القلة غير العاقل معاملة جماعة الإناث أحسنٌ من معاملة ضمير الواحدة ، والجمع الكثير بالعكس ، تقول : (الأجداع انكسرن) ، و (الجذوع انكسرت) ، ويجوزُ العكس " (٢) .

٧ - الأشموني (ت ٩٠٠ هـ)

قال في شرحه للألفية : " تنبيه : وصف (هبات) - وهو جمع - (بوافرة) وهو مفرد ، لتأوله بجماعة ، وإن كان الأفصح (وافرات) ؛ لأن (هبات) جمع قلة ، والأفصح في جمع القلة مما لا يعقل ، وفي جمع العاقل مطلقا المطابقة ، نحو (الأجداع انكسرن ، ومنكسرات) ، و (الهندات ، والهنود انطلقن ، ومنطلقات) . والأفصح في جمع الكثرة مما لا يعقل الأفراد ، نحو (الجذوع انكسرت ، ومنكسرة) " (٣) .

٨ - السيوطي (ت ٩١١ هـ)

قال في الهمع : " وَالْأَحْسَنُ فِي جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ غَيْرِ الْعَاقِلِ ، إِنْ كَانَ لِلْكَثْرَةِ أَنْ يُؤْتَى بِالتَّاءِ

(١) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٢ / ١٨٥)

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (٦ / ٤٥)

(٣) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك لنور الدين الأشموني (١ / ٧)

وَحَدَهَا فِي الرَّفْعِ وَهِيَ فِي غَيْرِهِ . وَإِنْ كَانَ لِلْقَلَّةِ أَنْ يُؤْتَى بِالثُّونِ ، فَ (الجدوع انكسرت وكسرتها)،
أولى من (انكسرن وكسرتن) ، و (الأجداع) بِالْعَكْسِ . وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ ائْتَا عَشْرَ شَهْرًا ..
مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ﴾ إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [التَّوْبَةُ: ٣٦] أَي فِي الْأَرْبَعَةِ" (١) .

- وقال في معترك الأقران : " وَأَمَّا غَيْرُ الْعَاقِلِ فَالْعَالِبُ فِي جَمْعِ الْكَثْرَةِ الْإِفْرَادُ وَفِي الْقَلَّةِ
الْجَمْعُ وَقَدْ اجْتَمَعَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ إِلَى أَنْ
قَالَ : ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ﴾ فَأَعَادَ مِنْهَا بِصِيغَةِ الْإِفْرَادِ عَلَى الشُّهُورِ وَهِيَ لِلْكَثْرَةِ ، ثُمَّ قَالَ :
﴿ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ فَأَعَادَهُ جَمْعًا عَلَى ﴿ أَرْبَعَةٍ حُرْمٍ ﴾ وَهِيَ لِلْقَلَّةِ .

وَذَكَرَ الْفَرَّاءُ لِهَذِهِ الْقَاعِدَةِ سِرًّا لَطِيفًا؛ وَهُوَ أَنَّ الْمُمَيِّزَ مَعَ جَمْعِ الْكَثْرَةِ - وَهُوَ مَا زَادَ عَلَى
الْعَشْرَةِ - لَمَّا كَانَ وَاحِدًا وَحَدَّ الضَّمِيرُ وَمَعَ الْقَلَّةِ وَهُوَ الْعَشْرَةُ وَمَا دُونَهَا لَمَّا كَانَ جَمْعًا جُمِعَ
الضَّمِيرُ" (٢) .

٩ - الصبان (ت ١٢٠٦ هـ)

قال في تعليقه على الأشموني : " قوله : (وصف هبات إلخ) هذا تصحيح لوصف الجمع
بالمفرد وحاصله أن المطابقة في الأفراد حاصلة تأويلاً ، فقوله : لتأوله بجماعة أي وهو مفرد لفظاً
وإن كان جمعاً معنى .

قوله: (وإن كان الأفتح وافرات) أي محافظة على المطابقة اللفظية والواو للحال وإن زائدة
ويظهر لي في الجواب عن المصنف أن الأفراد لاستعماله جمع القلة في الكثرة كما هو المناسب
لمقام الدعاء فهو جمع كثرة بحسب المعنى فاحفظه فإنه نفيس.....

و قوله: (والأفتح في جمع القلة إلخ) وجه ذلك بأن العاقل منظور إليه فاعتنى بشأنه في
المطابقة بخلاف غيره. وطوبق جمع القلة لغير العاقل جبراً للقلة. وقال شيخنا السيد : المطابقة في
جمعي العاقل وجمع القلة لغيره على الأصل وعدمها في جمع الكثرة لغيره لأنه لانخطاطه عن العاقل
في حكم المفرد بالنسبة إليه ولم يراع ذلك في جمع القلة جبراً للقلة. قوله: (مما لا يعقل) أي من
جموع ما لا يعقل. " (٣)

(١) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي (١ / ٢٠٥)

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي (٣ / ٤٦٨)

(٣) حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك لمحمد بن علي الصبان (١ / ٢٨)

قال في حاشيته على ابن عقيل : " قوله : (بِهَاتٍ وَفِرَه) أي عَطِيَّاتٍ تامة، ولم يقل وافرات مع أن الأفصح المطابقة في جمع القلة مطلقاً جبراً لقلته، وفي جمع الكثرة للعاقل لشرفه لأن هبات، وإن كان جمع قلة، لأن جمعي السلامة منها عند سيبويه لكنه مستعمل في الكثرة معنى بقرينة مقام الدُّعاء، والأفصح في الكثرة لغير العاقل الأفراد، واعلم أن القلة والكثرة إنما يعتبران في نكرات الجموع . أما معارفها فصالحة لهما كما صرح به غير واحد من المحققين" (١) .

- الإشكالات الواردة على هذا القول :

١. ورد في القرآن من صيغ جموع القلة ما جاء نعتة مفرداً ، كقوله تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه:٨] ، و كذلك عاد عليه الضمير مفرداً ، كقوله تعالى : ﴿أَلْهَمَّ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ﴾ [الأعراف:١٩٥] ، علماً أنه يجوز في بعضها الجمع بصيغ جموع الكثرة مثل: أيد وأياد - أعين وعيون .
٢. ورد في القرآن من صيغ جموع الكثرة ما جاء نعتة جمعاً ، كقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوْسِيَّ شَمِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات:٢٧] ، وكذلك عاد عليه الضمير جمعاً كقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص:١٨] .

* القول الثاني :

أن صيغ جموع القلة لما لا يعقل يكون نعتهن جمعاً ، ويعود عليهن الضمير جمعاً كذلك ، وفي صيغ جموع الكثرة يكون نعتها مفرداً ، ويعود عليها الضمير مفرداً ، فتقول : (الأجداع انكسرن) ، و(الجدوع انكسرت) . وكذلك في التأريخ والعدد إذا كان لقليل عاد عليه الضمير جمعاً ، وإذا كان لكثير عاد عليه الضمير مفرداً ، فتقول : (لخمس خلون) ، و(لخمس عشرة خلوت) . وهو قول المازني ذكره الزمخشري في المفصل ، يقول : " وعن أبي عثمان: العرب تقول:

(١) حاشية الحضري على ابن عقيل على ألفية ابن مالك لمحمد الحضري (١٢ / ١)

(الأجذاع انكسرن) لأدنى العدد، و(الجدوع انكسرت). ويقال : (لخمس خلون) ، و(لخمس عشرة خلت) " (١). تلحظ في المثالين الأولين أنه راعى فيه صيغة الجمع ، فجعل الاعتبار لصيغة الجمع ، وفي مثاليه الأخيرين راعى فيه العدد من حيث القلة والكثرة .
والفرق بين القول الأول والثاني ؛ أن القول الأول أجاز استعمال العكس بخلاف القول الثاني سكت عنه ، ولا يعني سكوته عدم الجواز ، فأفردته بقول مستقل لتوضيح الأقوال ، ويرد على هذا القول من الإشكال ما ورد على القول الأول .

* القول الثالث :

أنَّ الاسمَ إن كانَ مُذكَّرًا فالأصلُ في صفةِ جَمْعِهِ التاءُ ، يُقالُ : (كُوْزٌ وَ كِيْرَانٌ مَكْسُورَةٌ) وَ (ثِيَابٌ مَقْطُوعَةٌ) ، وإن كان مؤنثًا كان الأصلُ في صفةِ جَمْعِهِ الألفُ والتاءُ، يُقالُ: (جِرَّةٌ وَجِرَارٌ مَكْسُورَاتٌ) . فَجُعِلَ هذا أصلاً ، مراعيًا بذلك اللفظ من حيث التذكير والتأنيث .

- وممن قال بهذا القول :

١ - الكرمانى (ت ٥٠٥ هـ)

قال في البرهان : " قَوْلُهُ : ﴿إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ وَفِي آلِ عِمْرَانَ ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي الْجَمْعِ إِذَا كَانَ وَاحِدَهُ مَذْكَرًا أَنْ يَفْتَصَّرَ فِي الْوَصْفِ عَلَى التَّأْنِيثِ نَحْوُ قَوْلِهِ : ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَتَمَارِقٌ مَصْفُوقَةٌ ﴿١٥﴾ وَرَزَائِبٌ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ [الغاشية: ١٣-١٦] وَقَدْ يَأْتِي (سرر مرفوعات) على تقدير (ثلاث سرر مرفوعة) ، و (تسع سرر مرفوعات) ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِالْأَصْلِ ، فَجَاءَ فِي الْبَقْرَةِ عَلَى الْأَصْلِ وَفِي آلِ عِمْرَانَ عَلَى الْفُرْعِ " (٢)

٢ - الرازى (ت ٦٠٦ هـ)

قال في التفسير الكبير : " ذكر ههنا ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] وَفِي آلِ عِمْرَانَ : ﴿إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ [آل عمران: ٢٤] ، وَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ : لِمَ كَانَتِ الْأُولَى ﴿مَّعْدُودَةً﴾ وَالثَّانِيَةُ ﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾ وَالْمَوْصُوفُ فِي الْمَكَانَيْنِ مَوْصُوفٌ وَاحِدٌ وَهُوَ ﴿أَيَّامًا﴾ ؟

(١) المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري (٢٥٠)

(٢) أسرار التكرار في القرآن المسمى (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان) للكرمانى (٧٦)

وَالجَوَابُ : أَنَّ الإِسْمَ كَانَ مُدَكَّرًا فَالأَصْلُ فِي صِفَةِ جَمْعِهِ التَّاءُ . يُقَالُ : (كُوِزَ وَكَيْرَانُ مَكْسُورَةٌ)
 وَ (ثِيَابٌ مَقْطُوعَةٌ) وَإِنْ كَانَ الأَصْلُ فِي صِفَةِ جَمْعِهِ الأَلِفَ وَالتَّاءُ ، يُقَالُ : (جَرَّةٌ وَجِرَارٌ
 مَكْسُورَاتٌ) وَ (خَابِيَةٌ وَخَوَائِي مَكْسُورَاتٌ) . إِلاَّ أَنَّهُ قَدْ يُوجَدُ الجَمْعُ بِالأَلِفِ وَالتَّاءِ فِيمَا وَاحِدُهُ
 مُدَكَّرٌ فِي بَعْضِ الصُّوَرِ نَادِرًا نَحْوُ : (حَمَامٌ وَحَمَامَاتٌ) وَ (جَمَلٌ سِبْطٌ وَسِبْطَاتٌ) وَعَلَى هَذَا
 وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ وَ ﴿ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾ فَاللَّهُ تَعَالَى تَكَلَّمَ فِي سُورَةِ
 البَقَرَةِ بِمَا هُوَ الأَصْلُ وَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ وَفِي آلِ عِمْرَانَ بِمَا هُوَ الفُرْعُ " (١) .

٣ - ابن الزبير (ت ٧٠٨ هـ)

قال في ملاك التأويل : " ثم إن ما يجمع جمع التكسير من مذكر غير عاقل قد يتبع بالصفة
 المفردة مؤنثه بالتاء كما يفعل في الخبر تقول: (ذنوب مغفورة) و (أعمال محسوبة) ، وقال
 تعالى : ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزُرَائِي مَبْنُوتَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾
 [الغاشية: ١٣-١٦] ، ومنه قوله تعالى مخبراً عن يهود : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾
 [البقرة: ٨٠] ، ثم قد يجمع هذا الضرب بالألف والتاء رعيًا لمفرده وإن لم يكثر إلا أنه فصيح ومنه:
 ﴿ وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة: ٢٠٣] .

وإذ تبين ما ذكرناه وأنه الجاري الكثير مع ما وقع في آية البقرة من الإيجاز وفي الأخرى من
 الإطالة ألا ترى قوله تعالى في آية آل عمران : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا
 مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [آل عمران: ٢٤] ، وفي البقرة : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ [البقرة: ٨٠]
 وإخباره تعالى باغترارهم قوله : ﴿ وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٤] ، وهذا
 بسط لحالهم الحامل على سوء مرتكبهم ولم يقع في سورة البقرة تعرض لشيء من ذلك بل أوجز
 القول ولم يذكر سببه ، فناسب الإفراد الإيجاز وناسب الجمع الإسهاب ، ولو جمع في سورة البقرة
 وأفرد في سورة آل عمران أو أفرد فيهما أو جمع فيهما لما ناسب ، فورد كل على ما يناسب
 ويجب . والله أعلم " (٢) .

- الإشكالات الواردة على هذا القول :

ورد في القرآن من صيغ جموع الكثرة ما جاء نعتة جمعًا وهو مذكَّرٌ كقوله تعالى :

(١) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي (٣ / ١٥٢)

(٢) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيهه المتشابه اللفظ من آي التنزيل لابن الزبير الغرناطي (١ / ٤٦)

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا
 ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣] ، ف ﴿ قُدُورٍ ﴾ جمع (قدر) وهو مذكر وجاء نعتة جمعًا : ﴿ رَاسِيَتٍ ﴾ .
 فكيف يفسر ذلك على قولهم ؟

* القول الرابع :

إن الغالب في نعت جمع ما لا يعقل المذكر أن يكون مؤنثًا مفردًا ، وإذا أرادوا التنبيه على كثرة ذلك الجمع أجروا نعتة على صيغة جمع المؤنث ؛ ليكون في معنى الجماعات ، فعلى ذلك يكون في إفراد النعت أنه الغالب وفي جمعه أنه تنبيه على كثرة الجمع .

- قال بذلك ابن عاشور في تفسيره ما نصه : " قال أبو حيان عند قوله تعالى الآتي بعده :
 ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] صفة الجمع الذي لا يعقل تارة تعامل معاملة الواحدة المؤنثة،
 نحو قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ [البقرة: ٨٠] ، وتارة تعامل معاملة جمع المؤنث نحو :
 ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ ف (معدودات) جمع لـ (معدودة) ، وأنت لا تقول : (يوم معدودة)
 وكلا الاستعمالين فصيح ، ويظهر أنه ترك فيه تحقيقًا وذلك أن الوجه في الوصف الجاري على
 جمع مذكر إذا أنثوه أن يكون مؤنثًا مفردًا ، لأن الجمع قد أول بالجماعة والجماعة كلمة مفردة
 وهذا هو الغالب ، غير أنهم إذا أرادوا التنبيه على كثرة ذلك الجمع أجروا وصفه على صيغة جمع
 المؤنث ليكون في معنى الجماعات وأن الجمع ينحل إلى جماعات كثيرة ، ولذلك فأنا أرى أن
 (معدودات) أكثر من (معدودة) ولأجل هذا قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا
 مَّعْدُودَةً ﴾ [البقرة: ٨٠] لأنهم يقللونها غرورًا أو تغريرًا ، وقال هنا ﴿ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ لأنها ثلاثون يوماً ،
 وقال في الآية الآتية : ﴿ الْحَبُّ أَشْهَرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾ [البقرة: ١٩٧] وهذا مثل قوله في جمع (جمل)
 (جمالات) [المرسلات: ٣٣] على أحد التفسيرين وهو أكثر من جمال ، وعن الماضي أن الجمع لما لا
 يعقل يجيء الكثير منه بصيغة الواحدة المؤنثة تقول : (الجذوع انكسرت) والقليل منه يجيء
 بصيغة الجمع تقول : (الأجداع انكسرن) اهـ . وهو غير ظاهر " (١) .

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢ / ١٥٩)

– الإشكالات الواردة على هذا القول :

١. ورد في قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ

الْحَزِيِّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَحْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ [فُصِّلَتْ: ١٦]

﴿ أَيَّامٍ ﴾ وهي جمع لمذكر ما لا يعقل ؛ جاء نعتها جمعًا وهو قوله تعالى :

﴿ نَحْسَاتٍ ﴾ ، والأيام النحسات ثمانية ، يقول ابن كثير : " قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فِي أَيَّامٍ

نَحْسَاتٍ ﴾ أَي مُتَتَابِعَاتٍ ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ " (١) ، والثمانية قليلة.

٢. ورد في قوله تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا

فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ

وَاتَّقُوا يَأْتُوا آلَ الْبَيْتِ ﴿١٧﴾ [البقرة: ١٩٧] ، ﴿ أَشْهُرٌ ﴾ وهي جمع لمذكر ما لا يعقل ؛

جاء نعتها جمعًا وهو قوله تعالى : ﴿ مَّعْلُومَاتٌ ﴾ ، و أشهر الحج أربعة.

٣. وورد في قوله تعالى : ﴿ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ

عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ تُحْتَشَرُونَ ﴿٢٣﴾

[البقرة: ٢٠٣] ﴿ أَيَّامٍ ﴾ وهي جمع لمذكر ما لا يعقل ؛ جاء نعتها جمعًا وهو قوله

تعالى : ﴿ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ ، وهي أيام التشريق ، قال مقاتل : " ﴿ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ

مَّعْدُودَاتٍ ﴾ إِذَا رَمَيْتُمُ الْجِمَارَ يَعْنِي أَيَّامَ التَّشْرِيقِ ، و (الأيام المعلومات) يعني : يوم

النحر ويومين من أيام التشريق بعد النحر " (٢) . وأيام التشريق قليلة .

فعلى هذا القول كيف نستطيع تخریج تلك الآيات !؟

* القول الخامس :

أن جمع ما لا يعقل إذا دل على الكثرة ؛ جاء نعتة مفردًا ، وعاد عليه الضمير مفردًا

مؤنثًا ، وإذا دل جمع ما لا يعقل على القلة ؛ جاء نعتة جمعًا ، وعاد عليه الضمير

جمعًا مؤنثًا ، بصرف النظر عن صيغة الجمع ، فالعبرة بدلالة الجمع في السياق لا

بصيغته .

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤ / ٨٦)

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (١ / ١٧٦)

– وممن قال بهذا القول :

١ – الفراء (ت ٢٠٧ هـ)

قال في معاني القرآن عند قوله تعالى : ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦] قال : " قوله : ﴿ فِيهِنَّ ﴾ ولم يقل (فيها) . وكذلك كلام العرب لِمَا بين الثلاثة إلى العشرة تُقُولُ : (ثلاث ليال خلون) ، و (ثلاثة أيام خلون) إلى العشرة ، فإذا جُزت العشرة قالوا : (خلت ، ومضت) . ويقولون لِمَا بين الثلاثة إلى العشرة (هنّ وهؤلاء) فإذا جُزت العشرة قالوا (هي ، وهذه) إرادة أن تعرف سمة القليل من الكثير . ويجوز في كل واحد ما جاز في صاحبه أنشدني أبو القمقام الفقعسي :

أصبحن في قَرْحٍ وفي داراتها ... سبع ليالٍ غير معلوفاتها

ولم يقل: معلوفاتهن وهي سبع، وكل ذلك صواب، إلا أن المؤثر ما فسرت لك. " (١).

٢ – الحريري (ت ٥١٦ هـ)

قال في درة الغواص : " ومن أوهامهم في التأريخ أنهم يؤرخون بعشرين لَيْلَةً (خلت) وبخمس وعشرين (خلون) ، والإختيار أن يُقال : من أول الشهر إلى منتصفه : (خلت وخلون) ، وأن يستعمل في النصف الثاني (بقيت وبقين) ؛ على أن العرب تختار أن تجعل النون للقليل والتاء للكثير، فيقولون لأربع : (خلون) ولإحدى عشرة : (خلت) .

نعم ولهم اختيار آخر أيضا، وهو أن يجعل ضمير الجمع الكثير الهاء والألف، وضمير الجمع القليل الهاء والنون المشددة، كما نطق به القرآن في قوله تعالى : ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦] ، فجعل ضمير الأشهر الحرم بالهاء والنون لقلتهن وضمير شهور السنة الهاء والألف لكثرتها.

وكذلك اختاروا أيضا أن الحُفُوا بصفة الجمع الكثير الهاء، فقالوا: (أعطيته ذراهم كثيرة) و (أقتت أياما معدودة) ، وألحقوا بصفة الجمع القليل الألف والتاء، فقالوا: (أقتت أياما معدودات) ، و (كسوته أنوابا رفيعات) ، و (أعطيته ذراهم يسيرات) ؛ وعلى هذا جاء في

(١) معاني القرآن للفراء (١ / ٣٢٧)

سُورَةُ الْبَقْرَةِ : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ [البقرة: ٨٠] وَفِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ : ﴿ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾ [آل عمران: ٢٤] كَانَتْهُمْ قَالُوا أَوْلَا بِطُولِ الْمُدَّةِ الَّتِي تَمْسَهُمْ فِيهَا النَّارُ، ثُمَّ تَرَاوَعُوا عَنْهُ فَقَصَرُوا تِلْكَ الْمُدَّةَ . " (١)

٣- ابن جماعة (ت ٧٣٣ هـ)

قال في كشف المعاني : " قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ [البقرة: ٨٠] وَفِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ : ﴿ مَعْدُودَاتٍ ﴾ و ﴿ مَعْدُودَةً ﴾ : جمع كثرة ، و ﴿ مَعْدُودَاتٍ ﴾ : جمع قلة؟ جوابه: أن قائلِي ذلك من اليهود فرقتان:

إحداهما قالت: إنما نعذب بالنار سبعة أيام، وهي عدد أيام الدنيا.

وقالت فرقة: إنما نعذب أربعين يوما، وهي أيام عبادتهم العجل.

فآية البقرة تحتمل قصد الفرقة الثانية، وآية آل عمران الفرقة الأولى. " (٢)

- الاشكالات الواردة على هذا القول :

ورد في القرآن جمع ما لا يعقل وفي دلالاته الكثرة وجاء نعتة جمعا ، وذلك مثل :

- قوله تعالى : ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٤] وردت ﴿ مَعْدُودَاتٍ ﴾ جمعا ، وهي نعت لـ ﴿ أَيَّامًا ﴾ ، فسرها بعضهم : أَنَّهَا رَمَضَانَ ، ورمضان ثلاثون يوما فكيف يكون قليلا ! .

- وكذلك كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ ﴾ [المرسلات: ٢٧] حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ رَوَاسِيَ ﴾ ؛ وجاء نعتة جمعا ، قوله تعالى : ﴿ شَامِخَاتٍ ﴾ ، وفسرها بعضهم بالجبال ، والجبال كثيرة .

وخلاصة القول فيما سبق ذكره من أقوال العلماء في تفسير هذه الظاهرة ، أنه يُلحظ ورود إشكالات على كل قول ، والفيصل في الحكم على تفسير هذه الظاهرة ؛ هو الاستقراء الكامل للقرآن ، لنستطيع من خلاله وصف وتفسير تلك الظاهرة ، والترجيح بين الأقوال السابقة .

(١) درة الغواص في أوهام الخواص للحريري (٦٧)

(٢) كشف المعاني في المتشابه المثاني لابن جماعة الكنايني (٤٨)

الفصل الأول

عود الضمير على جمع ما لا يعقل في القرآن

وفيه أربعة مباحث :

- المبحث الأول / ما جاء على صيغ جموع القلة مما لا يعقل في القرآن وعاد عليه الضمير
- المبحث الثاني / ما جاء على صيغ جموع الكثرة مما لا يعقل في القرآن وعاد عليه الضمير
- المبحث الثالث / ما جمع بالألف والتاء مما لا يعقل في القرآن وعاد عليه الضمير
- المبحث الرابع / عود الضمير على أكثر من جمع لما لا يعقل في القرآن

المبحث الأول / ما جاء على صيغ جموع القلة مما لا يعقل في

القرآن وعاد عليه الضمير

ورد في القرآن الكريم اثنتان وعشرون كلمة لما لا يعقل ، جاءت على صيغ جموع القلة ؛ عاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا ، ومفردًا مذكرًا ، وجمعًا مذكرًا ، وجمعًا مؤنثًا ، وذلك في خمسة وخمسين موضعًا ، وتفصيل ذلك على ثلاثة أقسام :

* القسم الأول - ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا فقط .

ورد في القرآن الكريم عشرون كلمة لما لا يعقل ، جاءت على صيغ جموع القلة ، وعاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا فقط ؛ وذلك في اثنين وأربعين موضعًا ، وهي :

١ - (أهلة)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ [البقرة: ١٨٩] ، حيث عاد الضمير المنفصل ﴿ هِيَ ﴾ مفردًا مؤنثًا على جمع ما لا يعقل ﴿ الْأَهْلَةُ ﴾ ، والأهلة كثيرة .

٢ - (أرجل)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ أَلْهَمَّ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ [الأعراف: ١٩٥] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا ، في قوله تعالى : ﴿ بِهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ أَرْجُلٌ ﴾ ، و الأرجل كثيرة .

٣ - (أودية)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ ۗ

كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿٧﴾ [الرعد: ١٧] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا ، في قوله تعالى : ﴿بِقَدَرِهَا﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿أُودِيَةٌ﴾ ، والأودية كثيرة .

٤ - (أيام)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا ، في قوله تعالى : ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿الأيام﴾ ، والأيام كثيرة .

٥ - (أعمال)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿لَهَا﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿أَعْمَلٌ﴾ ، قال مقاتل : " ﴿وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ يقول لهم أعمال خبيثة دون الأعمال الصالحة يعني غير الأعمال الصالحة التي ذكرت عن المؤمنين في هذه الآية وفي الآية الأولى ﴿هُم لَهَا عَمِلُونَ﴾ يقول هم لتلك الأعمال الخبيثة عاملون التي هي في اللوح المحفوظ أنهم سيعلمونها لا بد لهم من أن يعملوها " (١) ، والأعمال كثيرة .

٦ - (أوزار)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٧] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿أَوْزَارًا﴾ ، قال الطبري : " وَقَوْلُهُ: ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ يَقُولُ: فَأَلْقَيْنَا تِلْكَ الْأَوْزَارَ مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فِي الْحُفْرَةِ " (٢) .

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣ / ١٦٠)

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٦ / ١٣٨)

وقال الزجاج : " يعنون بالأوزار حُلِيًّا كانوا أخذوها من آل فرعون حينَ قذفهم البحرُ فألقاهُم على ساجِلِهِ، فأخذوا الذهب والفضة، وسميت أوزاراً لأن معناها الآثام، وجائز أن يكون سُمِّيَتْ أوزاراً يعنون بها أثقالاً، لأن الوزرَ في اللغة الحِملُ، وسُمِّيَ الإثمُ وزراً لأن صاحبه قد حُمِّلَ بها ثِقلاً ، قال الله تعالى : ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾﴾ [الشرح: ٢-٣] ، فقالوا: حملنا حُلِيًّا فخذفناها في النار، وكذلك فعل السامريُّ، أي ألقى حُلِيًّا كان معه" (١)، وما أخذوه من الحلبي من آل فرعون لاشك أنه كثير .

٧ - (أشياء)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَّلَ الْقُرْءَانُ تُبَدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١١١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [المائدة: ١٠١ - ١٠٢] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا ظاهرًا في قوله تعالى : ﴿عَنْهَا - عَنْهَا - سَأَلَهَا - بِهَا ﴾ ، ومستترًا تقديره (هي) للأفعال : ﴿تُبَدَ لَكُمْ - تَسْؤُكُمْ - تُبَدَ لَكُمْ ﴾ ، عدن كلهن على جمع ما لا يعقل ﴿أَشْيَاءَ ﴾ ، قال مقاتل : " قوله سبحانه : ﴿وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَّلَ الْقُرْءَانُ ﴾ يعني عن الأشياء حين ينزل بها قرآنا ﴿تُبَدَ لَكُمْ ﴾ تبين لكم ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ﴾ يَقُولُ عفا الله عن تلك الأشياء حين لم يوجبها عليكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ يعني ذو تجاوز حين لا يعجل بالعقوبة، ثُمَّ قَالَ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ ﴾ يَقُولُ قَدْ سَأَلَ عَنْ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ ﴿مِن قَبْلِكُمْ ﴾ ، يعني من بني إِسْرَائِيلَ فبينت لهم ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴾ وذلك أن بني إِسْرَائِيلَ سألوا المائدة قبل أن تنزل فَلَمَّا نزلت كفروا بها. فقالوا: ليست المائدة من الله. وكانوا يسألون أنبياءهم عن أشياء فإذا أخبروهم بها تركوا قولهم ولم يصدقوهم فأصبحوا بتلك الأشياء كافرين " (٢). وهذا من رحمة الله بنا أن عفا عن أشياء كثيرة ، ومن رحمته كذلك أن نهي عن السؤال عن تلك الأشياء في حين نزول القرآن ؛ حتى لا تفرض ، فهي إن بُيِّنَتْ فُرِضَتْ .

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣ / ٣٧٢)

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (١ / ٥٠٩)

٨ - (أكواب)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴾ [قواريراً من فضةٍ قدَّروها تقديراً] ﴿١٥﴾ [الإنسان: ١٥ - ١٦] ، حيث عاد الضمير مفرداً مؤنثاً مستتراً تقديره (هي) للفعل ﴿ كَانَتْ ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ أَكْوَابٍ ﴾ ، وكذلك عاد عليها الضمير مفرداً مؤنثاً في قوله تعالى : ﴿ قَدَّرُوهَا ﴾ ، قال ابن الجوزي : " قوله : ﴿ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴾ أي: تلك الأكواب هي قوارير، ولكنها من فضة. " (١) ، وقال مقاتل : " يعني قدرت الأكواب على الإناء وقدر الإناء على كف الخادم ورى القوم، فذلك قوله : ﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ " (٢) ، والأكواب في الجنة كثيرة .

٩ - (أرحام)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد: ٨] ، حيث عاد الضمير مفرداً مؤنثاً مستتراً تقديره (هي) للفعل ﴿ تَزْدَادُ ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْأَرْحَامُ ﴾ ، والأرحام كثيرة .

١٠ - (أفئدة)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧] ، حيث عاد الضمير مفرداً مؤنثاً مستتراً تقديره (هي) للفعل ﴿ تَهْوِي ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ أَفْئِدَةٌ ﴾ ، يقول الواحدي : " قال ابن عباس في قوله : ﴿ أَفْئِدَةٌ مِنَ النَّاسِ ﴾ : يريد من المؤمنين من ذريته ومن غير ذريته. " (٣) ، وهذا كثير .

١١ - (أمثال)

عاد عليها الضمير في موضعين :

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٨ / ٤٣٦)

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٤ / ٥٢٨)

(٣) تفسير البسيط للواحدي (١٢ / ٤٩٠)

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ نَضْرِبُهَا - يَعْقِلُهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْأَمْثَلُ ﴾ ، والأمثال التي في القرآن كثيرة .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ نَضْرِبُهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْأَمْثَلُ ﴾ ، والأمثال التي في القرآن كثيرة .

١٢ - (أزواج)

عاد عليها الضمير في موضعين :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس: ٣٦]

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ [الزخرف: ١٢]

في كلا الموضعين عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ كُلَّهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْأَزْوَاجَ ﴾ ، يقول الزجاج: " ومعنى الأزواج ، الأجناس كلها من النبات و الحيوان وغيرها " (١) ، وقال في الموضع الآخر : " ومعناه خلق الأصناف كلها ، تقول عندي من كلِّ زوجٍ أي من كلِّ صنفٍ " (٢) ، وعلى هذا فالأزواج كثيرة .

١٣ - (أيدٍ)

عاد عليها الضمير في موضعين :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [١٩٥]

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤ / ٢٨٧)

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤ / ٤٠٦)

[الأعراف: ١٩٥] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ بِهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ أَيِدِ ﴾ ، والأيدي كثيرة .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [هود: ٧٠] ، حيث ورد في هذا الموضع الفعل ﴿ تَصِلُ ﴾ ، والفاعل ضميرٌ مستترٌ مفردٌ مؤنثٌ تقديره (هي) ؛ يعود على جمع ما لا يعقل ﴿ أَيِدِ ﴾ ، يقول البغوي : " أَرَادَ بِالرَّسْلِ الْمَلَائِكَةَ . وَاسْتَلْفُوا فِي عَدَدِهِمْ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَطَاءٌ : كَانُوا ثَلَاثَةً جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ . وَقَالَ الضَّحَّاكُ : كَانُوا تِسْعَةً . وَقَالَ مُقَاتِلٌ : كَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ مَلِكًا . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ : كَانَ جِبْرِيلُ وَمَعَهُ سَبْعَةٌ . وَقَالَ السُّدِّيُّ : كَانُوا أَحَدَ عَشَرَ مَلِكًا عَلَى صُورَةِ الْعِلْمَانِ الْوُضَاءِ وَجُوهِهِمْ " (١) .

و مما يرجح قول مقاتل أو السدي :

١ . جيء الفعل مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا ﴾ مما يدل على الكثرة ، ونظير ذلك ما ذكره الفراء عند قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ ، قال : " فذَكَرَ الْفِعْلَ لِقَلَّةِ النَّسْوَةِ وَوُقُوعِ (هُؤُلَاءِ) عَلَيْهِنَ كَمَا يَقَعُ عَلَى الرِّجَالِ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ : ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ ﴾ ولم يقل : انسلخت ، وكل صواب " (٢) .

٢ . عود الضمير المستتر على الرسل مفردًا مؤنثًا .

١٤ - (أنهار)

عاد عليها الضمير في موضعين :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ [الأنعام: ٦] ، حيث ورد في هذا الموضع الفعل ﴿ تَجْرِي ﴾ ، والفاعل ضميرٌ مفردٌ مؤنثٌ مستترٌ تقديره (هي) ؛ يعود على جمع ما لا يعقل ﴿ الْأَنْهَارَ ﴾ ، يقول الرازي : " قَوْلُهُ ﴿ وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ ﴾ وَالْمُرَادُ مِنْهُ كَثْرَةُ

(١) معالم التنزيل للبغوي (٤ / ١٨٧)

(٢) معاني القرآن للفراء (١ / ٣٢٧)

الْبَسَاتِينِ" ^(١) ، فلذلاله جمع ما لا يعقل على الكثرة عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الرُّحُف: ٥١] ، حيث ورد في هذا الموضع الفعل ﴿ تَجْرِي ﴾ ، والفاعل ضميرٌ مستترٌ مفردٌ مؤنثٌ تقديره (هي) ؛ يعود على جمع ما لا يعقل ﴿ الْأَنْهَارُ ﴾ ، يقول الرازي في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ﴾ : " يَعْنِي الْأَنْهَارَ الَّتِي فَصَلَوْهَا مِنَ النَّيْلِ وَمُعْظَمُهَا أَرْبَعَةٌ ، نَهْرُ الْمَلِكِ وَنَهْرُ طُولُونَ وَنَهْرُ دِمِيَاطَ وَنَهْرُ تَيْسَ ، قِيلَ كَانَتْ تَجْرِي تَحْتَ قَصْرِهِ ، وَحَاصِلُ الْأَمْرِ أَنَّهُ احْتَجَّ بِكَثْرَةِ أَمْوَالِهِ وَقُوَّةِ جَاهِهِ عَلَى فَضِيلَةِ نَفْسِهِ" ^(٢) ، ويقول السمرقندي : " يعني : من تحت يدي ، ويقال من حولي ، وحول قصوري وجناني" ^(٣) ، فالمقام مقام مفاخرة وتكاثر من فرعون ، فعاد الضمير مفردًا مؤنثًا على الأنهار لمناسبة ذلك المقام .

١٥ - (ألواح)

عاد عليها الضمير في موضعين :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٥] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ فَخُذْهَا ﴾ ، وفي قوله تعالى : ﴿ بِأَحْسَنِهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْأَلْوَابِ ﴾ ، قال الطبري : " يَثْوُلُ تَعَالَى دِكْرُهُ : وَقُلْنَا لِمُوسَى إِذْ كَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ : خُذِ الْأَلْوَابَ بِقُوَّةٍ . وَأَخْرَجَ الْحَبْرَ عَنِ الْأَلْوَابِ ، وَالْمُرَادُ مَا فِيهَا . وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى الْقُوَّةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَعْنَاهَا بِجِدٍّ" ^(٤) ، وقال مقاتل : " ﴿ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ يعني بأحسن ما فيها" ^(٥) . ولاشك أن ما فيها كثير .

(١) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي (١٦٨ / ١٢)

(٢) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي (٢٧ / ٢١٩)

(٣) تفسير السمرقندي (بحر العلوم) للسمرقندي (٣ / ٢٠٩)

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٠ / ٤٣٩)

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٢ / ٦٣)

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَا حَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَهِبُونَ ﴿١٥٤﴾ [الأعراف: ١٥٤] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ نُسْخَتِهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْأَلْوَا ح ﴾ ، قال الزمخشري : " ولما طمئ غضبه ﴿ أَخَذَ الْأَلْوَا ح ﴾ التي ألقاها ﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا ﴾ وفيما نسخ منها، أي كتب" (١) ، وقال أبو حيان: " قال الربيع بن أنس: نزلت التوراة وهي وقر سبعين بغيراً يقرأ الجزء منها في سنة ولم يقرأها سوى أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى" (٢) ، وقال الواحدي: " قال عطاء عن ابن عباس: وكانت الألواح يومئذ ستة، ثم صارت أربعة وعشرين ممّ ضمّ إليها من الوصايا والمواعظ" (٣) ، وعلى ذلك فعدد الألواح لم يثبت فيه شيء ، و كل ما ذُكر إنما هو من قبيل الإسرائيليات ، ولكن من الممكن أن يقال بكثرتها لأمرين :

١. استنادًا إلى قوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَا حِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ

شَيْءٍ ﴾ ، وهل هذا سيكون قليلاً !.

٢. عود الضمير عليها مفردًا مؤنثًا .

١٦ - (آذان)

عاد عليها الضمير في ثلاثة مواضع :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَانُوا لِنَعْمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩]

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ ﴿١٩٥﴾ [الأعراف: ١٩٥]

- الموضع الثالث / في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ [الحج: ٤٦]

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (٣٨٩)

(٢) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (١٧٠ / ٥)

(٣) تفسير البسيط للواحدي (٣٤٥ / ٩)

في هؤلاء المواضع الثلاثة عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ بِهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ ءَاذَانٌ ﴾ ، والآذان كثيرة .

١٧- (أنفس)

عاد عليها الضمير في ثلاثة مواضع :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَحْسَنَتْكُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتَّبِرًا ﴾ [الإسراء:٧] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ فَلَهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ أَنْفُسٌ ﴾ ، يقول الزمخشري : " أي الإحسان والإساءة : كلاهما مختص بأنفسكم لا يتعدى النفع والضرر إلى غيركم " (١) ، والأنفس كثيرة .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد:٢٢] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ نَبْرَأَهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ أَنْفُسٌ ﴾ ، يقول الواحدي : " قال ابن عباس: من قبل أن أخلق خلقي ، وقال الكلبي والمقاتلان: من قبل أن أخلق الأنفس. وعلى هذا الضمير في نبرأها للأنفس وهو اختيار الفراء . وذكر أيضًا الضمير للأرض والأنفس جميعًا ، وعن ابن عباس أيضًا أنها للمصيبة " (٢) .

ومعنى (برأ) مناسب للأنفس ، قال ابن الأثير : " في أسماء الله تعالى البارئ ، هو الذي خلق الخلق لا عن مثال .

ولهذه اللفظة من الاختصاص بِخَلْق الحيوان ما ليس لها بغيره من المخلوقات ، وَقَلَّمَا تُسْتَعْمَل في غير الحيوان ، فيقال : برأ الله النَّسَمَةَ وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . " (٣) وعلى ذلك فالأقرب إلى الصواب - والله أعلم - القول الأول لابن عباس ، وقول الكلبي ، والمقاتلان ، وهو ما اختاره الفراء . والأنفس كثيرة .

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (٥٩٠)

(٢) تفسير البسيط للواحدي (٢١ / ٣٠٥)

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٦٩)

- الموضع الثالث / في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٢] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ مَوْتِهَا - مَنَامِهَا - عَلَيْهَا ﴾ ، ومستترًا تقديره (هي) للفعل : ﴿ تَمَّتْ ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل : ﴿ أَنْفُس ﴾ ، والأنفس كثيرة .

١٨ - (أسماء)

عاد عليها الضمير في أربعة مواضع :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصْبٌ أُتِّجِدِلُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٧١]

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٠]

- الموضع الثالث / في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴾ [النجم: ٢٣]

في هؤلاء المواضع الثلاثة عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ سَمَّيْتُمُوهَا - بِهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ أَسْمَاءٌ ﴾ ، والمقصود بها الأصنام ، يقول القرطبي في قوله تعالى : ﴿ أُتِّجِدِلُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا ﴾ : " يعني الأصنام التي عبدوها ، وكان لها أسماء مختلفة . ﴿ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ أي : من حجة لكم في عبادتها . فالاسم هنا بمعنى المسمى ، نظيره ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا ﴾ [يوسف: ٤٠] . وهذه الأسماء مثل العزى من العز والأعز ، واللات ، وليس لها من العز والإلهية شيء " (١) ، والأصنام كثيرة .

- الموضع الرابع / في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ٣١] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ كُلَّهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ أَسْمَاءٌ ﴾ ، يقول الزجاج : " قال أهل اللغة : علم

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩ / ٢٦٥)

آدم أسماء الأجناس ، وعرض أصحاب الأسماء من الناس وغيرهم على الملائكة، فلذا قال : ﴿ ثم عرضهم ﴾ لأن فيهم من يعقل" (١) ، والأسماء كثيرة .

١٩ - (أعين)

عاد عليها الضمير في أربعة مواضع :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩]

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ [الأعراف: ١٩٥]

في الموضعين السابقين عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ بِهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ أَعْيُنٌ ﴾ ، والأعين كثيرة .

- الموضع الثالث / في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ [المائدة: ٨٣] ، ورد في هذا الموضع الفعل ﴿ تَفِيضٌ ﴾ ، والفاعل ضميرٌ مفردٌ مؤنثٌ مستترٌ تقديره (هي) ؛ يعود على جمع ما لا يعقل ﴿ أَعْيُنٌ ﴾ ، قال الطبري : " عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ : نَزَلَتْ فِي النَّجَاشِيِّ وَأَصْحَابِهِ " (٢) ، وهم كثيرٌ ؛ فالنجاشي كان ملكًا .

- الموضع الرابع / في قوله تعالى : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَأَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ [التوبة: ٩٢] ، ورد في هذا الموضع الفعل ﴿ تَفِيضٌ ﴾ ، والفاعل ضميرٌ مفردٌ مؤنثٌ مستترٌ تقديره (هي) ؛ يعود على جمع ما لا يعقل ﴿ أَعْيُنٌ ﴾ ، قال أبو حيان : " والذين لا يجدون ما ينفقون هم الفقراء . قيل : هم مزينة وجهينة وبنو عذرة " (٣) ، وهم كثيرٌ .

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١ / ١١٠)

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن الطبري (٨ / ٦٠٢)

(٣) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٥ / ٤٨٢)

عاد عليها الضمير في ثمانية مواضع :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٨] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ بِهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ أَمْوَال ﴾ ، وهل يتخاصمون إلى الحكام في القليل من المال ! .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ وَأَبْتَلُوا أَلَيْتَمَنِ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٦] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ تَأْكُلُوهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ أَمْوَال ﴾ ، يقول السمرقندي : " ﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا ﴾ في غير حق ﴿ وَبِدَارًا ﴾ يعني مبادرة في آكلة ﴿ أَنْ يَكْبَرُوا ﴾ يعني مخافة أن يكبروا فيأخذوا أموالهم منكم " (١) ، ولو كان قليلاً لما خافوا من أن يؤخذ .

- الموضع الثالث / في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ عَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ اقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ أَمْوَال ﴾ ، قال مقاتل : " ﴿ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾ يعني كسبتموها " (٢) ، والأموال كثيرة .

- الموضع الرابع / في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴾ [٣٦] ، إن يسألكموها فيحفيكم تبحلوا ويخرج أضعفكم ﴿ ﴾ [محمد: ٣٧] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلْكُمْوهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ أَمْوَال ﴾ ، والأموال كثيرة .

- الموضع الخامس / في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ

(١) تفسير السمرقندي المسمى (بحر العلوم) للسمرقندي (١ / ٣٣٣)

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٢ / ١٦٤)

فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ [الأنفال: ٣٦] ،
حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا متصلًا في قوله تعالى : ﴿ فَسَيُنْفِقُونَهَا ﴾ ، ومستترًا تقديره (هي)
للفعل ﴿ تَكُونُ ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ أَمْوَالٌ ﴾ ، وما ينفقه الكفار كثيرٌ .

- الموضع السادس / في قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ [النساء: ٢٩] ، ورد في هذا الموضع الفعل ﴿ تَكُونُ ﴾ ، والفاعل ضميرٌ مفردٌ مؤنثٌ مستترٌ تقديره (هي) ؛ يعود على جمع ما لا يعقل ﴿ أَمْوَالٌ ﴾ ، والأموال كثيرةٌ وخصوصًا المتجر بها ، ولا تذكر الأموال إلا على سبيل الكثرة ، فلم يعد عليها الضمير بالجمع مطلقًا .

- الموضع السابع / في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ [التوبة: ٥٥]

- الموضع الثامن / في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ [التوبة: ٨٥]

في هذين الموضعين عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ بِهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ أَمْوَالٌ ﴾ ، قال ابن الجوزي : " وفي معنى الآية أربعة أقوال :

أحدها : فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي ، وابن قتبية . فعلى هذا في الآية تقديم وتأخير ، ويكون تعذيبهم في الآخرة بما صنعوا في كسب الأموال وإنفاقها .

والثاني : أنها على نظمها ، والمعنى : ليعذبهم بها في الدنيا بالمصائب في الأموال والأولاد ، فهي لهم عذاب ، وللمؤمنين أجر ، قاله ابن زيد .

والثالث : أن المعنى : ليعذبهم بأخذ الزكاة من أموالهم والنفقة في سبيل الله ، قاله الحسن . فعلى هذا ترجع الكناية إلى الأموال وحدها .

والرابع : ليعذبهم بسبي أولادهم وغنيمة أموالهم ، ذكره الماوردي . فعلى هذا تكون في المشركين. " (١) ، وقال الواحدي في الوسيط : " الكناية تعود إلى الأموال دون الأولاد ، والمعنى : ليعذبهم بها ، بأخذ الزكاة ، والنفقة في سبيل الله ، والمصائب فيها ، والتعب في جمعها ، والوجل في

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٤٥٢ / ٣)

حفظها " (١) ، وقال ابن عطية : " قال القاضي أبو محمد : فالضمير في قوله ﴿بِهَا﴾ عائذ في هذا القول على الأموال فقط " (٢) ، وقال ابن كثير : " وَقَوْلُهُ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا﴾ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ بِرِكَاتِهَا وَالنَّفَقَةَ مِنْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَالَ قَتَادَةَ: هَذَا مِنَ الْمُقَدَّمِ وَالْمُؤَخَّرِ تَقْدِيرُهُ : فَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ . وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ قَوْلَ الْحَسَنِ وَهُوَ الْقَوْلُ الْقَوِيُّ الْحَسَنُ . " (٣)

والأقرب للصواب - والله أعلم - أن الضمير يعود على (الأموال) ، وذلك لعدة أمور :

١. أن الضمير جاء مفردًا مؤنثًا ، وهذا لا يليق أن يعود على جمع العقلاء .
٢. أن أكثر الناس يجتهدون في تحصيل المال أكثر من اجتهادهم في تربية الأولاد ؛ بل في تحصيل المال انشغالًا عن تربية الولد في الغالب .
٣. جاء في صحيح البخاري باب مَا يُتَّقَى مِنْ فِتْنَةِ الْمَالِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالذَّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةَ وَالْحَمِيصَةَ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ) (٤) ، وهذا في الدنيا .
٤. جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥] ، وهذا عذابهم في الآخرة .

فمما سبق نجد أن المال هو مظنة العذاب في الدنيا والآخرة ، بخلاف الأولاد فقد يكون الأب صالحًا والابن فاسدًا ، وهذا لا يكون في مقام العذاب وإنما هو من الابتلاء ، وذلك مثل سيدنا نوح عليه السلام فقد كان ابنه كافرًا ؛ فهل هذا على سبيل العذاب أو الابتلاء ؟ ، وقد يكون العكس ؛ فالأب كافرًا كأبي جهل - لعنه الله - ، والابن مؤمنًا كعكرمة رضي الله عنه . إذن نستطيع القول بأن الضمير يعود على الأموال فقط ، والله تعالى أعلم .

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدى (٢ / ٥٠٤)

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (٣ / ٤٥)

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢ / ٣١٤)

(٤) صحيح البخاري (١٦٠٣)

* القسم الثاني - ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا، ومفردًا مذكرًا .

ورد في القرآن الكريم كلمة واحدة لما لا يعقل ، جاءت على صيغ جموع القلة ، وعاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا ومفردًا مذكرًا ، وذلك في عشرة مواضع ، وهي كلمة (أنعام) ، وتفصيل ذلك :

أولا / تسعة مواضع عاد فيهن الضمير على (أنعام) مفردًا مؤنثًا، وهن :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ [النحل: ٨٠] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ أَصْوَابِهَا - أَوْبَارِهَا - أَشْعَارِهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْأَنْعَامِ ﴾ ، والأنعام كثيرة .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧٦﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٦﴾ [يس: ٧٦-٧٣] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ لَهَا - وَذَلَّلْنَاهَا - فَمِنْهَا - وَمِنْهَا - فِيهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْأَنْعَامِ ﴾ ، والأنعام كثيرة .

- الموضع الثالث / في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ [غافر: ٧٩-٨٠] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ مِنْهَا - وَمِنْهَا - فِيهَا - وَعَلَيْهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْأَنْعَامِ ﴾ ، والأنعام كثيرة .

- الموضع الرابع / في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿١٢﴾ [المؤمنون: ٢١-٢٢] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ بُطُونِهَا - فِيهَا - وَمِنْهَا - وَعَلَيْهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْأَنْعَامِ ﴾ ، والأنعام كثيرة .

- الموضع الخامس / في قوله تعالى : ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَوْثِقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ [النحل: ٥-٧] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا متصلًا في قوله تعالى : ﴿ خَلَقَهَا - فِيهَا - وَمِنْهَا - فِيهَا ﴾ ، ومستترًا تقديره (هي) للفعل: ﴿ تَحْمِلُ ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْأَنْعَامِ ﴾ ، والأنعام كثيرة .

- الموضع السادس / في قوله تعالى : ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْفَاقِ الْفَقِيرِ ﴾ [الحج: ٢٨] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ مِنْهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْأَنْعَامِ ﴾ ، قال ابن الجوزي : " قوله تعالى : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا ﴾ يعني: الأنعام التي تُنحر؛ وهذا أمر إباحة." (١) ، وجاء في تفسير البسيط قول ابن الأنباري: " إنما أضاف البهيمة إلى الأنعام على جهة التوكيد والإطناب في المعنى، ولو قال: أحلت لكم الأنعام لم يسقط بسقوط البهيمة إلا زيادة التوكيد، وهذا كما يقال: نفس الإنسان." (٢) ، وقال السمعاني : " والمراد: بهيمة الأنعام: هي الأنعام، لكن أضافه إلى نفسه، كما يُقال : نفس الإنسان، وحقَّ اليقين، ونحو ذلك " (٣) ، والأنعام كثيرة.

- الموضع السابع ، والثامن ، والتاسع / في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرًا لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٨]

في هذه الآية وردت كلمة ﴿ أنعام ﴾ ثلاث مرات ، وكلهن عاد الضمير فيهن مفردًا مؤنثًا ، ففي الموضع الأول من الآية ، في قوله تعالى : ﴿ لَا يَطْعَمُهَا ﴾ ، والموضع الثاني من الآية ، في قوله تعالى : ﴿ ظُهُورُهَا ﴾ ، والموضع الثالث من الآية ، في قوله تعالى : ﴿ عَلَيْهَا ﴾ ، وكل المواضع الثلاث عاد الضمير فيهن مفردًا مؤنثًا على ﴿ أَنْعَمِ ﴾ ، والأنعام كثيرة .

ثانيا / موضع واحد عاد فيه الضمير على (أنعام) مفردًا مذكراً :

وهو في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ [النحل: ٦٦] ، حيث عاد الضمير مفردًا مذكراً في قوله تعالى : ﴿ بُطُونِهِ ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْأَنْعَامِ ﴾ ، قال الواحدي : " واختلف النحويون في علة تذكير الكناية في قوله : ﴿ مِمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾ ، وهي راجعة إلى الأنعام، فقال أبو إسحاق : (الأنعام لفظه لفظ جمع، وهو اسم للجنس يذكر ويؤنث) .

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٥ / ٤٢٦)

(٢) تفسير البسيط للواحدي (٧ / ٢٢٠)

(٣) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٢ / ٦)

وهذا مذهب سيوييه ، قال في ذِكْرِهِ إن الاسم الواحد يجيء على أفعال ، قال: يقال: هو الأنعام، وقال: ﴿ فِي بُطُونِهِ ﴾ ، فذهب إلى أنه اسم مذكر يقع للجميع كالقوم والنفر والرهط. وقال الفراء : (النَّعْمُ وَالْأَنْعَامُ شَيْءٌ وَاحِدٌ ، فَرَجَعَ التَّذْكِيرَ إِلَى مَعْنَى النَّعْمِ إِذْ كَانَ يُؤَدِّي عَنْ مَعْنَى الْأَنْعَامِ) .

وقال الكسائي : (أراد مما في بطون ما ذكرنا ، قال الفراء: وهو صواب) .
 وذهب المؤرج في هذا إلى وجه آخر؛ وهو أن الكناية تعود إلى ما في قوله : ﴿ مِمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾ وأضمر اللبن ؛ كأنه قيل : نسقيكم مما في بطونه اللبن ، ﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا ﴾ أراد أنه يُسْقَى مِنْ أَيْهَا كَانَ ذَا لَبَنٍ ؛ لأنه ليس لكلها لبن ، واختار صاحب النظم هذا الوجه وزاده بيانا فقال: الأنعام يقع على الذكر والأنثى ، والصغير والكبير ، والحائل والحامل ، وذات الدرّ والبلي ، فلما ذكّر عز وجل جُمِّلَهُ فِي أَوَّلِ الْفَصْلِ ، وليس الدرّ إلا لبعضها ؛ مَيَّزَ وَاحْتَصَّ مِنْهَا فِي الْخَبَرِ ذَاتَ الدَّرِّ دُونَ سَائِرِهَا. فقوله : ﴿ مِمَّا ﴾ مِثْلُ قَوْلِكَ : مِنْ أَلْتِي ، إلا أنه لما ذكّر (ألتي) بلفظ (ما) ذكّر الكناية؛ لأن (ما) لا تبين فيه تذكير ولا تأنيث ، فكأنه مذكر ، والتقدير : نُسْقِيكُمْ مِنْ أَلْتِي فِي بُطُونِهَا لَبَنٌ ﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا ﴾ ، وأضمر ذِكْرَ اللَّبَنِ لَعَلَّ الْمَخَاطَبَ بِذَلِكَ ، ولجيء ذِكْرَ اللَّبَنِ فِيْمَا بَعْدَهُ. " (١)

وقال النيسابوري : " ما ذكره الأئمة حسن إلا أنه لا يقع جوابا عن التخصيص . ولعل السر فيه أن الضمير في هذه السورة يعود إلى البعض وهو الإناث ، لأن اللبن لا يكون للكل فالتقدير: وإن لكم في بعض الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه ، وأما في (المؤمنين) فإنه لما عطف عليه ما يعود على الكل ولا يقتصر على البعض وهو قوله : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَعَلَيْهَا ﴾ [المؤمنون: ٢٢] لم يتحمل أن يكون المراد به البعض فأنت ليكون نصّا على أن المراد بها الكل. " (٢)

وخلاصة ما ذكر في الآيتين : أن الضمير المفرد المؤنث في عوده على الأنعام دل على تنوع وكثرة ليناسب ما ذكر بعدها من منافع ، والأنعام كثيرة ، فالجمع دل على كثرة فعاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا . وأنه عندما ذكّر وأفرد دل على مفرد ، فهو ليس كناية عن الأنعام مباشرة وإنما

(١) ينظر تفسير البسيط للواحدى (١٣ / ١٠٨ - ١١٣)

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (٤ / ٢٧٧)

لشيء يتعلق بها ، وساغ تخريج ذلك بكلمة (بعض) أو (مما في بطون ما ذكرنا) أو غير ذلك ، فحاء في هذا الموضوع ما يستلزم التذكير .

*** القسم الثالث - ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا ، وجمعًا مذكرًا ، وجمعًا مؤنثًا .**

ورد في القرآن الكريم كلمة واحدة لما لا يعقل ؛ جاءت على صيغ جموع القلة ، وعاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا ، وجمعًا مذكرًا ، وجمعًا مؤنثًا ، وهي كلمة (أصنام) ، وذلك في ثلاثة مواضع فقط ، وهن :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ ٥٧ ﴾ فَجَعَلَهُمْ جُنُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ٥٨ ﴾ [الأنبياء: ٥٧-٥٨] ، حيث عاد الضمير جمعًا مذكرًا في قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ أَصْنَم ﴾ ، وذلك لإنزالها منزلة العاقل ، يقول الرازي : " إِنْ قِيلَ لَمْ قَالَ : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُنُودًا ﴾ وَهَذَا جَمْعٌ لَا يَلِيْقُ إِلَّا بِالنَّاسِ ، حَوَابُهُ: مِنْ حَيْثُ اعْتَقَدُوا فِيهَا أَنَّهَا كَالنَّاسِ فِي أَنَّهَا تُعْظَمُ وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهَا ، وَلَعَلَّ كَانَ فِيهِمْ مَنْ يَظُنُّ أَنَّهَا تَضُرُّ وَتَنْفَعُ " (١) .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَنكِفِينَ ٧١ ﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ٧٢ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ٧٤ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ٧٥ أَنْتُمْ وءَابَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ٧٧ ﴾ [الشعراء: ٧١-٧٧] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ لَهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ أَصْنَم ﴾ ، وورد كذلك في هذه الآيات الأفعال التالية : ﴿ يَسْمَعُونَكُمْ - يَنْفَعُونَكُمْ - يَضُرُّونَ ﴾ والفاعل (واو الجماعة) ضميرًا متصلًا للعقلاء ، يعود على جمع ما لا يعقل ﴿ أَصْنَم ﴾ كما عاد عليها الضمير مرة أخرى جمعًا للعقلاء في كلمة ﴿ فَإِنَّهُمْ ﴾ ، والأصنام كثيرة ؛ فعاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا في أول هذه الآيات ، ثم أنزلت منزلة العاقل استخفافًا بها وبمن يعبدها ، فالموطن هنا موطن حجاج وإلزام .

قال الخطيب الاسكافي في الفرق بين قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ٥٣ ﴾ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ٥٤ ﴾ [الأنبياء: ٥٢-٥٣] ، وقوله تعالى في سورة

(١) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي (٢٢ / ١٨٢)

الشعراء : ﴿وَأْتَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٦﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَلَافِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء: ٦٩-٧٤] ، قال : " للسائل أن يسأل عن اختصاص هذا المكان بقوله : ﴿ بل ﴾ وخلو المكان الأول منها .

والجواب أن يقال: إن الآية الأولى وقع السؤال فيها على وجه لا يقتضى (بل) في الجواب، لأنه قال: ما هذه الأصنام التي نحتّموها تماثيل وعكفتم عليها، فكأنه سقّه آراءهم وقال لهم: لم تفعلون ذلك، وتعبدون ما نتحتون فقالوا: وجدنا آباءنا لها عابدين فافتدينا بهم.

وفي سورة الشعراء تقدم سؤال أضرّبوا عنه، ونفوا ما تضمّنه، لأنه : ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ فقالوا مضربين عن هذه الأشياء التي وبّخوا عليها من عبادتهم ما لا يسمع ولا ينفع ولا يضر وما يعلمون أنه جماد لا حياة فيه ولا نفع ولا ضرر عنده، وكأنهم قالوا: لا، بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون، فلأنّ السؤال هنا يقتضى في جوابهم أن ينفوا ما نفاه إبراهيم عليه السلام أضرّبوا عنه إضراب من بنفى الأول، ويثبت الثاني، فاختصاص المكان ب (بل) لهذا. ^(١) ، والعادة في اللغة العربية ؛ أنّه إذا وُصفَ غيرُ العاقلِ بِصفةٍ تُختصُّ بالعاقلِ أُجْرِيَ عليه حُكمُهُ .

- الموضع الثالث / في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٦] ، حيث عاد الضمير جمعاً مؤنثاً في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ أَصْنَم ﴾ ، كما ورد كذلك في هذه الآية الفعل ﴿ أَضَلَّلَن ﴾ وفاعله ضميراً متصلًا لجمع الإناث ، يعود كذلك على جمع ما لا يعقل ﴿ أَصْنَم ﴾ ، قال الواحدي : " قال أبو إسحاق وغيره : أي ضلّوا بسببها ؛ لأن الأصنام لا تعقل ولا تفعل شيئاً؛ كما يقول: قد أفتتني هذه الدار ؛ أي: أحببتّها واستحسنّتها وأفتتنتُ بسببها، فلما ضل الناس بسببها صارت كأنها أضلتهم، فُنسب الفعل إليها . " ^(٢) ، وقال الرازي : " وَاتَّفَقَ كُلُّ الْفَرَقِ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ : ﴿أَضَلَّلَن﴾ جَزَاءٌ لِأَنَّهَا جَمَادَاتٌ، وَالْجَمَادُ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا الْبَتَّةَ، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا حَصَلَ الْإِضْلَالُ عِنْدَ

(١) درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي (٢ / ٩٠٣)

(٢) تفسير البسيط للواحدي (١٢ / ٤٨٤)

عِبَادَتَهَا أُضِيفَ إِلَيْهَا كَمَا تَقُولُ : فَتَنَّتْهُمْ الدُّنْيَا وَغَرَّتْهُمْ، أَيِ افْتُنُّوا بِهَا وَاعْتَرَّوْا بِسَبَبِهَا. " (١)

والعادة في اللغة العربية؛ أَنَّهُ إِذَا وُصِفَ غَيْرُ الْعَاقِلِ بِصِفَةٍ تَخْتَصُّ بِالْعَاقِلِ أُجْرِيَ عَلَيْهِ حُكْمُهُ،
فِيَعُودُ عَلَيْهِ الضَّمِيرُ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ ، كَمَا يَعُودُ الضَّمِيرُ عَلَى جَمْعِ الْعَاقِلِ ؛ مِرَاعَاةً لِلْمَطَابَقَةِ .

(١) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي (١٩ / ١٣٦)

المبحث الثاني / ما جاء على صيغ جموع الكثرة مما لا يعقل في القرآن وعاد عليه الضمير

ورد في القرآن الكريم ثلاث وأربعون كلمة لما لا يعقل جاءت على صيغ جموع الكثرة ، وعاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا، ومفردًا مذكرًا، وجمعًا مؤنثًا، وجمعًا مذكرًا، وذلك في أربعة وثمانين موضعًا ، وتفصيل ذلك على خمسة أقسام :

* القسم الأول - ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا فقط .

ورد في القرآن الكريم ثمانية وثلاثون كلمة لما لا يعقل ، جاءت على صيغ جموع الكثرة ، وعاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا فقط ، وذلك في سبعة وستين موضعًا ، وهي :

١ - (فرش)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ مُتَّكِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الرحمن : ٥٤] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ بَطَّائِنُهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ فُرُشٍ ﴾ ، قال الطبري : " وَقَوْلُهُ: ﴿ عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ [الرحمن : ٥٤] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: بَطَّائِنُ هَذِهِ الْفُرُشِ مِنْ غَلِيظِ الدِّيَابِجِ " (١) ، والفرش في الجنة كثيرة .

٢ - (مصاييح)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ [الملك : ٥] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ جَعَلْنَاهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ مَصَابِيحٍ ﴾ ، والمصابيح كثيرة .

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (٢٢ / ٢٤٢)

٣ - (غر)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيثَاقَ ﴾ [الرُّم: ٢٠] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ فَوْقَهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ غُرْفٌ ﴾ ، والغرف في الجنة كثيرة .

٤ - (مغام)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَائِمٍ لِّتَأْخُذُواهَا ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ فُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الفتح: ١٥] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ لِّتَأْخُذُواهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ مَغَائِمٍ ﴾ ، يقول مقاتل : ﴿ مَغَائِمٍ لِّتَأْخُذُواهَا ﴾ يعني غنائم خيبر ^(١) ، وغنائم خيبر كانت كثيرة .

٥ - (سرر)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَلَبِئْسَ ثَمَرًا أُتُوا بِهَا وَعَسَىٰ رَبُّكُمْ عَلِيمًا يُتَكَبِّرُونَ ﴾ [الرُّحْف: ٣٤] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ عَلِيَّهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ سُرْرًا ﴾ ، والسرر كثيرة .

٦ - (صواعق)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ [الرعد: ١٣] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ بِهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ الصَّوَاعِقَ ﴾ ، والصواعق كثيرة .

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٤ / ٧٢)

٧ - (معارج)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٣] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا قوله تعالى : ﴿ عَلَيْهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ مَعَارِج ﴾ ، يقول الطبري : " وقوله ﴿ مَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ يَقُولُ : وَمَرَايِي وَدَرَجًا عَلَيْهَا يَصْعَدُونَ ، فَيَظْهَرُونَ عَلَى السَّقْفِ ، وَالْمَعَارِجُ : هِيَ الدَّرَجُ نَفْسُهَا" (١) ، وقال السجستاني : " أي درجًا عليها يعلون ، واحدها معرج ومعراج " (٢) ، وقال الرازي في معنى المعارج : " وَهِيَ الْمَصَاعِدُ إِلَى الْمَسَاكِينِ الْعَالِيَةِ كَالدَّرَجِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ " (٣) ، فكلما زاد العلو ؛ زاد الدرج ، والمقام هنا مقام تكثير وإسباغ نعم .

٨ - (بدن)

عاد عليها الضمير في موضع واحد، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا حَيْرٌ فَإِذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٣٦-٣٧] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ جَعَلْنَاهَا - فِيهَا - عَلَيْهَا - جُنُوبُهَا - مِنْهَا - سَخَّرْنَاهَا - لِحُومِهَا - دِمَائُهَا - سَخَّرَهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْبَدَنَ ﴾ ، يقول الماوردي : " في البدن ثلاثة أقاويل ، أحدها : أنها الإبل ، وهو قول الجمهور . والثاني : أنها الإبل ، والبقر ، والغنم ، وهو قول جابر ، وعطاء . والثالث : كل ذات خُفٍّ وحافر من الإبل ، والبقر ، والغنم ، وهو شاذ حكاه ابن الشجرة ، وسميت بُدْنًا لأنها مبدنة في السمن " (٤) ، وعلى أي من هذه الأقوال ؛ فالبدن كثيرة .

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (٢٠ / ٥٩٠)

(٢) غريب القرآن المسمى (نزهة القلوب) للسجستاني (١٨١)

(٣) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي (٢٧ / ٢١٢)

(٤) النكت والعيون للماوردي (٤ / ٢٦)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجَعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ [الأنعام: ٩١] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ تَبْدُونَهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ قَرَاطِيس ﴾ ، قال ابن الجوزي : " قوله تعالى : ﴿ تَجَعَلُونَهُ قَرَاطِيس ﴾ معناه: يكتبونه في قراطيس. وقيل: إنما قال: قراطيس، لأنهم كانوا يكتبونه في قراطيس مقطعة، حتى لا تكون مجموعة، ليخفوا منها ما شاؤوا. " (١) ، فإذا كان ما يخفونه كثيرًا ؛ فكيف إذا ضم مع ما يبدونه .

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتَلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ [التوبة: ٣٦] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا ، في قوله تعالى : ﴿ مِنْهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ الشُّهُور ﴾ . قال الماوردي في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ : " يعني شهور السنة ، ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ﴾ يعني أن من الاثني عشر شهرًا أربعة حرم " (٢) ، وقال الفراء في تفسير هذه الآية : " وقوله : ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ جاء التفسير: في الاثني عشر. وجاء ﴿ فِيهِنَّ ﴾ : في الأشهر الحرم ؛ وهو أشبه بالصواب - والله أعلم - ليتبين بالنهي فيها عِظْمُ حُرْمَتِهَا ؛ كما قال : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ﴾ ثم قال : ﴿ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ فعظمت ، ولم يرخص في غيرها بترك المحافظة . وَيَذُكُّكَ عَلَىٰ أَنَّهُ لِلْأَرْبَعَةِ - والله أعلم - قوله : ﴿ فِيهِنَّ ﴾ ولم يقل (فيها) . وكذلك كلام العرب لِمَا بَيْنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى الْعَشْرَةِ تَقُولُ : (ثلاث ليال خلون) ، و(ثلاثة أيام خلون) إلى العشرة، فإذا جُزِئَتِ الْعَشْرَةُ قَالُوا : (خلت) ،

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٨٤ / ٣)

(٢) ينظر النكت والعيون للماوردي (٣٥٩ / ٢)

و (مضت) . ويقولون لِمَا بين الثلاثة إلى العشرة (هنّ) و (هؤلاء) فإذا جرت العشرة قالوا (هي) ، وهذه) إرادة أن تعرف سمة القليل من الكثير . ويجوز في كل واحد ما جاز في صاحبه أنشدني أبو القمقام الفقعسي :

أصبحن في قَرْحٍ وفي داراتها سبع ليالٍ غير معلوفاتها

ولم يقل: معلوفاتهن وهي سبع، وكل ذلك صواب إلا أن المؤثر ما فسرت لك. " (١) ، وما جاء موافقاً لما ذكره الفراء في كلام العرب ؛ قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذَا أُلْهِتُ النَّفْسَ لِي وَلَكِن لِّئَيْظِمَنَّ فَلْيُقَالَ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٦﴾﴾ [البقرة: ٢٦٠] ، فلما كانت الطير أربعة ؛ عاد عليهن الضمير جمعاً مؤنثاً ﴿فَصُرْهُنَّ - مِّنْهُنَّ﴾ .

١١ - (بلاد)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾﴾ [الفجر: ١٢] ، حيث عاد الضمير مفرداً مؤنثاً ، في قوله تعالى : ﴿فِيهَا﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿الْبِلَادِ﴾ ، يقول الطبري : " وَقَوْلُهُ : ﴿الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ يَعْنِي بِقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿الَّذِينَ﴾ عَادًا وَثَمُودَ وَفِرْعَوْنَ وَجُنْدَهُ وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ : ﴿طَعَوْا﴾ تَجَاوَزُوا مَا أَبَاحَهُ اللَّهُ لَهُمْ ، وَعَتَوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ إِلَىٰ مَا حَظَرَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكُفْرِ بِهِ ، وَقَوْلِهِ : ﴿فِي الْبِلَادِ﴾ يَعْنِي : فِي الْبِلَادِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا " (٢) . فهم كثيرٌ وبلادهم كثيرة .

١٢ - (شعائر)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ [الحج: ٣٢] ، حيث عاد الضمير مفرداً مؤنثاً في قوله تعالى : ﴿فَإِنَّهَا - فِيهَا - مَحِلُّهَا﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿شَعَائِرَ﴾ ، قال الزجاج : " شعائر الله المعالم التي ندب إليها وأمر بالقيام بها ،

(١) معاني القرآن للفراء (١ / ٣٢٦)

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (٢٤ / ٣٧٣)

واحدتها شعيرة . فالصفا والمروة من شعائر الله ، والذي يُعنى به هنا البُدنُ .

وقوله : ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾^(٣٣) يعني أن لكم في البدن - قبل أن تُعلموها ، وتُسموها هدياً إلى بيتي - منافع ، فإذا أشعرتُموها - والإشعار أن يشق في السنام حتى يدمى ويلق عليها نَعلاً ليعلم أنها بدنة، فأكثر النَّاسِ لا يرى الانتفاع بها إذا جُعِلت بدنة، لا بِلَبْنِهَا وَلَا بِوَبْرِهَا وَلَا بِظَهْرِهَا، يقول لا يُعطى لبنها ووبرها وظهرها أحداً لأنها بدنة فلا ينتفع بها غير أهل الله إلا عند الضرورة المخوف معها الموت. وبعضهم يقول: إنَّ له أن ينتفع بها فيركبها المُعبي وينتفع بمنافعها إلى وقت محلها - مَكَانِ نَحْرِهَا -^(١)، وشعائر الله كثيرة، والبدن كثيرة كذلك .

١٣ - (كتب)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَيْنَهُمْ مِّنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن تَنْذِيرٍ ﴾^(٤٤) [سبأ: ٤٤] ، حيث عاد الضمير مفرداً مؤنثاً في قوله تعالى : ﴿ يَدْرُسُونَهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ كُتُبٍ ﴾ ، قال الزجاج : " يُعنى به مشركو العرب بمكة لم يَكُونُوا أَصْحَابَ كُتُبٍ ولا بعث بنبي قبل محمد صلى الله عليه وسلم"^(٢) ، مع كثرة الرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، وكثرة الكتب التي أنزلها الله على رسله ، فعاد الضمير مفرداً مؤنثاً لدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة .

١٤ - (بروج)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾^(٦٦) [الفرقان: ٦١] ، حيث عاد الضمير مفرداً مؤنثاً في قوله تعالى : ﴿ فِيهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ بُرُوجًا ﴾ ، قال البغوي : " قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ﴾ ، قَالَ الْحَسَنُ وَجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: الْبُرُوجُ هِيَ النُّجُومُ الْكِبَارُ سُمِّيَتْ بُرُوجًا لِظُهُورِهَا .

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣ / ٤٢٦)

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤ / ٢٥٦)

وَقَالَ عَطِيَّةُ الْعَوِيُّ: بُرُوجًا أَي قُصُورًا فِيهَا الْحَرَسُ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾^(١)
[النساء: ٧٨]

وَقَالَ عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: هِيَ الْبُرُوجُ الْإِثْنَا عَشَرَ الَّتِي هِيَ مَنَازِلُ الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ
السِّيَّارَةِ^(١).

وقال الرازي: " وَأَمَّا الْبُرُوجُ فَهِيَ مَنَازِلُ السِّيَّارَاتِ وَهِيَ مَشْهُورَةٌ سُمِّيَتْ بِالْبُرُوجِ الَّتِي هِيَ
الْقُصُورُ الْعَالِيَةُ لِأَنَّهَا لِهَذِهِ الْكَوَاكِبِ كَالْمَنَازِلِ لِسُكَّانِهَا، وَاشْتِقَاقُ الْبُرُوجِ مِنَ التَّبْرِجِ لِظُهُورِهِ، وَفِيهِ
قَوْلُ آخَرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ الْبُرُوجَ هِيَ الْكَوَاكِبُ الْعِظَامُ وَالْأَوَّلُ أَوْلَى لِقَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أَي فِي الْبُرُوجِ فَإِنْ قِيلَ: لِمَ لَا يُجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ فِيهَا رَاجِعًا إِلَى السَّمَاءِ
دُونَ الْبُرُوجِ؟ قُلْنَا لِأَنَّ الْبُرُوجَ أَقْرَبُ فَعَوْدُ الضَّمِيرِ إِلَيْهَا أَوْلَى " ^(٢).

ومما سبق فالأقرب إلى الصواب - والله أعلم - أن البروج هي منازل الكواكب السيارة ،
وذلك للاعتبارات الآتية :

١. أنها أقرب مذكور ، فعود الضمير إليها أولى .
٢. مجيء الضمير مفردًا مؤنثًا ، ومنازل الكواكب السيارة اثنا عشر ، بينما الكواكب
السيارة سبعة ، فلو كان الضمير عائداً على الكواكب السيارة لكان جمعًا مؤنثًا .
٣. دلالة قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ تدل على المنازل لا على الكواكب إذ لو كان
على الكواكب ل قيل : منها .

١٥ - (سبل)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا
فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١٥٣)
[الأنعام: ١٥٣] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا مستتراً تقديره (هي) للفعل : ﴿تَفَرَّقَ﴾ ،
عاد على جمع ما لا يعقل ﴿السُّبُلَ﴾ ، و سبل الشيطان و طرقه كثيرة .

(١) معالم التنزيل للبخاري (٦ / ٩٢)

(٢) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي (٢٤ / ١٠٦)

١٦ - (قبور)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ [الانفطار:٤] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا مستترًا تقديره (هي) نائب فاعل للفعل : ﴿ بُعْثِرَتْ ﴾ ، عاد على جمع ما لا يعقل ﴿ الْقُبُورُ ﴾ ، والقبور كثيرة .

١٧ - (نفوس)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ [التكوير : ٧] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا مستترًا تقديره (هي) ، نائب فاعل للفعل : ﴿ زُوِّجَتْ ﴾ ، عاد على جمع ما لا يعقل ﴿ النُّفُوسُ ﴾ ، والنفوس كثيرة .

١٨ - (وحوش)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [التكوير:٥] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا مستترًا تقديره (هي) ، نائب فاعل للفعل : ﴿ حُشِرَتْ ﴾ ، عاد على جمع ما لا يعقل ﴿ الْوُحُوشُ ﴾ ، والوحوش كثيرة .

١٩ - (عشار)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ [التكوير:٤] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا مستترًا تقديره (هي) ، نائب فاعل للفعل : ﴿ عُطِّلَتْ ﴾ ، عاد على جمع ما لا يعقل ﴿ الْعِشَارُ ﴾ ، يقول مقاتل : " يعني وإذا النوق الحوامل أهملت، يعني الناقة الحاملة نسيها أربابها " (١) ، والعشار كثيرة .

٢٠ - (صحف)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ [التكوير:١٠] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا مستترًا تقديره (هي) ، نائب فاعل للفعل : ﴿ نُشِرَتْ ﴾ ، عاد على جمع ما لا يعقل ﴿ الصُّحُفُ ﴾ ، والصحف في ذلك الموقف العظيم كثيرة .

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٤ / ٦٠١)

٢١- (كواكب)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ اُنْتَثَرَتْ ﴾^(١) [الانفطار:٢] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا مستترًا تقديره (هي) ، نائب فاعل للفعل : ﴿ اُنْتَثَرَتْ ﴾ ، عاد على جمع ما لا يعقل ﴿ الْكَوَاكِبُ ﴾ ، والكواكب كثيرة .

٢٢ - (أساطير)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اَسْطِيرُ الْاَوَّلِينَ اَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَاَصِيلاً ﴾ [الفرقان:٥] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا ظاهرًا في قوله تعالى : ﴿ اَكْتَتَبَهَا - فَهِيَ ﴾ ومستترًا تقديره (هي) للفعل المبني للمجهول ﴿ تُمَلَّى ﴾ ؛ كلهن عدن على جمع ما لا يعقل ﴿ اَسْطِيرُ ﴾ ، قال الواحدي : " المعنى : وقالوا : الذي جاء به أساطير الأولين ، معناه: ما سطره الأولون . قال المفسرون : يعني قول النضر : هذا القرآن أحاديث الأولين حديث رستم واسفنديار " ^(١) . وأساطير الأولين كثيرة .

٢٣ - (وجوه)

عاد عليها الضمير في موضعين :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ اَنْ نَّطْمِسَ وُجُوْهَا فَنرُدَّهَا عَلٰى اَدْبَارِهَا اَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا اَصْحٰبَ السَّبْتِ وَكَانَ اَمْرُ اللّٰهِ مَفْعُوْلًا ﴾ [النساء: ٤٧] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ فَرُدَّهَا - اَدْبَارِهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ وُجُوْهَا ﴾ ، والوجوه كثيرة .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ وُوْجُوْهُ يَوْمَئِذٍ عَلِيْهَا غَبْرَةٌ ﴾^(١) تَرَهْفُهَا قَرَّةً ﴾ [عبس: ٤٠- ٤١] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ عَلِيْهَا - تَرَهْفُهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ وُوْجُوْهَا ﴾ ، والوجوه كثيرة .

٢٤ - (عظام)

عاد عليها الضمير في موضعين :

(١) تفسير البسيط للواحدي (١٦ / ٤٠٨)

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامًا ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَبِثْتُ مِائَةً عَامٍ فَأَنْظِرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَأَنْظِرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظِرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ [البقرة: ٢٥٩]

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ [يس: ٧٨-٧٩]

في هذين الموضعين عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ نُنْشِزُهَا - نَكْسُوهَا - يُحْيِيهَا - أَنْشَأَهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْعِظَامِ ﴾ ، و العظام كثيرة .

٢٥ - (ديار)

عاد عليها الضمير في موضعين :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَانُوا لَمْ يَغْتَوُوا فِيهَا إِلَّا إِنْ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ ﴿٦٨﴾ [هود: ٦٧-٦٨]

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنِيبَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَانُوا لَمْ يَغْتَوُوا فِيهَا إِلَّا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ [هود: ٩٤-٩٥]

في هذين الموضعين عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ فِيهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ دِيَرِهِمْ ﴾ ، قال مقاتل : " يعني في منازلهم حامدين ﴿ كَانُوا لَمْ يَغْتَوُوا فِيهَا ﴾ يقول كأنهم لم يكونوا في الدنيا قط " (١) ، وقال الزجاج : " يروى أن جبريل صاح بهم صيحة فماتوا في أمكنتهم ، فأصبحوا جاثمين لا يقدر على حركة قد ماتوا. ﴿ كَانُوا لَمْ يَغْتَوُوا فِيهَا ﴾ . كأن لم ينزلوا فيها ، يقال : غنينا بالمكان إذا أنزلنا به " (٢) ، وعلى هذا فديارهم كثيرة .

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٢ / ٢٨٩)

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣ / ٧٥)

عاد عليها الضمير في موضعين :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَّ مَعَ مَسْجِدِ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٤] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ فِيهَا - خَرَابَهَا - يَدْخُلُوهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ مَسْجِدَ ﴾ ، ومساجد الله كثيرة والله الحمد .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسْجِدٌ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ فِيهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ مَسْجِدَ ﴾ ، على خلاف بين أهل العلم في ذلك ؛ قال السمين الحلبي : " يُذْكَرُ فِيهَا اسم الله ﴿ يجوز أن يكون صفةً للمواضع المتقدمة كلها، إن أعَدْنَا الضميرَ مِنْ ﴿ فِيهَا ﴾ عليها ، أو صفةً للمساجد فقط ، إن خصَّصْنَا الضميرَ فِي ﴿ فِيهَا ﴾ بها، والأول أظهر"^(١)، وقال النحاس: " وقوله جلّ وعزّ : ﴿ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ الذي يجب في كلام العرب على حقيقة النظر أن يكون ﴿ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ ﴾ عائداً على المساجد لا على غيرها لأن الضمير يليها، ويجوز أن يكون يعود على ﴿ صَوَامِعُ ﴾ وما بعدها. ويكون المعنى : في وقت شرائعهم وإقامتهم الحدود والحقّ."^(٢) ، وجاء في تفسير الطبري أن الضحّاك يقول في قوله تعالى : ﴿ وَمَسَاجِدُ ﴾ " يَقُولُ فِي كُلِّ هَذَا يُذْكَرُ اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا، وَمَمْ يُخَصَّ الْمَسَاجِدُ .

وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَقُولُ: الصَّلَوَاتُ لَا تُهَدَّمُ، وَلَكِنْ حَمَلَهُ عَلَى فِعْلِ آخَرَ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَتُرِكَتْ صَلَوَاتٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا يَعْنِي: مَوَاضِعَ الصَّلَوَاتِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا هِيَ صَلَوَاتٌ، وَهِيَ كَنَائِسُ الْيَهُودِ، تُدْعَى بِالْعِبْرَانِيَّةِ: صَلَوَاتًا.

وَأَوَّلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ: لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ الرُّهْبَانِ ، وَبِيَعُ النَّصَارَى ، وَصَلَوَاتُ الْيَهُودِ ، وَهِيَ كَنَائِسُهُمْ ، وَمَسَاجِدُ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (٢٨٦ / ٨)

(٢) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (١٠١ / ٣)

كثيراً . وَإِنَّمَا قُلْنَا : هَذَا الْقَوْلُ أَوْلَى بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَعْرُوفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْمُسْتَفِيدِ فِيهِمْ، وَمَا خَالَفَهُ مِنَ الْقَوْلِ وَإِنْ كَانَ لَهُ وَجْهٌ فَعَيَّرُ مُسْتَعْمَلٍ فِيهَا وَجْهَهُ إِلَيْهِ مِنْ وَجْهَهُ إِلَيْهِ .^(١) ، وقال الرازي : " قَوْلُهُ: ﴿ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ مُخْتَصٌّ بِالْمَسَاجِدِ أَوْ عَائِدٌ إِلَى الْكُلِّ؟

الجواب : قَالَ الْكَلْبِيُّ وَمُقَاتِلٌ عَائِدٌ إِلَى الْكُلِّ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُذَكَّرُ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ كَثِيرًا ، وَالْأَقْرَبُ أَنَّهُ مُخْتَصٌّ بِالْمَسَاجِدِ تَشْرِيْفًا لَهَا بِأَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ يَحْضُلُ فِيهَا كَثِيرًا .^(٢) ، وقال يحيى بن سلام : " قَوْلُهُ : ﴿ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ يَعْنِي الْمَسَاجِدَ .^(٣) ، وقال أبو السعود : "﴿ومساجد﴾ للمسلمين ﴿يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ أي ذكراً كثيراً أو وقتاً صفةً مادحة للمساجدِ خُصَّتْ بِهَا دَلَالَةٌ عَلَى فَضْلِهَا وَفَضْلِ أَهْلِهَا وَقِيلَ صِفَةٌ لِلْأَرْبَعِ وَليْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّ بَيَانَ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الصَّوَامِعِ وَالبَيْعِ وَالكِنَائِسِ بَعْدَ انْتِسَاحِ شَرْعِيَّتِهَا مِمَّا لَا يَقْتَضِيهِ الْمَقَامُ وَلَا يَرْضِيهِ الْأَفْهَامُ^(٤) .

وعلى ذلك ؛ فالأقرب إلى الصواب - والله أعلم - ما قاله النحاس ، ويحيى بن سلام ، وأبو السعود ؛ وهو أن الضمير يعود على المساجد ، وذلك للاعتبارات الآتية :

- ١ . أنه أقرب مذكور ، وهو الأولى بعود الضمير .
- ٢ . أن ذلك فيه زيادة تشريف لها عن غيرها ، وهي لاشك أنها أشرف .
- ٣ . ما ذكره أبو السعود : أن بيان ذكر الله عز وجل في الصَّوَامِعِ وَالبَيْعِ وَالكِنَائِسِ بَعْدَ انْتِسَاحِ شَرْعِيَّتِهَا مِمَّا لَا يَقْتَضِيهِ الْمَقَامُ وَلَا يَرْضِيهِ الْأَفْهَامُ .
- ٤ . أن ذكر الله قد ورد في القرآن مقترنا ببيوت الله وهي المساجد في قوله تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذْنُ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدْوَةِ وَالْأَصَالِ ﴾^(٣٦)

[النور: ٣٦]

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٦ / ٥٨٦)

(٢) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي (٢٣ / ٤٢)

(٣) تفسير يحيى بن سلام (١ / ٣٨١)

(٤) تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) لأبي السعود (٤ / ٢٩)

عاد عليها الضمير في موضعين :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ فِي رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [لقمان: ١٠]

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد: ٢]

في هذين الموضعين عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ عَمَدٍ ﴾ ، وقيل على ﴿ السَّمَوَاتِ ﴾ ، قال مجاهد : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ " أَيْ : بِعَمَدٍ لَا تَرَوْنَهَا " (١) ، وقال الزجاج : " وقوله : ﴿ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ ، قيل في التفسير إنها بِعَمَدٍ لَا تَرَوْنَهَا ، أي لا ترون تلك العَمَدِ ، وقيل خلقها بغير عَمَدٍ وكذلك ترونها . والمعنى في التفسير يؤول إلى شيء واحد ، ويكون تأويل ﴿ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ الذي فُسِّرَ بِعَمَدٍ لَا تَرَوْنَهَا . يكون معنى العمدة قدرته عز وجل التي يمسك بها السماوات والأرض " (٢) .

والراجح - والله أعلم - أن الضمير يعود على ﴿ عَمَدٍ ﴾ ، وذلك لأن جمع ما لا يعقل في القرآن إذا دل على كثرة ؛ عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا ، والكثرة في هذا الموضع متناسبة مع العمدة و غير متناسبة مع السموات ؛ فالسموات سبع .

ومما يساعد على تقوية ذلك الاعتبار :

١. أن الأصل في قواعد اللغة العربية ؛ إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل

بخلافه ، وأقرب مذكور لهذا الضمير كلمة : عمد .

٢. لم يأت في القرآن لفظة (السموات) وعاد عليهن الضمير بالإنفراد البتة ، وإنما عاد

عليهن الضمير بالجمع في القرآن كله .

(١) تفسير الإمام مجاهد بن جبر (٤٠٣)

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤ / ١٩٤)

٢٨ - (فواحش)

عاد عليها الضمير في موضعين :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِءَ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقْنَا نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَلَّيْتُ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ [الأنعام: ١٥١]

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ [الأعراف: ٣٣]

في هذين الموضعين عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ مِنْهَا - مِنْهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْفَوَاحِشَ ﴾ ، وكذلك مقدرًا للفعل ﴿ بَطَنَ ﴾ ، قال الزجاج : " المعنى لا تقربوا ما ظهر من الفواحش وما بطن " (١) . وقال السمين الحلبي : " قوله ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ في محل نصب بدلاً من الفواحش بدل اشتمال أي: لا تقربوا ظاهرها وباطنها كقولك: ضربت زيدا ما ظهر منه وما بطن، ويجوز أن تكون ﴿ مَا ﴾ بدل البعض من الكل. و ﴿ مِنْهَا ﴾ متعلقٌ بمحذوفٍ لأنه حالٌ من فاعل ﴿ ظهر ﴾ . وحذِفَ (منها) بعد قوله ﴿ بطن ﴾ لدلالة قوله ﴿ مِنْهَا ﴾ في الأول عليه. " (٢) ، والفواحش كثيرةٌ .

٢٩ - (سراييل)

عاد عليها الضمير في موضعين :

- الموضع الأول ، والثاني / في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ [النحل: ٨١] ، حيث وردت كلمة (سراييل) مرتين في هذه الآية ، وعاد الضمير مفردًا مؤنثًا مستتراً تقديره (هي) للفعل : ﴿ تَقِيكُمْ ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢ / ٣٠٤)

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (٥ / ٢١٩)

﴿سَرَابِيلٌ﴾ ، يقول الزجاج : " كل ما لبسته فهو سربال . من قميص أو دِرْع أو حَوْشَنٍ أو غيره " (١) ، والسرابيل كثيرة .

٣٠ - (البحار)

عاد عليها الضمير في موضعين :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير:٦]

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار:٣]

في كلا الموضعين عاد الضمير مفردًا مؤنثًا مستترًا تقديره (هي) ؛ نائب فاعل للفعالين :

﴿سُجِّرَتْ - فُجِّرَتْ﴾ ، عاد على جمع ما لا يعقل ﴿الْبِحَارُ﴾ ، والبحار كثيرة .

٣١ - (مساكن)

عاد عليها الضمير في موضعين :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ عَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]

قال أبو حيان : " ومساكن ترضونها ، وهي القصور والدور " (٢) ، وهي كثيرة .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَلِكُنْهُمْ لَمْ

تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص:٥٨]

في هذين الموضعين عاد الضمير مفردًا مؤنثًا متصلًا في قوله تعالى : ﴿تَرْضَوْنَهَا﴾ ، ومستترًا

تقديره (هي) في محل رفع نائب فاعل للفعل ﴿تُسْكَنْ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل

﴿مَسَلِكِن﴾ ، والمساكن كثيرة .

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣ / ٢١٥)

(٢) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٥ / ٣٩١)

٣٢ - (رباح)

عاد عليها الضمير في موضعين :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الروم: ٤٨]

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ [فاطر: ٩]

في هذين الموضعين عاد الضمير مفردًا مؤنثًا مستترًا تقديره (هي) للفعل : ﴿ تُثِيرُ ﴾ ، عاد على جمع ما لا يعقل ﴿ الرِّيَّحِ ﴾ ، فكم من رياح أثار سحابًا ! .

٣٣ - (مفاتح)

عاد عليها الضمير في موضعين :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ مَفَاتِحِ ﴾ ، يقول الواحدي : " قال السدي والحسن : (و﴿ مَفَاتِحِ الْغَيْبِ ﴾ : خزائن الغيب) ، ونحو ذلك قال ابن عباس والضحاك ومقاتل (في المفاتيح : أنها الخزائن) . واختلفوا في معنى ﴿ الْغَيْبِ ﴾ هاهنا ، فقال ابن عباس في رواية عطاء : (يريد : ما غاب عنكم من الثواب والعقاب ، وما يصير إليه أمري وأمركم) .

وقال مقاتل : (يعني : خزائن غيب العذاب متى ينزل بكم ﴿ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾)^(١) ، والغائب عنا كثير .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَعَثْنَا عَلَيْهِمْ وَعَائِينَ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ [القصص: ٧٦] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا مستترًا تقديره (هي) للفعل ﴿ تَنُوءُ ﴾ ، عاد

(١) تفسير البسيط للواحدي (٨ / ١٨٩)

على جمع ما لا يعقل ﴿مَفَاتِحُ﴾ ، قال الفراء في قوله تعالى ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾ :
 " نوؤها بالعصبة أن تنقلهم ، والعصبة ها هنا أربعون رجلاً ، ومفاته: خزائنه" (١) ، وقال الطبري :
 " عَنْ خَيْثَمَةَ ، فِي قَوْلِهِ ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ قَالَ : بَجْدُ مَكْتُوبًا فِي
 الإِنْجِيلِ : مَفَاتِحُ قَارُونَ وَفِرُّ سِتِّينَ بَعْلًا عُرًّا مُحَجَّلَةً ، مَا يَزِيدُ كُلُّ مِفْتَاحٍ مِنْهَا عَلَى إِصْبَعٍ ، لِكُلِّ
 مِفْتَاحٍ مِنْهَا كَنْزٌ " (٢) ، وهذا لا شك كثير ؛ فإن قارون أوتي مالا وكنوزا كثيرة ، فللدلالة جمع ما
 لا يعقل على الكثرة عاد عليه الضمير مفردا مؤنثا .

٣٤ - (حدود)

عاد عليها الضمير في ثلاثة مواضع :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ
 لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَحْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ
 بَشِّرُوهُنَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ
 مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا
 تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ [البقرة: ١٨٧]

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ أَلْطَلْقَ مَرَّتَانٍ فإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ وَلَا
 يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ
 اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
 الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ [البقرة: ٢٢٩]

- الموضع الثالث / في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ
 فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ
 يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ [البقرة: ٢٣٠]

في كل هؤلاء المواضع الثلاثة عاد الضمير مفردا مؤنثا وذلك في قوله تعالى : ﴿ تَقْرُبُوهَا -
 تَعْتَدُوهَا - يُبَيِّنُهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ حُدُودٌ ﴾ . قال أبو حيان : " وحدود الله :

(١) معاني القرآن للفراء (١ / ٦٢٢)

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٨ / ٣١٣)

شروطه ، قاله السدي . أو : فرائضه ، قاله شهر بن حوشب . أو : معاصيه ، قاله الضحاك . وقال معناه الزمخشري ، قال : محارمه ومناهيه ، أو الحواجز هي الإباحة والحظر قاله ابن عطية . وإضافة الحدود إلى الله تعالى هنا ، وحيث ذكرت ، تدل على المبالغة في عدم الالتباس بها ، ولم تأت منكراً ولا معرفة بالألف واللام لهذا المعنى ^(١) ، وعلى ذلك فحدود الله كثيرة .

٣٥ - (نجوم)

عاد عليها الضمير في ثلاثة مواضع :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٧] ، حيث عاد الضمير مفرداً مؤنثاً في قوله تعالى : ﴿ بِهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ النُّجُوم ﴾ ، والنجوم كثيرة .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ [المرسلات: ٨]

- الموضع الثالث / في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ أَنْكَدَرَتْ ﴾ [التكوير: ٢]

في هذين الموضعين عاد الضمير مفرداً مؤنثاً مستتراً تقديره (هي) في محل رفع نائب فاعل للفعل المبني للمجهول ﴿ طُمِسَتْ - أَنْكَدَرَتْ ﴾ ، عاد على جمع ما لا يعقل ﴿ النُّجُوم ﴾ ، والنجوم كثيرة .

٣٦ - (قلوب)

عاد عليها الضمير في أربعة مواضع :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَقِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩]

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ

عَادَانُ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦]

في هذين الموضعين عاد الضمير مفرداً مؤنثاً في قوله تعالى : ﴿ بِهَا ﴾ ، على جمع ما لا يعقل ﴿ قُلُوب ﴾ ، والقلوب كثيرة .

(١) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٢ / ٢٢٢)

- الموضع الثالث / في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالهَا ﴾ [محمد: ٢٤] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ أَقْفَالهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ قُلُوبٍ ﴾ ، والقلوب كثيرة .

- الموضع الرابع / في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٤] ، في هذا الموضع عاد الضمير مفردًا مؤنثًا منفصلاً في قوله تعالى : ﴿ فَهِيَ ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ قُلُوبٍ ﴾ ، والقلوب كثيرة .

٣٧ - (قرى)

عاد عليها الضمير في ستة مواضع :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٠] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ مِنْهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْقُرَى ﴾ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : " يَعْنِي بِالْقَائِمِ قُرَى عَامِرَةً . وَالْحَصِيدِ قُرَى خَامِدَةً " (١) ، وقال أبو حيان : " ويحتمل أن يعني بالقرى قرى أولئك المهلكين المتقدم ذكرهم ، وأن يعني القرى عموماً أي : هذا النبا المقصوص عليك هو ديدن المدن إذ كفرت ، فدخل المدن المعاصرة . والضمير في منها عائد على القرى . قال ابن عباس : قائم وحصيد عامر كزغر ودائر ، وهذا على تأويل عموم القرى " (٢) . والقرى كثيرة .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ أَنْ لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا غَافِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣١]

- الموضع الثالث ، والرابع / في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ [القصص: ٥٩]

- الموضع الخامس / في قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠١]

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٢ / ٥٦٧)

(٢) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٦ / ٢٠٦)

في هؤلاء المواضع الأربعة ، عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى: ﴿ أَهْلَهَا - أُمَّهَا - أَهْلَهَا - أَنْبَاءِهَا ﴾ ، على جمع ما لا يعقل ﴿ الْقُرَى ﴾ ، والقرى كثيرة .
 - الموضع السادس / في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا منفصلاً ، وهو قوله تعالى: ﴿ هِيَ ﴾ ، على جمع ما لا يعقل ﴿ الْقُرَى ﴾ ، والقرى كثيرة .

٣٨ - (بيوت)

عاد عليها الضمير في سبعة مواضع :

- الموضع الأول ، والثاني / في قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَنْتُمْ بِالْبُيُوتِ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٩]

في هذين الموضعين عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ ظُهُورِهَا - أَبْوَابِهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْبُيُوتِ ﴾ ، و البيوت كثيرة .

- الموضع الثالث / في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ ﴾ [النحل: ٨٠] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ تَسْتَخِفُّونَهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْبُيُوتِ ﴾ ، والبيوت كثيرة .

- الموضع الرابع / في قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [٧٧] فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤَدِّنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٢٧- ٢٨] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى: ﴿ أَهْلِهَا - فِيهَا - تَدْخُلُوهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْبُيُوتِ ﴾ ، والبيوت كثيرة .

- الموضع الخامس / في قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ [النور: ٢٩] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ فِيهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْبُيُوتِ ﴾ ، والبيوت كثيرة .

- الموضع السادس / في قوله تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَ يُسَبِّحُ لَهُ

فِيهَا بِالْعُدْوِ وَالْأَصَالِ ﴿٣٦﴾ [النور: ٣٦] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا مستترًا تقديره (هي) ؛ نائب فاعل للفعل المبني للمجهول : ﴿ تَرْفَع ﴾ ، عاد على جمع ما لا يعقل ﴿ الْبُيُوتِ ﴾ ، وكذلك في هذا الموضع عاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا متصلًا في كلمتين ، وهما في قوله تعالى : ﴿ فِيهَا - فِيهَا ﴾ ، قال مجاهدٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ فِي بُيُوتِ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تَرْفَع ﴾ ، قَالَ : "مَسَاجِدُ تُبْنَى" ^(١) ، والمساجد كثيرة.

- الموضع السابع / في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأَثَرْتَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ [الأحزاب: ١٣-١٤] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا قوله تعالى : ﴿ هِيَ ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ بُيُوتِنَا ﴾ ، كما ورد كذلك في هذه الآية الفعل المبني للمجهول ﴿ دَخَلَتْ ﴾ ، و نائب الفاعل ضميرٌ مستترٌ مفردٌ ، تقديره (هي) يعود على جمع ما لا يعقل ﴿ بُيُوتِ ﴾ ، ثم عاد عليها الضمير كذلك مرة أخرى مفردًا مؤنثًا في كلمة ﴿ أَقْطَارِهَا ﴾ ، قال الواحدي : " قال مقاتل والفراء : لو دخلت عليهم المدينة . وقال الزجاج : لو دخلت البيوت . يعني : لو دخلها عليهم هؤلاء الذين يريدون القتال وهم الأحزاب من أقطارها من نواحيها " ^(٢) ، وعلى ذلك فإن عاد الضمير على (البيوت) ؛ فالبيوت كثيرة .

* القسم الثاني - ما عاد عليه الضمير جمعًا مؤنثًا فقط .

ورد في القرآن الكريم كلمتان لما لا يعقل ، جاءتا على صيغ جموع الكثرة ، وعاد عليهما الضمير جمعًا مؤنثًا فقط ، وذلك في موضعين ، وهما :

١ - (الجواري)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴿٣٦﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٧﴾ أَوْ يُوبِقُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٨﴾ [الشورى: ٣٢-٣٤] ، حيث عاد الضمير جمعًا مؤنثًا في

(١) تفسير الإمام مجاهد بن جبر (١ / ٤٩٣)

(٢) تفسير البسيط للواحدي (١٨ / ١٩٨)

قوله تعالى : ﴿ فَيُظَلَّلْنَ - يُوبِقُهُنَّ ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْجَوَارِ ﴾ ، قال مقاتل : " وقال : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظَلَّلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ﴾ قائمات على ظهر الماء فلا تجري ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴿ الذي ترون يعني السفن، إذا جرين وإذا ركدن ﴾ لآيَةٍ ﴿ يعني لعمرة ﴾ لِكُلِّ صَبَّارٍ ﴿ يقول كل صبور على أمر الله ﴾ شَكُورٍ ﴿ لله - تعالى - في هذه النعمة، ثم قال : ﴿ أَوْ يُوبِقُهُنَّ ﴾ يقول وإن يشأ يهلكهن يعني السفن ﴿ بِمَا كَسَبُوا ﴾ يعني بما عملوا من الشرك ﴿ وَيَعْفُ ﴾ يعني يتجاوز ﴿ عَنْ كَثِيرٍ ﴾ من الذنوب فينجيهم من الغرق والهلكة " (١) ، والعادة في اللغة العربية ؛ أنه إذا وصف غير العاقل بصفة تختص بالعاقل أجري عليه حكمه ، فيعود عليه الضمير بصيغة الجمع كما يعود الضمير على جمع العاقل مراعاة للمطابقة .

٢- (جوارح)

عاد عليها الضمير في موضع واحد فقط ، وهو في قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ [المائدة:٤] ، حيث عاد الضمير جمعاً مؤنثاً في قوله تعالى : ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ - أَمْسَكْنَ ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْجَوَارِحِ ﴾ ، قال الطبري : " يَعْنِي جَلَّ تَنَاوُهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ ﴾ تُؤَدُّونَ الْجَوَارِحَ ، فَتُعَلِّمُونَهُنَّ طَلَبَ الصَّيْدِ لَكُمْ ، ﴿ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ﴾ . يَعْنِي بِذَلِكَ : مِنَ التَّأْدِيبِ الَّذِي أَدَبَكُمُ اللَّهُ ، وَالْعِلْمِ الَّذِي عَلَّمَكُمُ " (٢) .

والعادة في اللغة العربية؛ أنه إذا وُصفَ غيرُ العاقلِ بصفةٍ تختصُ بالعاقلِ أُجْرِيَ عَلَيْهِ حُكْمُهُ، فيعود عليه الضمير بصيغة الجمع كما يعود الضمير على جمع العاقل مراعاة للمطابقة .

* القسم الثالث - ما عاد عليه الضمير مفرداً مؤنثاً، وجمعاً مؤنثاً .

ورد في القرآن الكريم كلمة واحدة لما لا يعقل ، جاءت على صيغ جموع الكثرة ، وعاد عليها الضمير مفرداً مؤنثاً ، وجمعاً مؤنثاً ، وهي كلمة (جبال) ، وذلك في اثني عشر موضعاً ، وتفصيل ذلك :

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣ / ٧٧١)

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (٨ / ١٠٧)

أولاً / المواضع التي عاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا ؛ عشرة مواضع ، هن :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٦﴾ لَا تَبْقَى فِيهَا غِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٧﴾ ﴾ [طه: ١٥-١٠٧]

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ وَالْجِبَالِ أَرْسِلَهَا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النازعات: ٣٢]

في هذين الموضعين ، عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ يَنْسِفُهَا - فَيَذَرُهَا - فِيهَا - أَرْسِلَهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْجِبَالِ ﴾ ، والجبال كثيرة .

- الموضع الثالث / في قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النمل: ٨٨] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا ظاهرًا في قوله تعالى : ﴿ تَحْسَبُهَا - هِيَ ﴾ ، ومستترًا تقديره (هي) للفعل ﴿ تَمُرُّ ﴾ ، عاد على جمع ما لا يعقل ﴿ الْجِبَالِ ﴾ و الجبال كثيرة .

- الموضع الرابع / في قوله تعالى : ﴿ وَوُضِعَتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ ﴾ [الواقعة: ٥]

- الموضع الخامس / في قوله تعالى : ﴿ وَسَيَّرَتِ الْجِبَالَ كَأَنَّ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [النبا: ٢٠]

في هذين الموضعين عاد الضمير مفردًا مؤنثًا مستترًا تقديره (هي) للفعل ﴿ كَانَتْ ﴾ ؛ عاد على جمع ما لا يعقل ﴿ الْجِبَالِ ﴾ والجبال كثيرة .

- الموضع السادس / في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ ﴾ [التكوير: ٣]

- الموضع السابع / في قوله تعالى : ﴿ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٦﴾ ﴾ [الغاشية: ١٦]

- الموضع الثامن / في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١١﴾ ﴾ [المرسلات: ١١]

في هؤلاء المواضع الثلاثة، عاد الضمير مفردًا مؤنثًا مستترًا تقديره (هي) للفعل المبني للمجهول ﴿ سَيَّرَتْ - نُصِبَتْ - نُسِفَتْ ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْجِبَالِ ﴾ والجبال كثيرة .

- الموضع التاسع / في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أُوَّيِّ مَعَهُ وَالطَّيْرِ ﴿١٠﴾ ﴾ [سبأ: ١٠] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا مستترًا تقديره (أنت) لفعل الأمر

﴿ أُوَّيِّ ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْجِبَالِ ﴾ ، والجبال كثيرة ، وهنا أنزلة منزلة العقلاء ، إلا أنها لم تخاطب بضمير الجمع المؤنث كالعقلاء ، وهذا في لفظة جميلة ذكرها الزمخشري في تفسيره فقال : " من الدلالة على عزّة الربوبية وكبرياء الإلهية، حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين إذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا، وإذا دعاهم سمعوا وأجابوا: إشعارًا بأنه ما من حيوان وجماد

وناطق وصامت ، إلا وهو منقاد لمشيئته ، غير ممتنع على إرادته ^(١) ، وعلى ذلك خُوِطِبَتْ بضمير المفرد المؤنث ؛ لكثرتها وليبان أصل خلقتها وأنها مما لا يعقل ، فما من حيوان ولا جماد ولا ناطق ولا صامت ، إلا وهو منقاد لمشيئة الله - عز جاهه - غير ممتنع على إرادته .

- الموضع العاشر / في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقِ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُو ثُمَّ يَجْعَلُهُو رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِو وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُو عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِو يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ [النور:٤٣] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ فِيهَا ﴾ على من قال أنه يعود على جمع ما لا يعقل ﴿ الْجِبَالِ ﴾ ، قال الزمخشري : " ما الفرق بين من الأولى والثانية والثالثة في قوله مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ، مِنْ بَرَدٍ؟ قلت: الأولى لا ابتداء الغاية. والثانية للتبعيض. والثالثة للبيان. أو الأوليان لا ابتداء، والآخرة للتبعيض. ومعناه: أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها، وعلى الأول مفعول ﴿ ينزل ﴾ : ﴿ مِنْ جِبَالٍ ﴾ . فإن قلت: ما معنى ﴿ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾ ؟ قلت: فيه معنيان. أحدهما: أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الأرض جبال حجر. والثاني: أن يريد الكثرة بذكر الجبال، كما يقال: فلان يملك جبالا من ذهب. " ^(٢) ، فإن اعتبرنا عود الضمير على الجبال، فالجبال ذكرت على سبيل التهويل ، وعلى ذلك فهي كثيرة .

ثانيا / المواضع التي عاد عليها الضمير جمعا مؤنثا ؛ موضعان :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُو يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ [ص:١٨]

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَنَو وَكُلَّآءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاو وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَو وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ [الأنبياء:٧٩]

في هذين الموضعين ؛ عاد الضمير جمعا مؤنثا في قوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحْنَ ﴾ عاد على جمع ما لا يعقل ﴿ الْجِبَالِ ﴾ ، والعادة في اللغة العربية ؛ أنه إذا وُصِفَ غيرُ العاقلِ بِصفةٍ تَحْتَصُ بِالْعَاقِلِ أُجْرِيَ عَلَيْهِ حُكْمُهُ ، فيعود عليه الضمير بصيغة الجمع كما يعود الضمير على جمع العاقل مراعاةً للمطابقة .

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (٨٦٩)

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (٧٣٢)

* القسم الرابع - ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا، وجمعًا مذكرًا .

ورد في القرآن الكريم كلمة واحدة لما لا يعقل ، جاءت على صيغ جموع الكثرة ، وعاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا ، وجمعًا مذكرًا ، وهي كلمة (جلود) ، وذلك في موضعين ؛ وهما :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ٥٦] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا ، قوله تعالى : ﴿ غَيْرَهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ جُلُود ﴾ ، والجلود كثيرة ؛ لكثرة الذين كفروا بآيات الله .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَلْجُلُودِ لَهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [فصلت: ٢١] ، حيث عاد الضمير جمعًا مذكرًا للعقلاء ، في قوله تعالى : ﴿ شَهِدْتُمْ ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ جُلُود ﴾ ، وكذلك (واو الجماعة) في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا ﴾ ، ودل على العقلاء ، والعادة في اللغة العربية ؛ أنه إذا وُصفَ غيرُ العاقلِ بصفةٍ تختصُ بالعاقلِ أُجْرِيَّ عَلَيْهِ حُكْمُهُ ، فيعود عليه الضمير بصيغة الجمع كما يعود الضمير على جمع العاقل مراعاةً للمطابقة .

* القسم الخامس - ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا، ومفردًا مذكرًا .

ورد في القرآن الكريم كلمة واحدة لما لا يعقل ، جاءت على صيغ جموع الكثرة ، وعاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا، ومفردًا مذكرًا، وهي كلمة (حجارة) ، وذلك في موضع واحد فقط، وهو في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ فُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٤] ، حيث ورد جمع ما لا يعقل ﴿ الْحِجَارَةِ ﴾ وعاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ مِنْهَا - مِنْهَا ﴾ ، والحجارة كثيرة .

وأما الضمير المفرد في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ﴾ ، فيقول ابن عطية : " ووحده الضمير في ﴿ مِنْهُ ﴾ حملاً على لفظ (ما) ، وقرأ أبي بن كعب والضحاك (منها الأنهار) حملاً على الحجارة " (١) ، وقال الواحدي : " الكناية عائدة على ﴿ ما ﴾ ، و

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (١ / ١٦٧)

(ما) من المبهمات يجوز تذكيره وتأنيثه ، تقول العرب : من النعال ما يعجبني بالياء والتاء حملاً على التأويل. وقيل : إن ﴿ من ﴾ واقعة على بعض الحجارة، وبعض مذكر، والعرب تقول: بعض النساء قام، وبعضهن قمن، فمن ذكر فللفظ (بعض) ومن أنث فلتأويله " (١) ، فجاء في هذا الموضع ما يستلزم التذكير .

(١) تفسير البسيط للواحدى (٣ / ٧١)

المبحث الثالث / ما جمع بالألف والتاء مما لا يعقل في القرآن وعاد عليه الضمير

ورد في القرآن خمس عشرة كلمة لما لا يعقل ، جُمعت بالألف والتاء ، وعاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا ، ومفردًا مذكرًا ، وجمعًا مؤنثًا ، في ستة ومئة موضعٍ . وتفصيل ذلك جاء على أربعة أقسام :

* القسم الأول - ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا فقط .

ورد في القرآن الكريم تسع كلماتٍ لما لا يعقل ، جمعت بالألف والتاء ، عاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا فقط ، وذلك في ثمانية وثمانين موضعًا ، وهن :

١ - (خيرات)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦١] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا ، في قوله تعالى : ﴿ لَهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْخَيْرَاتِ ﴾ ، و الخيرات كثيرة .

٢ - (أمانات)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا ، في قوله تعالى : ﴿ أَهْلِهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْأَمَانَاتِ ﴾ ، والأمانات كثيرة .

٣ - (سيئات)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَعَمِنُوا وَإِنَّ رَبَّكَ مِنَ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٥٣] ، حيث عاد الضمير مفردًا

مؤنثًا ، في قوله تعالى : ﴿ بَعْدَهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ أَلْسِيَّاتٍ ﴾ ، قال البيضاوي :
 " ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ من الكفر والمعاصي . ﴿ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا ﴾ من بعد
 السيئات . ﴿ وَآمَنُوا ﴾ واشتغلوا بالإيمان وما هو مقتضاه من الأعمال الصالحة . ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ
 بَعْدِهَا ﴾ من بعد التوبة . ﴿ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وإن عظم الذنب كجرمة عبدة العجل ، وكثر
 كجرائم بني إسرائيل ."^(١)

قال ابن الجوزي : " قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ فيها قولان .
 أحدهما : أنها الشرك . والثاني : الشرك وغيره من الذنوب . ﴿ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا ﴾ يعني
 السيئات . وفي قوله تعالى : ﴿ وَآمَنُوا ﴾ قولان .

أحدهما : آمنوا بالله ، وهو يُجْرَجُ على قول من قال : هي الشرك .
 والثاني : آمنوا بأن الله تعالى يقبل التوبة . ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ يعني السيئات ."^(٢) ، قال
 القرطبي : " ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ أي الكفر والمعاصي . ﴿ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا ﴾ أي من بعد
 فعلها . ﴿ وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ أي من بعد التوبة ﴿ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾"^(٣) ، والسيئات كثيرة .

٤ - (صافنات)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ إِذْ غُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ
 الصَّفِينَتِ الْجِيَادِ ﴾ فَقَالَ إِنَِّّي أَحَبُّتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿ ٣٣ ﴾ رُدُّوْهَا عَلَيَّ
 فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿ ٣٤ ﴾ [ص: ٣١-٣٣] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا مستترًا تقديره
 (هي) للفعل : ﴿ تَوَارَتْ ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ الصَّفِينَتِ ﴾ ، كما عاد عليها الضمير
 مفردًا مؤنثًا متصلًا في قوله تعالى : ﴿ رُدُّوْهَا ﴾ ، والصفانات الجياد كثيرة .

وفي عود الضمير في هذه الآية خلاف ذكر أوجهه الرازي وفنده في تفسيره حيث قال : " ثُمَّ
 قَالَ تَعَالَى : ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ ﴾ أَقُولُ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ ﴾ ، وَفِي قَوْلِهِ : ﴿ رُدُّوْهَا ﴾
 يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَائِدًا إِلَى الشَّمْسِ ، لِأَنَّهُ جَرَى ذَكَرَ مَالَهُ تُعَلِّقُ بِهَا وَهُوَ الْعَشِيُّ

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٣ / ٣٦)

(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٣ / ٢٦٦)

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩ / ٣٤٥)

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَائِدًا إِلَى الصَّافِنَاتِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْأَوَّلُ مُتَعَلِّمًا بِالشَّمْسِ وَالثَّانِي بِالصَّافِنَاتِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ، فَهَذِهِ اِحْتِمَالَاتٌ أَرْبَعَةٌ لَا مَزِيدَ عَلَيْهَا فَالْأَوَّلُ: أَنْ يَعُودَ الضَّمِيرَانِ مَعًا إِلَى الصَّافِنَاتِ، كَأَنَّهُ قَالَ حَتَّى تَوَارَتْ الصَّافِنَاتُ بِالْحِجَابِ رُدُّوا الصَّافِنَاتِ عَلَيَّ، وَالِاحْتِمَالُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرَانِ مَعًا عَائِدِينَ إِلَى الشَّمْسِ كَأَنَّهُ قَالَ حَتَّى تَوَارَتْ الشَّمْسُ بِالْحِجَابِ رُدُّوا الشَّمْسَ، وَرُوِيَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا اشْتَعَلَ بِالْحَيْلِ فَاتَتْهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ، فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَرُدَّ الشَّمْسَ فَقَوْلُهُ: ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ﴾ إِيَّاهُ إِلَى طَلَبِ رَدِّ الشَّمْسِ، وَهَذَا الْإِحْتِمَالُ عِنْدِي بَعِيدٌ وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ وَجُوهُ الْأَوَّلِ: أَنَّ الصَّافِنَاتِ مَذْكُورَةٌ تَصْرِيحًا، وَالشَّمْسُ غَيْرُ مَذْكُورَةٍ وَعَوْدُ الضَّمِيرِ إِلَى الْمَذْكُورِ أَوْلَى مِنْ عَوْدِهِ إِلَى الْمُقَدَّرِ الثَّانِي: أَنَّهُ قَالَ: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ وَظَاهِرُ هَذَا اللَّفْظِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ سُؤْلِيَّانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقُولُ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي. وَكَانَ يُعِيدُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ إِلَى أَنْ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ، فَلَوْ قُلْنَا الْمُرَادُ حَتَّى تَوَارَتْ الصَّافِنَاتُ بِالْحِجَابِ كَانَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ حِينَ وَقَعَ بَصْرُهُ عَلَيْهَا حَالَ جَرْيِهَا كَانَ يَقُولُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ إِلَى أَنْ غَابَتْ عَنْ عَيْنِهِ وَذَلِكَ مُنَاسِبٌ، وَلَوْ قُلْنَا الْمُرَادُ حَتَّى تَوَارَتْ الشَّمْسُ بِالْحِجَابِ كَانَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ كَانَ يُعِيدُ عَيْنَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مِنْ وَقْتِ الْعَصْرِ إِلَى وَقْتِ الْمَغْرِبِ، وَهَذَا فِي غَايَةِ الْبُعْدِ الثَّلَاثُ: أَنَّا لَوْ حَكَمْنَا بِعَوْدِ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ حَتَّى تَوَارَتْ إِلَى الشَّمْسِ وَحَمَلْنَا اللَّفْظَ عَلَى أَنَّهُ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ كَانَ هَذَا مُنَافِيًا لِقَوْلِهِ: ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ فَإِنَّ تِلْكَ الْمَحَبَّةَ لَوْ كَانَتْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ لَمَا نَسِيَ الصَّلَاةَ وَلَمَا تَرَكَ ذِكْرَ اللَّهِ، الرَّابِعُ: أَنَّهُ بِتَقْدِيرِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَقِيَ مَشْغُولًا بِتِلْكَ الْحَيْلِ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَفَاتَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ؟، فَكَانَ ذَلِكَ ذَنْبًا عَظِيمًا وَجُزْمًا قَوِيًّا، فَالْأَلْيَقُ بِهَذِهِ الْحَالَةِ التَّضَرُّعُ وَالْبُكَاءُ وَالْمُبَالَغَةُ فِي إِظْهَارِ التَّوْبَةِ، فَأَمَّا أَنْ يَقُولَ عَلَى سَبِيلِ التَّهَوُّرِ وَالْعَظَمَةِ لِإِلَهِ الْعَالَمِ وَرَبِّ الْعَالَمِينَ، رُدُّوْهَا عَلَيَّ بِمِثْلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْعَارِيَةِ عَنْ كُلِّ جِهَاتِ الْأَدَبِ عَقِيبَ ذَلِكَ الْجُرْمِ الْعَظِيمِ، فَهَذَا لَا يَصْدُرُ عَنْ أَبْعَدِ النَّاسِ عَنِ الْخَيْرِ، فَكَيْفَ يَجُوزُ إِسْنَادُهُ إِلَى الرَّسُولِ الْمُطَهَّرِ الْمُكْرَمِ الْحَامِسُ: أَنَّ الْقَادِرَ عَلَى تَحْرِيكِ الْأَفْلَاقِ وَالْكَوَاكِبِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى فَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ رُدُّوْهَا عَلَيَّ وَلَا يَقُولَ رُدُّوْهَا عَلَيَّ، فَإِنْ قَالُوا إِنَّمَا ذَكَرَ صِيغَةَ الْجَمْعِ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى تَعْظِيمِ الْمُخَاطَبِ فَنَقُولُ قَوْلُهُ: ﴿رُدُّوْهَا﴾ لَفْظٌ مُشْعِرٌ بِأَعْظَمِ أَنْوَاعِ الْإِهَانَةِ فَكَيْفَ يَلِيْقُ بِهَذَا اللَّفْظِ رِعَايَةُ التَّعْظِيمِ السَّادِسُ: أَنَّ الشَّمْسَ لَوْ رَجَعَتْ بَعْدَ الْعُرُوبِ لَكَانَ ذَلِكَ مُشَاهِدًا لِكُلِّ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَوْ كَانَ

الْأَمْرُ كَذَلِكَ لَتَوَفَّرَتِ الدَّوَاعِي عَلَى نَقْلِهِ وَإِظْهَارِهِ، وَحَيْثُ لَمْ يُقْلَ أَحَدٌ ذَلِكَ عَلِمْنَا فَسَادَهُ السَّابِغُ: أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ ﴿١﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ وَعَوْدُ الضَّمِيرِ إِلَى أَقْرَبِ الْمَذْكُورِينَ أَوْلَى، وَأَقْرَبُ الْمَذْكُورِينَ هُوَ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ، وَأَمَّا الْعَشِيُّ فَأَبْعَدُهُمَا فَكَانَ عَوْدُ ذَلِكَ الضَّمِيرِ إِلَى الصَّافِنَاتِ أَوْلَى، فَتَبَّتْ بِمَا ذَكَرْنَا أَنَّ حَمَلَ قَوْلِهِ: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ عَلَى تَوَارِي الشَّمْسِ وَأَنَّ حَمَلَ قَوْلِهِ: ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ﴾ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ طَلَبُ أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ الشَّمْسَ بَعْدَ غُرُوبِهَا كَلَامٌ فِي غَايَةِ الْبُعْدِ عَنِ النَّظْمِ. ^(١)

٥ - (طيبات)

عاد عليها الضمير في موضعين :

- الموضع الأول / في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ [الأحقاف: ٢٠]، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا، في قوله تعالى: ﴿بِهَا﴾؛ على جمع ما لا يعقل ﴿طَيِّبَت﴾ ، والطيبات كثيرة .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى: ﴿فِي ظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ ﴿١٦﴾ [النساء: ١٦٠] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا مستتراً تقديره (هي) ، نائب فاعل للفعل المبني للمجهول: ﴿أُحِلَّتْ﴾ ، عاد على جمع ما لا يعقل ﴿طَيِّبَت﴾ ، يقول الرازي: "أَنَّ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ كَانَتْ مُحَلَّلَةً لَهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ ﴿١٤٦﴾ [الأنعام: ١٤٦]" ^(٢) ، وهذا كثير .

٦ - (ظلمات)

عاد عليها الضمير في موضعين :

(١) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي (٢٦ / ٢٠٤)

(٢) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي (١١ / ١٠٦)

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا ، في قوله تعالى : ﴿مِنْهَا﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ ، والظلمات كثيرة ، كظلمات الكفر ، وظلمات الشرك ، وظلمة الشهوات ، وظلمة الشبهات ، وكل مرض نفسي ظلمة . بينما جاء النور مفردًا ؛ ليدل على أن طريق الحق واحد ، وأن طرق الشيطان وسبله كثيرة .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٤٠] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا ، في قوله تعالى : ﴿بَعْضُهَا﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ظُلُمَاتٍ﴾ ، قال أبو السعود : " أي هي ظلماتٌ ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ أي متكاثفة متراكمة وهذا بيان لكمال شدة الظلمات " (١) ، فهي ظلمات البحر اللجِّي ، وظلمة الموج من فوقه ظلمة الموج المتتابع ، من فوقه ظلمة السحاب ، فلدلالة كثافتها وتراكمها وشدتها ؛ عاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا .

٧ - (صدقات)

عاد عليها الضمير في ثلاثة مواضع :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾ [البقرة: ٢٧١] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿هِيَ - تُخْفُوهَا - تُؤْتُوهَا﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿الصَّدَقَاتِ﴾ ، والصدقات مهما قلة فهي كثيرة ، فلا تحقرن من المعروف شيئًا ، قال أبو حيان : " و ﴿هي﴾ : ضمير عائد على الصدقات ، وهو على حذف مضاف أي : فنعم ابدأؤها ، ويجوز أن لا يكون على حذف مضاف ، بل يعود على الصدقات بقيد وصف الإبداء ، والتقدير في : ﴿فنعم هي﴾ ، فنعم الصدقات المبدأة وهي مبتدأ على أحسن الوجوه ، وجملة المدح خبر عنه ، والرابط هو العموم الذي في المضمرة المستكن في : نعم " (٢) .

(١) تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) لأبي السعود (٤ / ١٢٨)

(٢) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٢ / ٦٨٩)

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسَخَطُونَ ﴾ [التوبة: ٥٨] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا ، في قوله تعالى : ﴿ مِنْهَا - مِنْهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ الصَّدَقَاتُ ﴾ .

- الموضع الثالث / في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا ، في قوله تعالى : ﴿ عَلَيْهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ الصَّدَقَاتُ ﴾ ، فالصدقة وإن قلة فهي كثيرة، فلا يليق أن يعود عليها الضمير جمعًا .

٨ - (آيات)

عاد عليها الضمير في خمسة وثلاثين موضعًا :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٢]

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٨]

يقول ابن كثير عند تفسير آية آل عمران : " أَيُّ هَذِهِ آيَاتِ اللَّهِ وَحُجَجِهِ وَبَيِّنَاتِهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ أَي نَكْشِفُ مَا الْأَمْرُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ " (١)

- الموضع الثالث / في قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجنات: ٦]

في هؤلاء المواضع الثلاثة ، عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ نَتْلُوهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ ءَايَاتُ ﴾ ، والآيات المتلوة كثيرة .

- الموضع الرابع / في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن دُكِّرَ بَيِّنَاتٍ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة: ٢٢]

- الموضع الخامس / في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن دُكِّرَ بَيِّنَاتٍ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١ / ٣٣٦)

يَهْتَدُوا إِذَا أَبَدَا ﴿٥٧﴾ [الكهف: ٥٧]

في هذين الموضعين عاد الضمير مفردًا مؤنثًا ، في قوله تعالى : ﴿عَنْهَا﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ءَايَاتُ﴾ ، قال الطبري : " يقول تعالى ذكره : وَأَيُّ النَّاسِ أَظْلَمُ لِنَفْسِهِ مِمَّنْ وَعَظَّمَهُ اللَّهُ بِحُجَجِهِ ، وَأَيُّ كِتَابِهِ وَرُسُلِهِ ، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، فلم يتعظ بمواعظه " (١) ، وهي كثيرة .

- الموضع السادس / في قوله تعالى : ﴿وَأَتَيْنَهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَاثَرُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الحجر: ٨١] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا ، في قوله تعالى : ﴿عَنْهَا﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ءَايَاتُ﴾ ، يقول الطبري : " يَقُولُ : وَأَرَيْنَاهُمْ أَدِلَّتِنَا وَحُجَجِنَا عَلَى حَقِيقَةِ مَا بَعَثْنَا بِهِ إِلَيْهِمْ رَسُولَنَا صَالِحًا ، فَكَاثَرُوا عَنْ آيَاتِنَا الَّتِي آتَيْنَاهُمُوهَا مُعْرِضِينَ ، لَا يَعْتَبِرُونَ بِهَا وَلَا يَنْعَظُونَ " (٢) ، وهي كثيرة .

- الموضع السابع / في قوله تعالى : ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأنعام: ١٥٧]

- الموضع الثامن / في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأعراف: ٣٦]

- الموضع التاسع / في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف: ٤٠]

- الموضع العاشر / في قوله تعالى : ﴿فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَفْنَاهُمْ فِي آلِيمٍ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأعراف: ١٣٦]

- الموضع الحادي عشر / في قوله تعالى : ﴿سَأَصْرَفُ عَنْ ءَايَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعِغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف: ١٤٦]

في هؤلاء المواضع الخمسة ، عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿عَنْهَا﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ءَايَاتُ﴾ ، وفي كل هؤلاء المواضع كان المقصود بالآيات حجج الله و أدلته

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٨ / ٦٣٤)

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٤ / ١٠٤)

وآي كتابه ، يقول الطبري : " الْمُكَذِّبُونَ بِحُجَجِ اللَّهِ وَأَدْلَتِهِ وَهِيَ آيَاتُهُ " (١) ، وهي كثيرة .

- الموضع الثاني عشر / في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [السجدة: ١٥] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا، في قوله تعالى : ﴿ عَنْهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ آيَاتِ ﴾ ، يقول الطبري : " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : مَا يُصَدِّقُ بِحُجَجِنَا وَآيَاتِ كِتَابِنَا إِلَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا وَوُعِظُوا ﴿ خَرُّوا ﴾ لِلَّهِ ﴿ سُجَّدًا ﴾ " (٢) ، وهي كثيرة .

- الموضع الثالث عشر / في قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ - إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠] .

- الموضع الرابع عشر / في قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آذًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٤] .

- الموضع الخامس عشر / في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا السُّوْءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الروم: ١٠] .

- الموضع السادس عشر / في قوله تعالى : ﴿ بَلْ قَدْ جَاءَكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر: ٥٩] .

- الموضع السابع عشر / في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ وَعَاتَيْنَا تُمُودَ النَّاقَةِ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء: ٥٩] .

في هؤلاء المواضع الخمسة ، عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ بِهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ آيَاتِ ﴾ ، والمقصود بالآيات حجج الله و أدلته وآي كتابه ، وهي كثيرة .

- الموضع الثامن عشر / في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠٣] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا ، في قوله تعالى : ﴿ بِهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ آيَاتِ ﴾ ، قال الرازي : " هَذِهِ الْآيَةُ تُدَلُّ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى آتَاهُ آيَاتٍ كَثِيرَةً وَمُعْجَزَاتٍ كَثِيرَةً .

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٠ / ١٠)

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٨ / ٦٠٧)

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَوَّلُ آيَاتِهِ الْعَصَا ثُمَّ الْيَدُ، ضَرَبَ بِالْعَصَا بَابَ فِرْعَوْنَ، فَفَرَعَ مِنْهَا فَشَابَ رَأْسُهُ ، فَاسْتَحْيَا فَخَضَّبَ بِالسَّوَادِ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَضَّبَ. قَالَ: وَآخِرُ الْآيَاتِ الطَّمْسُ. قَالَ: وَلِلْعَصَا فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا مَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي الْقُرْآنِ كَقَوْلِهِ: ﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾ [طه: ١٨] وَذَكَرَ اللَّهُ مِنْ تِلْكَ الْمَآرِبِ فِي الْقُرْآنِ قَوْلَهُ: ﴿ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ [البقرة: ٦٠] وَذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَشْيَاءَ أُخْرَى مِنْهَا: أَنَّهُ كَانَ يَضْرِبُ الْأَرْضَ بِهَا فَتَنْبُثُ، وَمِنْهَا: أَنَّهُ كَانَتْ تُحَارِبُ اللَّصُوصَ وَالسَّبَّاعَ الَّتِي كَانَتْ تَقْصِدُ غَنَمَهُ ، وَمِنْهَا: أَنَّهَا كَانَتْ تَشْتَعِلُ فِي اللَّيْلِ كَاشْتِعَالِ الشَّمْعَةِ، وَمِنْهَا: أَنَّهَا كَانَتْ تَصِيرُ كَالْحَبْلِ الطَّوِيلِ فَيَنْزُحُ بِهِ الْمَاءُ مِنَ الْبُئْرِ الْعَمِيقَةِ " (١)، فلدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا .

- الموضع التاسع عشر / في قوله تعالى : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا ، في قوله تعالى: ﴿ مِّنْهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ ءَايَاتِ ﴾ ، يقول الطبري : " قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَمَرَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتْلُو عَلَى قَوْمِهِ خَبَرَ رَجُلٍ كَانَ اللَّهُ آتَاهُ حُجَجَهُ وَأَدْلَتَهُ، وَهِيَ الْآيَاتُ. " (٢) وهي كثيرة .

- الموضع العشرون / في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بَيِّنَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ [الزحرف: ٤٧] ، في هذا الموضع ، عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ مِّنْهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ ءَايَاتِ ﴾ ، قال الطبري : " ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بَيِّنَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ يقول : فَلَمَّا جَاءَ مُوسَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئُهُ بِحُجَجِنَا وَأَدْلَتِنَا عَلَى حَقِيقَةِ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ كَمَا جِئْتَ أَنْتَ قَوْمَكَ بِحُجَجِنَا عَلَى صِدْقِ قَوْلِكَ فِيمَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْبِرَاءَةِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَلْهَةِ، إِذَا فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ مِمَّا جَاءَهُمْ بِهِ مُوسَى مِنَ الْآيَاتِ وَالْعِبَرِ يَضْحَكُونَ؛ كَمَا أَنَّ قَوْمَكَ مِمَّا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْعِبَرِ يَسْخَرُونَ " (٣).

(١) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي (١٤ / ١٩٧)

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٠ / ٥٧٤)

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (٢٠ / ٦٠٧)

- الموضع الحادي والعشرون / في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾ [طه: ٥٦] ، في هذا الموضع ؛ عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ كُلَّهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ آيَاتِ ﴾ ، قال الطبري : " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَلَقَدْ أَرَيْنَا فِرْعَوْنَ ﴿ آيَاتِنَا ﴾ ، يَعْنِي: أَدَلَّتْنَا وَحُجَّجْنَا عَلَى حَقِيقَةِ مَا أَرْسَلْنَا بِهِ رَسُولَيْنَا، مُوسَى وَهَارُونَ إِلَيْهِ ﴿ كُلَّهَا ﴾ ، ﴿ فَكَذَّبَ ﴾ بِهَا ﴿ وَأَبَى ﴾ " (١) .

- الموضع الثاني والعشرون / في قوله تعالى : ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلَّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٤٢] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا، في قوله تعالى : ﴿ كُلَّهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ آيَاتِ ﴾ ، قال الطبري : " يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: كَذَّبَ آلَ فِرْعَوْنَ بِأَدْلَتِنَا الَّتِي جَاءَتْهُمْ مِنْ عِنْدِنَا ، وَحُجَّجْنَا الَّتِي أَتَتْهُمْ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ كُلَّهَا ﴾ فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ " (٢) .

- الموضع الثالث والعشرون / في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ [الفرقان: ٧٣] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ عَلَيْهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ آيَاتِ ﴾ ، قال الطبري : " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرْهُمْ مُدَكِّرٌ بِحُجِّجِ اللَّهِ ، لَمْ يَكُونُوا صُمًّا لَا يَسْمَعُونَ ، وَعُمْيًّا لَا يُبْصِرُونَهَا. وَلَكِنَّهُمْ يَقَاطُ الْقُلُوبِ ، فَهَمَاءُ الْعُقُولِ ، يَفْهَمُونَ عَنِ اللَّهِ مَا يُدَكِّرُهُمْ بِهِ ، وَيَفْهَمُونَ عَنْهُ مَا يُنْبِئُهُمْ عَلَيْهِ ، فَيُوعُونَ مَوَاعِظَهُ آذَانًا سَمِعَتْهُ ، وَقُلُوبًا وَعَعْتَهُ. وَبَنَحُوا الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ " (٣) .

- الموضع الرابع والعشرون / في قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٩٣] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا ، في قوله تعالى : ﴿ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ آيَاتِ ﴾ ، قال الطبري : " سَيُرِيكُمْ رَبُّكُمْ آيَاتِ عَذَابِهِ وَسَخَطِهِ، فَتَعْرِفُونَ بِهَا حَقِيقَةَ نُصْحِي كَانَ لَكُمْ، وَيَتَّبِعُونَ صِدْقَ مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ مِنَ الرَّشَادِ. وَبَنَحُوا الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. " (٤) .

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٦ / ٨٧)

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (٢٢ / ١٥٤)

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٧ / ٥٢٧)

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٨ / ١٤٧)

- الموضع الخامس والعشرون / في قوله تعالى : ﴿ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَمَا أَنْتَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسِي ﴾ [طه: ١٢٦] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا ، في قوله تعالى : ﴿ فَنَسِيَتْهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ آيَات ﴾ ، قال الطبري : " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : قَالَ اللَّهُ حِينَئِذٍ لِلْقَائِلِ لَهُ : ﴿ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ ، فَحَشَرْتُكَ أَعْمَى كَمَا أَنْتَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ وَهِيَ حُجُجُهُ وَأَدِلَّتُهُ وَبَيَانُهُ الَّذِي بَيْنَهُ فِي كِتَابِهِ - ﴿ فَنَسِيَتْهَا ﴾ : يَقُولُ : فَتَرَكْتُهَا وَأَعْرَضْتُ عَنْهَا ، وَلَمْ تُؤْمِنْ بِهَا ، وَلَمْ تَعْمَلْ " (١) .

- الموضع السادس والعشرون / في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بَعْدَ آيَاتِنَا أَلِيمًا ﴾ [لقمان: ٧] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا ، في قوله تعالى : ﴿ يَسْمَعْهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ آيَات ﴾ ، قال الطبري : " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَإِذَا تُتْلَى عَلَى هَذَا الَّذِي اشْتَرَى هُوَ الْحَدِيثُ لِلْإِضْلَالِ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ آيَاتُ كِتَابِ اللَّهِ ، فَفَرِثَتْ عَلَيْهِ ﴿ وَلَى مُسْتَكْبِرًا ﴾ " (٢) .

- الموضع السابع والعشرون / في قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٦] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا مستترًا تقديره (هي) للفعل : ﴿ جَاءَتْ ﴾ ، عاد على جمع ما لا يعقل ﴿ آيَات ﴾ ، قال الطبري : " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : مَا تُنْكِرُ مِنَّا يَا فِرْعَوْنُ وَمَا بَجُدُ عَلَيْنَا ، إِلَّا مِنْ أَجْلِ ﴿ أَنْ آمَنَّا ﴾ أَي : صَدَّقْنَا ﴿ بِآيَاتِ رَبِّنَا ﴾ ، يَقُولُ : يُحْجَجُ رَبَّنَا وَأَعْلَامِهِ وَأَدِلَّتِهِ الَّتِي لَا تَقْدِرُ عَلَى مِثْلِهَا أَنْتَ وَلَا أَحَدٌ ، سِوَى اللَّهِ " (٣) .

- الموضع الثامن والعشرون / في قوله تعالى : ﴿ الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا مستترًا تقديره (هي) ؛ نائب فاعل للفعل المبني للمجهول : ﴿ فُصِّلْتُ ﴾ ، عاد على جمع ما لا يعقل ﴿ آيَات ﴾ ، وآيات القرآن كثيرة .

- الموضع التاسع والعشرون / في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَصُدُّنَكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْغُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [القصص: ٨٧] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٦ / ٢٠٢)

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٨ / ٥٤١)

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٠ / ٣٦٤)

مستتراً تقديره (هي) ؛ نائب فاعل للفعل المبني للمجهول : ﴿ أَنْزَلْتَ ﴾ ، عاد على جمع ما لا يعقل ﴿ ءَايَاتِ ﴾ ، قال الطبري : " يُقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَلَا يَصْرَفُنَاكَ عَنْ تَبْلِيغِ آيَاتِ اللَّهِ وَحُجَجِهِ ، بَعْدَ أَنْ أَنْزَلَهَا إِلَيْكَ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ " (١) .

- الموضع الثلاثون / في قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَأَسْتَكْبِرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الجاثية: ٣١]

- الموضع الحادي والثلاثون / في قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِبُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٦]

- الموضع الثاني والثلاثون / في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٥]

في هؤلاء الموضع الثلاثة ، عاد الضمير مفرداً مؤنثاً مستتراً تقديره (هي) ؛ نائب فاعل للفعل المبني للمجهول : ﴿ تَتْلَى ﴾ ، عاد على جمع ما لا يعقل ﴿ ءَايَاتِ ﴾ ، وزاد في الموضع الثالث ؛ عود ضمير مفرد مؤنث في قوله تعالى : ﴿ بِهَا ﴾ ، على جمع ما لا يعقل ﴿ ءَايَاتِ ﴾ ، يقول السمرقندي : " ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ يعني تقرأ عليكم في الدنيا " (٢) ، والآيات المتلوة كثيرة .

- الموضع الثالث والثلاثون / في قوله تعالى : ﴿ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تَتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِيرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الجاثية: ٨]

- الموضع الرابع والثلاثون / في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [الجاثية: ٩]

في هذين الموضعين ، عاد الضمير مفرداً مؤنثاً مستتراً تقديره (هي) ؛ نائب فاعل للفعل المبني للمجهول : ﴿ تَتْلَى ﴾ ، عاد على جمع ما لا يعقل ﴿ ءَايَاتِ ﴾ ، وكذلك عاد عليه الضمير مفرداً مؤنثاً متصلًا في قوله تعالى : ﴿ يَسْمَعُهَا - أَخَذَهَا ﴾ ، يقول الطبري : " يَسْمَعُ آيَاتِ كِتَابِ اللَّهِ تُقْرَأُ عَلَيْهِ ﴿ ثُمَّ يُصِرُّ ﴾ عَلَى كُفْرِهِ وَإِثْمِهِ فَيُعْجِمُ عَلَيْهِ غَيْرَ تَائِبٍ مِنْهُ ، وَلَا رَاجِعٍ عَنْهُ ﴿ مُسْتَكْبِرًا ﴾ عَلَى رَبِّهِ أَنْ يُدْعِنَ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ﴿ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ يَقُولُ: كَأَن لَّمْ يَسْمَعْ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٨ / ٣٥٣)

(٢) تفسير السمرقندي (بحر العلوم) للسمرقندي (٣ / ٢٢٧)

مَا تُلِيَّ عَلَيْهِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ بِإِصْرَارِهِ عَلَى كُفْرِهِ ﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ يُقُولُ: فَبَشِّرْ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْأَقَّاكَ الْأَثِيمَ الَّذِي هَذِهِ صِفَتُهُ بِعَذَابٍ مِنَ اللَّهِ لَهُ ﴿ أَلِيمٍ ﴾ يَعْنِي مُوجِعٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا هُرُورًا أُولَتْكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ يُقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ﴿ وَإِذَا عَلِمَ ﴾ هَذَا الْأَقَّاكَ الْأَثِيمَ ﴿ مِنْ ﴾ آيَاتِ اللَّهِ ﴿ شَيْئًا أَخَذَهَا هُرُورًا ﴾ يُقُولُ : أَخَذَ تِلْكَ الْآيَاتِ الَّتِي عَلِمَهَا هُرُورًا، يَسْخَرُ مِنْهَا" (١) ، وهي كثيرة .

وآيات الله وحججه وأدلته كثيرة ؛ فلدلالتها على الكثرة عاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا في القرآن كله ، ولم يعد عليها الضمير جمعًا مطلقًا .

- الموضع الخامس والثلاثون / في قوله تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل: ١٢- ١٤] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا، في قوله تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا - اسْتَيْقَنَتْهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ آيَاتٍ ﴾ ، قال الكرمانى : " ﴿ فِي تِسْعِ آيَاتٍ ﴾ ، أي ﴿ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ آية ﴿ فِي تِسْعِ آيَاتٍ ﴾ صفة لآية المضمرة . وقيل : مع تسع آيات تعطى تمامها . وعلى هذا تكون اليد والعصا غير التسع" (٢) ، وقال الزمخشري : " و ﴿ فِي تِسْعِ آيَاتٍ ﴾ كلام مستأنف ، وحرف الجرّ فيه يتعلق بمحذوف ، والمعنى : اذهب في تسع آيات ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ ﴾ ونحوه : فَقُلْتُ إِلَى الطَّعَامِ فَقَالَ: مِنْهُمْ فَرِيقٌ نَحْسُدُ الْإِنْسَانَ الطَّعَامًا

ويجوز أن يكون المعنى : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ﴾ ، و ﴿ أَدْخِلْ يَدَكَ ﴾ : في تسع آيات ، أي : في جملة تسع آيات وعدادهنّ . ولقائل أن يقول : كانت الآيات إحدى عشرة : ثنتان منها اليد والعصا، والتسع: الفلق، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمسة، والجدب في بواديهم، والنقصان في مزارعهم" (٣) ، فللدلالة الجمع على الكثرة عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا .

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (٢١ / ٧٦)

(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرمانى (٢ / ٨٤٤)

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (٧٧٧)

عاد عليها الضمير في اثنين وأربعين موضعًا :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَالِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٥] - الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّنَ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٦]

- الموضع الثالث / في قوله تعالى : ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٨] - الموضع الرابع / في قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [النساء: ١٣]

- الموضع الخامس / في قوله تعالى : ﴿ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ٨٥] - الموضع السادس / في قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢]

- الموضع السابع / في قوله تعالى : ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٨٩]

- الموضع الثامن / في قوله تعالى : ﴿ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٥] - الموضع التاسع / في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَلُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [الحديد: ١٢]

- الموضع العاشر / في قوله تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢]

- الموضع الحادي عشر / في قوله تعالى : ﴿ جَنَّتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾ [طه: ٧٦]

- الموضع الثاني عشر / في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سُدَّخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢]

- الموضع الثالث عشر / في قوله تعالى : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٩]

- الموضع الرابع عشر / في قوله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْقَائِلِينَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠]

- الموضع الخامس عشر / في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التغابن: ٩]

- الموضع السادس عشر / في قوله تعالى : ﴿ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ [الطلاق: ١١]

- الموضع السابع عشر / في قوله تعالى : ﴿ جَزَاءُ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [البينة: ٨]

- الموضع الثامن عشر / في قوله تعالى : ﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٣]

- الموضع التاسع عشر / في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سُدَّخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا ظِلِيلًا ﴾ [النساء: ٥٧]

- الموضع العشرون / في قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴾ [الحل: ٣١]

- الموضع الحادي والعشرون / في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَوَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [الحج: ٢٣]

في الواحد والعشرين موضعًا السابقة ؛ عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ تَحْتَهَا - فِيهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ جَنَّت ﴾ ، والجنات التي أعدها الله عز وجل لعباده كثيرة .

- الموضع الثاني والعشرون / في قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ [آل عمران: ١٩٥]

- الموضع الثالث والعشرون / في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٤٣﴾ [المائدة: ١٢]

- الموضع الرابع والعشرون / في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤٤﴾ [الحج: ١٤]

- الموضع الخامس والعشرون / في قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠١﴾ [الفرقان: ١٠]

- الموضع السادس والعشرون / في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢٠﴾ [محمد: ١٢]

- الموضع السابع والعشرون / في قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧٠﴾ [الفتح: ١٧]

- الموضع الثامن والعشرون / في قوله تعالى : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢٠﴾ [الصف: ١٢]

- الموضع التاسع والعشرون / في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْرَىٰ اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨٨﴾ [التحریم: ٨]

- الموضع الثلاثون / في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ [البروج: ١١]

في هؤلاء المواضع التسعة ، عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ تَحْتِهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ جَنَّاتٍ ﴾ ، والجنات التي أعدها الله عز وجل لعباده كثيرة .

- الموضع الحادي والثلاثون / في قوله تعالى : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٢]

- الموضع الثاني والثلاثون / في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ النَّعِيمِ ﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [لقمان: ٨-٩]

- الموضع الثالث والثلاثون / في قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَحَنَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾ مُتَّكِبِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ [ص: ٥١]

- الموضع الرابع والثلاثون / في قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِبِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٣١]

- الموضع الخامس والثلاثون / في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّقَلِينَ ﴾ كَذَلِكَ وَرَوَّجْتُهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾ لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتُ إِلَّا الْمَوْتَةُ الْأُولَىٰ وَوَقَلْتُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [الدخان: ٥١-٥٦]

- الموضع السادس والثلاثون / في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَّءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [يونس: ٩-١٠]

في هؤلاء المواضع الستة ، عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ فِيهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ جَنَّاتٍ ﴾ ، والجنات التي أعدها الله عز وجل لعباده كثيرة .

- الموضع السابع والثلاثون / في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَلِبِينَ ﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٥-٤٨] ، في هذا الموضع عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ أَدْخُلُوهَا - فِيهَا - مِنْهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ جَنَّاتٍ ﴾ ، والجنات التي أعدها الله لعباده كثيرة .

- الموضع الثامن والثلاثون / في قوله تعالى : ﴿ جَنَّتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ [الرعد: ٢٣] ، في هذا الموضع عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ يَدْخُلُونَهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ جَنَّتٍ ﴾ ، والجنات التي أعدها الله عز وجل لعباده كثيرة .

- الموضع التاسع والثلاثون / في قوله تعالى : ﴿ جَنَّتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [فاطر: ٣٣] ، في هذا الموضع عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ يَدْخُلُونَهَا - فِيهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ جَنَّتٍ ﴾ ، والجنات التي أعدها الله عز وجل لعباده كثيرة .

- الموضع الأربعون / في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨] ، في هذا الموضع عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ فِيهَا - عَنْهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ جَنَّتٍ ﴾ ، والجنات التي أعدها الله عز وجل لعباده كثيرة .

- الموضع الحادي والأربعون / في قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأْتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥] ، في هذا الموضع عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ تَحْتِهَا - مِنْهَا - فِيهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ جَنَّتٍ ﴾ ، والجنات التي أعدها الله عز وجل لعباده كثيرة .

- الموضع الثاني والأربعون / في قوله تعالى : ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاقِهِ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٩] ، في هذا الموضع عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ فِيهَا - مِنْهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ جَنَّتٍ ﴾ ، قال الرازي : " وَقَوْلُهُ: ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَوَاقِهِ كَثِيرَةٌ ﴾ أَي فِي الْجَنَّاتِ، فَكَمَا أَنَّ فِيهَا النَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ فَفِيهَا الْفَوَاقِهِ الْكَثِيرَةُ وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ قَالَ صَاحِبُ «الْكَشَافِ» يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ قَوْلِهِمْ فُلَانٌ يَأْكُلُ مِنْ حَرْفَةٍ يَخْتَرِفُهَا وَمِنْ صَنْعَةٍ يَعْمَلُهَا . يَعْنُونَ أَنَّهَا طَعْمُهُ وَجِهَتُهُ الَّتِي مِنْهَا يُحْصَلُ رِزْقُهُ، كَأَنَّهُ قَالَ وَهَذِهِ الْجَنَّاتُ وَجُوهُ أَرْزَاقِكُمْ وَمَعَايِشِكُمْ مِنْهَا تَتَعَيَّشُونَ " (١)، وقال الألوسي : "

(١) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي (٢٣ / ٩٠)

﴿ لَكُمْ فِيهَا ﴾ أي في الجنات ﴿ فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ ﴾ تتفكهون بها وتتعمون زيادة على المعتاد من الغذاء الأصلي، والمراد بها ما عدا ثمرات النخيل والأعناب. ﴿ وَمِنْهَا ﴾ أي من الجنات والمراد من زروعها وثمارها ^(١) ، والجنات التي أنشأها الله عز وجل من الماء كثيرة .

* القسم الثاني - ما عاد عليه الضمير جمعاً مؤنثاً فقط .

ورد في القرآن الكريم أربع كلمات لما لا يعقل ، جُمعت بالألف والتاء ، وعاد عليها الضمير جمعاً مؤنثاً فقط ، وذلك في أربعة عشر موضعاً ، وهن :

١ - (كلمات)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَبْتَأَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَّهَنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤] ، حيث عاد الضمير جمعاً مؤنثاً في قوله تعالى : ﴿ أَتَمَّهَنَّ ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ كَلِمَاتٍ ﴾ ، قال الزجاج : "وقد اختلفوا في الكلمات: فقال قوم تفسيرها أنه أمره بخمس خلال في الرأس، وخمس خلال في البدن، فأما اللاتي في الرأس فالفرق وقص الشارب والسواك، والمضمضة، والاستنشاق، وأما التي في البدن فالختان وحلق العانة والاستنجاء وتقليم الأظافر وبتف الإبط ، فهذا مذهب قوم وعليه كثير من أهل التفسير .

وقال قوم : أن الذي ابتلاه به ما أمره به من ذبح ولده ، وما كان من طرحه في النار ، وأمر النجوم التي جرى ذكرها في القرآن في قوله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ﴾ وما جرى بعد الكواكب من ذكر القمر والشمس، فهذا مذهب قوم ^(٢) .

وهؤلاء كلهن في مقام القلة ؛ فالمفسرون قاموا بحصرهن في عدة أعمال سبق ذكرهن ، فلو قيل (فأتَمَّهَنَّ) لكانت تلك الكلمات كثيرة قد يصعب حصرها أو حتى عدّها ، فكيف بالقيام بها كاملة على وجه التمام . فلدلالة جمع ما لا يعقل على القلة عاد عليه الضمير جمعاً مؤنثاً .

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي (١٨ / ٢٠)

(٢) معاني القرآن وإعراجه للزجاج (١ / ٢٠٤)

٢ - (الحسنات)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود: ١١٤] ، حيث عاد الضمير جمعاً مؤنثاً في قوله تعالى : ﴿ يُذْهِبْنَ ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ الْحَسَنَاتِ ﴾ ، قال الواحدي : " قال ابن عباس والمفسرون : يريد إن الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب إذا اجتنبت الكبائر، وروى ليث عن مجاهد قال: هي قول العبد : سبحان الله، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر " (١) ، وهذا من حيث العدد قليل ، فإذا دل جمع ما لا يعقل على القلة عاد عليه الضمير جمعاً مؤنثاً ، وإن كان المقصود وصف غير العاقل بصفة تختص بالعاقل ؛ فالعادة في اللغة العربية؛ أنه إذا وُصفَ غيرُ العاقلِ بصفةٍ تختصُ بالعاقلِ أُجرِيَ عليه حُكمُهُ، فيعود عليه الضمير بصيغة الجمع كما يعود الضمير على جمع العاقل مراعاةً للمطابقة .

٣ - (مغيرات)

عاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ فَأَلْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ [العاديات: ٣-٥] ، حيث عاد الضمير جمعاً مؤنثاً في قوله تعالى : ﴿ أَثَرْنَ - وَسَطْنَ ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ أَلْمُغِيرَاتِ ﴾ ، قال الواحدي : " قال المفسرون : هي الخيل تثير الغبار بحوافرها " (٢) ، قال الطبري : ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ ، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : فَوَسَطْنَ بِرُكْبَانِهِنَّ جَمَعَ الْقَوْمِ " (٣) ، وكأنها بذلك عاقلة مقاتلة ، والعادة في اللغة العربية؛ أنه إذا وُصفَ غيرُ العاقلِ بصفةٍ تختصُ بالعاقلِ أُجرِيَ عليه حُكمُهُ، فيعود عليه الضمير بصيغة الجمع كما يعود الضمير على جمع العاقل مراعاةً للمطابقة .

٤ - (سموات)

عاد عليها الضمير في أحد عشر موضعاً :

(١) تفسير البسيط للواحدي (١١ / ٥٨٢)

(٢) تفسير البسيط للواحدي (٢٤ / ٢٤٦)

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (٢٤ / ٥٨٢)

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ﴾ [مریم: ٩٠] ، حيث عاد الضمير جمعًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ يَتَفَطَّرْنَ ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ السَّمَوَاتُ ﴾ ، والسماوات سبع ؛ فلما دل جمع ما لا يعقل على القلة عاد عليه الضمير جمعًا مؤنثًا.

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ أَلَّ اللَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشورى: ٥] ، حيث عاد الضمير جمعًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ يَتَفَطَّرْنَ - فَوْقِهِنَّ ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ السَّمَوَاتُ ﴾ ، قال الزجاج : " قوله : ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ ﴾ وقرئت مِّنْ فَوْقِهِنَّ ، وقرئت ﴿ يَتَفَطَّرْنَ ﴾ ، ومعنى يَنْفَطِرْنَ ويتفطرن : يَنْشَقُّنَّ ، وَيَنْشَقُّنَّ ، فالمعنى - والله أعلم - أي تكاد السَّمَاوَاتُ ينفطرن من فوقهن لعظمة الله . لأنه لما قال : ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ ، قال : تكاد السَّمَاوَاتُ ينفطرن لعظمتيه ، وكذلك ينفطرن من فوقهن ، أي من عظمة من فوقهن. " (١) ، والسماوات سبع ؛ فلما دل جمع ما لا يعقل على القلة عاد عليه الضمير جمعًا مؤنثًا.

- الموضع الثالث / في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ [نوح: ١٥-١٦] ، حيث عاد الضمير جمعًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ فِيهِنَّ ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ سَمَوَاتٍ ﴾ ، قال أبو حيان : " والضمير في ﴿ فِيهِنَّ ﴾ عائد على السماوات ، ويقال : القمر في السماء الدنيا ، وصح كون السماوات ظرفاً للقمر ، لأنه لا يلزم من الظرف أن يملأه المظروف . تقول : زيد في المدينة ، وهو في جزء منها. " (٢) ، فلما دل جمع ما لا يعقل على قلة عاد عليه الضمير جمعًا مؤنثًا .

- الموضع الرابع / في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١-١٢] ، قال الزمخشري : " ﴿ فَقَضَاهُنَّ ﴾ يرجع الضمير فيه إلى السماء على المعنى كما قال : ﴿ طَائِعِينَ ﴾ ونحوه : ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٧] ويجوز أن يكون ضميرًا مبهمًا مفسرًا بسبع سموات ،

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤ / ٣٩٤)

(٢) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (١٠ / ٢٨٤)

والفرق بين النصبين أن أحدهما على الحال، والثاني : على التمييز ^(١)

يقول السمين الحلبي : " قوله: ﴿سَبْعٌ﴾ : في نصبه أربعة أوجه:

أحدها: أنه مفعول ثانٍ لـ ﴿قَضَلْنَهُنَّ﴾ ؛ لأنه ضَمَّنَ معنى صَيَّرَهُنَّ بقضائه سبع سماواتٍ.

والثاني: أنه منصوبٌ على الحالِ مِنْ مفعولٍ ﴿قَضَلْنَهُنَّ﴾ أي: قضاهنَّ معدودةً، و (قضى)

بمعنى صَنَعَ، كقول أبي ذؤيب ^(٢):

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داؤدُ أو صَنَعَ السَّوَابِغِ تُبَعُّ

أي: صَنَعَهُمَا.

الثالث: أنه تمييزٌ. قال الزمخشري : (ويجوزُ أَنْ يَكُونَ ضميراً مبهماً مُفَسَّراً بسبعِ سماواتِ

على التمييز) يعني بقوله (مبهماً) أنه لا يعودُ على السماءِ لا من حيث اللفظُ ولا مِنْ حيثِ

المعنى، بخلاف كونه حالاً أو مفعولاً ثانياً.

الرابع: أنه بدلٌ مِنْ ﴿هُنَّ﴾ في ﴿فَقَضَلْنَهُنَّ﴾ قاله مكي ^(٣) .

- الموضوع الخامس / في قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ لِأَيُّهَا وَقَوْمِي مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا

عَلِكُمْ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبْدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا

أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّعِينِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى

ذَلِكَ مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ [الأنبياء: ٥٢-٥٦] ، قال ابن عاشور : " فضمير الجمع في قوله تعالى :

﴿فَطَرَهُنَّ﴾ ضمير السموات والأرض لا محالة. " ^(٤)، وقال السمين الحلبي : " والضمير المنصوبُ

في ﴿فَطَرَهُنَّ﴾ للسموات والأرض . قال الشيخ : (ولَمَّا لم تكنِ السماواتُ والأرضُ تَبْلُغُ في

العددِ الكثيرِ منه جاء الضميرُ ضميرَ القلةِ). قلت: إن عنى لم يَبْلُغْ كلُّ واحدٍ من السماواتِ

والأرضِ فمُسَلَّمٌ، ولكنه غيرُ مرادٍ بل المرادُ المجموعُ. وإن عنى لم يَبْلُغْ المجموعُ منهما فغيرُ مُسَلَّمٍ؛

لأنه يبلغ أربع عشرة، وهو في حدِّ جمع الكثرة، اللهم إلا أَنْ نقول: إنَّ الأرضَ شخصٌ واحدٌ،

وليسَتْ بسبعٍ كالسماواتِ على ما رآه بعضهم فَيَصِحُّ له ذلك ولكنه غيرُ مُعَوَّلٍ عليه.

وقيل : على التماثيل . قال الزمخشري : (وكونه للتماثيل أثبت لتضليلهم ، وأدخل في

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (٩٦٦)

(٢) سر صناعة الإعراب لابن جني (٢ / ٢٨٨)

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (٩ / ٥١٣)

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٧ / ٧٠)

الاحتجاج عليهم) . وقال ابن عطية : (فَطَرَهُنَّ عِبَارَةٌ عَنْهَا كَأَنَّهَا تَعْقِلُ ، وهذه من حيث لها طاعةً وانقياداً، وقد وُصِفَتْ في مواضعٍ بَوْصَفِ مَنْ يَعْقِلُ) . وقال غيره : ﴿ فَطَرَهُنَّ ﴾ : أعَادَ ضَمِيرَ مَنْ يَعْقِلُ لَمَّا صَدَرَ مِنْهُنَّ مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا مِنْ قَبِيلِ مَنْ يَعْقِلُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ بِقَوْلِهِ : ﴿ أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١] . وقوله عليه السلام : (أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقِّ لَهَا أَنْ تَمِطَّ) .

قلت : كَأَنَّ ابْنَ عَطِيَّةَ وَهَذَا الْقَائِلَ تَوَهَّمَا أَنْ ﴿ هُنَّ ﴾ ، مِنَ الضَّمَائِرِ الْمُخْتَصَّةِ بِالْمَوْثِقَاتِ الْعَاقِلَاتِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ هُوَ لَفْظٌ مُشْتَرِكٌ بَيْنَ الْعَاقِلَاتِ وَغَيْرِهَا. قَالَ تَعَالَى : ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ [التوبة: ٣٦] ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ ﴾ .^(١)

هنا تجد أن صاحب الدر المصون علق على أقوال العلماء ولم يرجح ، والصحيح - والله تعالى أعلم بمراحده - أن الضمير يعود على السموات والأرض وذلك للاعتبارات الآتية :

١. أنهن أقرب مذكور ، والأصل في قواعد اللغة أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور ما لم توجد قرينة تصرفه إلى غيره .

٢. أن السموات لم يعد عليها الضمير في القرآن إلا جمعاً مؤنثاً وكذلك السموات والأرض، أما التماثيل فقد وردت في القرآن مرة واحدة بمعنى الأصنام وهو هذا الموضع قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾^(٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ^(٣) [الأنبياء: ٥٢] ، ونجد أن الضمير عاد عليها مفرداً مؤنثاً مرتين ؛ فما المسوغ الذي جعله يعود عليها بعد الضمير المفرد المؤنث جمعاً مؤنثاً ، وفي نفس الموضع !!! .

٣. أن معنى فطر: أي خلق من العدم عن غير مثال ومن غير أساس وأصله من الشق . يقال فطر فلان البئر يعني حفرها، ومنه سمي الفطر لأنه يشق الأرض ويخرج من غير زرع . وقد سمي الله فاطراً لأنه شق العدم وأخرج منه المخلوقات، وهذا مناسب للسموات والأرض بخلاف التماثيل فهي مصنوعة من موجود .

٤. أن جمع ما لا يعقل إذا دل على القلة عاد عليه الضمير جمعاً مؤنثاً ، وإذا دل على الكثرة عاد عليه مفرداً مؤنثاً ، والتماثيل كثيرة والسموات سبع والأرض لفظ مفرد لم

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (٨ / ١٧٠)

تأت بصيغة الجمع في القرآن البتة فتعامل من حيث اللفظ معاملة الواحدة المفردة فتكون مع السموات ثمانية وهذا قليل، فاقتضى ذلك عود الضمير في ﴿ فَطَرَهُنَّ ﴾ على السموات والأرض .

وعلى ذلك فالضمير في ﴿ فَطَرَهُنَّ ﴾ ناسب عوده إلى السموات والأرض .
- الموضع السادس / في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢] ، حيث عاد الضمير جمعاً مؤنثاً في قوله تعالى : ﴿ مِثْلَهُنَّ ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ سَمَوَاتٍ ﴾ ، والسموات سبع ، ولدلالة جمع ما لا يعقل على القلة عاد عليه الضمير جمعاً مؤنثاً .

وهناك خلاف في ضمير الجمع المؤنث في قوله تعالى : ﴿ يَبْنَهُنَّ ﴾ ما المقصود به ؟ ومحور الإشكال يدور حول نقطتين ؛ الأولى : الماقصود بالمثلية ؟ ، والثانية : وما المقصود بالأمر الذي يتنزل ؟ ، فإن كان المقصود بالمثلية ؛ العدد ، أي أرضين سبعاً مثل السموات ، فهل عاد الضمير على السموات السبع والأرضين السبع ، أو على السموات السبع والأرض العليا ، وهذا يختلف فيه المعنى ؛ فمن قال بالأرض العليا فالمقصود بالأمر هو الوحي ، ومن قال بالأرضين السبع فالمراد بالأمر هو القضاء .

أما من قال بأن المثلية ليست في العدد ؛ فلا إشكال في عود الضمير على السموات السبع والأرض فيكون مجموعها ثمانية ، والثمانية عدد قليل ، فدل الجمع على القلة فعاد عليه الضمير جمعاً مؤنثاً ، وسأورد هنا قولي أبي حيان وابن عاشور لاشتغالهما على أقوال العلماء وتوضيح المسألة ، قال أبو حيان : " لا خلاف أن السموات سبع بنص القرآن والحديث ، كما جاء في حديث الإسراء ، ولقوله صلى الله عليه وسلم لسعد : (حكمت بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة) ، وغيره من نصوص الشريعة . وقرأ الجمهور : ﴿ مِثْلَهُنَّ ﴾ بالنصب ؛ والمفضل عن عاصم ، وعصمة عن أبي بكر : مثلهن بالرفع فالنصب ، قال الزمخشري : عطفاً على ﴿ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ . انتهى ، وفيه الفصل بالجار والمجرور بين حرف العطف ، وهو الواو ، والمعطوف ؛ وهو مختص بالضرورة عند أبي عليّ الفارسي ، وأضمر بعضهم العامل بعد الواو لدلالة ما قبله عليه ، أي وخلق من الأرض مثلهن ، فمثلهن مفعول للفعل المضمر لا معطوف ، وصار ذلك من عطف الجمل والرفع على الابتداء ، ﴿ وَمِنَ الْأَرْضِ ﴾ الخبر ، والمثلية تصدق بالاشتراك في بعض

الأوصاف . فقال الجمهور : المثلية في العدد : أي مثلهن في كونها سبع أرضين . وفي الحديث : (طوقه من سبع أرضين) ، (ورب الأرضين السبع وما أقلن) ، فقيل : سبع طباق من غير فتوق . وقيل : بين كل طبقة وطبقة مسافة . قيل : وفيها سكان من خلق الله . قيل : ملائكة وجن . وعن ابن عباس ، من رواية الواقدي الكذاب ، قال : في كل أرض آدم كآدم ، ونوح كنوح ، ونبي كنيكم ، وإبراهيم كإبراهيمكم ، وعيسى كعيسى ، وهذا حديث لا شك في وضعه . وقال أبو صالح : إنها سبع أرضين منبسطة ، ليس بعضها فوق بعض ، تفرق بينها البحار ، وتظل جميعها السماء .

﴿ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ : من السموات السبع إلى الأرضين السبع . وقال مقاتل وغيره : الأمر هنا الوحي ، فبينهن إشارة إلى بين هذه الأرض التي هي أدناها وبين السماء السابعة . وقال الأكثرون : الأمر : القضاء ، فبينهن إشارة إلى بين الأرض السفلى التي هي أقصاها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها . وقيل : ﴿ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ بجملة وموت وغنى وفقر . وقيل : هو ما يدبر فيهن من عجيب تدبير . " (١)

وقال ابن عاشور : " وقوله : ﴿ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ عطف على ﴿ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ وهو يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون المعطوف قوله : ﴿ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ على أن يكون المعطوف لفظ الأرض ويكون حرف ﴿ مِنْ ﴾ مزيداً للتوكيد بناء على قول الكوفيين والأخفش أنه لا يشترط لزيادة ﴿ مِنْ ﴾ أن تقع في سياق النفي والنهي والاستفهام والشرط وهو الأحق بالقبول وإن لم يكن كثيراً في الكلام ، وعدم الكثرة لا ينافي الفصاحة ، والتقدير : وخلق الأرض ، ويكون قوله : ﴿ مِثْلَهُنَّ ﴾ حالاً من ﴿ الْأَرْضِ ﴾ .

ومماثلة الأرض للسموات في دلالة خلقها على عظيم قدرة الله تعالى ، أي أن خلق الأرض ليس أضعف دلالة على القدرة من خلق السموات لأن لكل منهما خصائص دالة على عظيم القدرة . وهذا أظهر ما تُؤوَّلُ به الآية .

وفي أفراد لفظ ﴿ الْأَرْضِ ﴾ دون أن يُؤتى به جمعاً كما أُتي بلفظ السموات إيدان بالاختلاف بين حالتهما .

والوجه الثاني : أن يكون المعطوف ﴿ مِثْلَهُنَّ ﴾ ويكون قوله : ﴿ وَمِنَ الْأَرْضِ ﴾ بياناً للمثل

(١) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (١٠ / ٢٠٥)

فمصدق ﴿مِثْلَهُنَّ﴾ هو ﴿الْأَرْضُ﴾ . وتكون ﴿مِنْ﴾ بيانية وفيه تقدم البيان على المبيّن ، وهو وارد غير نادر .

فيجوز أن تكون مماثلة في الكروية ، أي مثل واحدة من السماوات ، أي مثل كوكب من الكواكب السبعة في كونها تسير حول الشمس مثل الكواكب فيكون ما في الآية من الإعجاز العلمي الذي قدمنا ذكره في المقدمة العاشرة .

وجمهور المفسرين جعلوا المماثلة في عدد السبع وقالوا : إن الأرض سبع طبقات فمنهم من قال هي سبع طبقات مُبسطة تفرق بينها البحار . وهذا مروى عن ابن عباس من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه ، ومنهم من قال هي سبع طباق بعضها فوق بعض وهو قول الجمهور . وهذا يقرب من قول علماء طبقات الأرض (الجيولوجيا) ، من إثبات طبقات أرضية لكنها لا تصل إلى سبع طبقات .

وفي [الكشاف] (قيل ما في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه) اهـ . وقد علمت أنها لا دلالة فيها على ذلك .

وقال المازري في كتابه [المُعلم] على [صحيح مسلم] عند قول النبي صلّى الله عليه وسلم في كتاب الشفعة : (من اقتطع شبراً من الأرض ظلماً طوقه من سبع أرضين يوم القيامة) .

كان شيخنا أبو محمد عبد الحميد كتب إليّ بعد فراقه له : هل وقع في الشرع عما يدل على كون الأرض سبعة ، فكتبت إليه قول الله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ ، وذكرت له هذا الحديث فأعاد كتابه إليّ يذكر فيه أن الآية محتملة هل مثلهن في الشكل والهيئة أو مثلهن في العدد . وأن الخبر من أخبار الآحاد ، والقرآن إذا احتمل والخبر إذا لم يتواتر لم يصح القطع بذلك ، والمسألة ليست من العمليات فيتمسك فيها بالظواهر وأخبار الآحاد ، فأعدت إليه المجاوبة أحتج لبعده الاحتمال عن القرآن وبسطت القول في ذلك وترددت في آخر كتابي في احتمال ما قال . فقطع المجاوبة اهـ .

وأنت قد تبينت أن أفراد الأرض مشعر بأنها أرض واحدة وأن المماثلة في قوله : ﴿مِثْلَهُنَّ﴾ راجعة إلى المماثلة في الخلق العظيم ، وأما الحديث فإنه في شأن من شؤون الآخرة وهي مخالفة للمتعارف ، فيجوز أن يطوق الغاصب بالمقدار الذي غصبه مضاعفاً سبع مرات في الغلظ والثقل ، على أن عدد السبع يجوز أن يراد به المبالغة في المضاعفة . ولو كان المراد طبقات معلومة لقال :

طوقه من السبع الأرضين بصيغة التعريف. وكلام عبد الحميد أدخل في التحقيق من كلام المازري وعلى مجازة تفسير الجمهور لقوله : ﴿ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ من المماثلة في عدد السبع ، فيجوز أن يقال : إن السبع سبع قطع واسعة من سطح الأرض يفصل بينها البحار نسميها القارات ولكن لا نعني بهذه التسمية المعنى الاصطلاحي في كتب الجغرافيا القديمة أو الحديثة بل هي قارات طبيعية كان يتعذر وصول سكان بعضها إلى بعضها الآخر في الأزمان التي لم يكن فيها تنقل بحري وفيما بعدها مما كان ركوب البحر فيها مهولاً . وهي أن آسيا مع أوروبا قارة ، وإفريقيا قارة ، وأستراليا قارة ، وأميركا الشمالية قارة ، وأميركا الجنوبية قارة ، وجروولندا في الشمال ، والقارة القطبية الجنوبية . ولا التفات إلى الأجزاء المتفرقة من الأرض في البحار ، وتكون ﴿ مِنْ ﴾ تبعيضية لأن هذه القارات الاصطلاحية أجزاء من الأرض .

وقرأ غيرُ عاصم ﴿ مِثْلَهُنَّ ﴾ بالنصب . وقرأه عاصم بالرفع على أنه مبتدأ . ومعنى ﴿ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ أمرُ الله بالتكوين أو بالتكليف يبلغ إلى الذين يأمرهم الله به من الملائكة ليلغوه ، أو لمن يأمرهم الله من الرسل ليلغوه عنه ، أو من الناس ليعلموا بما فيه ، كل ذلك يقع فيما بين السماء والأرض .^(١) والراجع - والله أعلم - أن المراد بالأمر هنا ؛ هو الوحي ، وأن الضمير يعود على السموات السبع والأرض مفردة ، وذلك للاعتبارين الآتين :

١. أن أفراد الأرض مشعر بأنها أرض واحدة ، وأن المماثلة في قوله : ﴿ مِثْلَهُنَّ ﴾ راجعة إلى المماثلة في الخلق العظيم ، كما ذكر ذلك ابن عاشور ووضحه ، ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَّا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨] ، فالمماثلة هنا ليست في كل شيء ، كما سيأتي معنا في مجيء النعت جمعاً لـ (أمم) .

٢. أن المقصود بالأمر هنا ؛ هو الوحي ، كما قال مقاتل وغيره ، وذلك لمجيء ذكره في الآيتين السابقتين لهذه الآية قال تعالى : ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿٥١﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٨ / ٣٠٤)

بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ
اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ [الطلاق: ١١] .

- الموضع السابع / في قوله تعالى : ﴿ تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ
شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤]

- الموضع الثامن / في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ
فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ [المؤمنون: ٧١]

- الموضع التاسع / في قوله تعالى : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ [المائدة: ١٢٠]

في هؤلاء المواضع الثلاثة عاد الضمير جمعًا مؤنثًا ، في قوله تعالى : ﴿ فِيهِنَّ ﴾ على جمع ما
لا يعقل ﴿ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ . والسماوات سبع ، والأرض لفظ مفرد لم تأت بصيغة الجمع في
القرآن البتة ، فتعامل من حيث اللفظ معاملة الواحدة المفردة ؛ فتكون مع السماوات ثمانية ،
وهذا قليل ، فلما دل جمع ما لا يعقل على قلة عاد عليه الضمير جمعًا مؤنثًا .

- الموضع العاشر / في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ [الزحرف: ٩]

- الموضع الحادي عشر / في قوله تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَلَمْ يَعْزِبْ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُجِئِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ [الأحقاف: ٣٣]

في هذين الموضعين عاد الضمير جمعًا مؤنثًا ، في قوله تعالى : ﴿ خَلَقَهُنَّ - بِخَلْقِهِنَّ ﴾ على
جمع ما لا يعقل ﴿ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ ، والسماوات سبع ، والأرض لفظ مفرد لم تأت بصيغة
الجمع في القرآن الكريم البتة ؛ فتعامل من حيث اللفظ معاملة الواحدة المفردة ، فتكون مع
السماوات ثمانية ، وهذا قليل ، فلما دل جمع ما لا يعقل على قلة عاد عليه الضمير جمعًا مؤنثًا .

* القسم الثالث - ما عاد عليه الضمير مفردًا مذكرًا فقط .

ورد في القرآن الكريم كلمة واحدة لما لا يعقل ، جمعت بالألف والتاء ، وعاد عليها الضمير
مفردًا مذكرًا فقط ، وهي كلمة (صَدَقَات) ، وذلك في موضع واحد فقط ، وهو في قوله تعالى :
﴿ وَعَاثُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنْ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴿٤﴾ [النساء: ٤] ،

حيث عاد الضمير مفردًا مذكرًا ، في قوله تعالى : ﴿ مِّنْهُ ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ صَدَقْتَ ﴾ ، قال الزجاج : " وقوله - جلّ و عزّ - : ﴿ فَإِن طِبَّنْ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا ﴾ أي عن شيء من الصداق. " (١) ، وقال الزمخشري : " الضمير في ﴿ مِّنْهُ ﴾ جارٍ مجرى اسم الإشارة ، كأنه قيل : عن شيء من ذلك ، كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَتُبَيِّنُكُمْ بِحَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ ﴾ بعد ذكر الشهوات ، أو من الحجج المسموعة من أفواه العرب ما روي عن رؤبة أنه قيل له في قوله :

كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوَلِيْعُ الْبَهَقِ

فقال: أردت كأن ذاك، أو يرجع إلى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق، لأنك لو قلت: وآتوا النساء صدقاتهن، لم تخل بالمعنى، فهو نحو قوله: ﴿ فَأَصَدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ كأنه قيل: أصدّق" (٢) ، وقال ابن عطية : " والضمير في ﴿ منه ﴾ راجع على الصداق ، وكذلك قال عكرمة وغيره ، أو على الإيتاء " (٣) .

فمما سبق تجد أن الضمير عندما دُكِّرَ وأُفرد دل على مفرد ، فهو ليس كناية عن ﴿ صَدَقْتَ ﴾ مباشرة ، وإنما لشيء يتعلق بها ، وساغ تخريج ذلك على الحمل على المعنى ، لأن الصَّدَقَاتِ تحمل في لفظها معنى (الصداق) أو (الإيتاء) أو اسم الإشارة (ذلك) فيكون المعنى : عن شيء من ذلك ، فجاء في هذا الموضع ما يستلزم التذكير .

* القسم الرابع - ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا ، ومفردًا مذكرًا .

ورد في القرآن الكريم كلمة واحدة لما لا يعقل ، جمعت بالألف والتاء ، وعاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا ، ومفردًا مذكرًا ، وهي كلمة (ثمرات) ، حيث جاءت في ثلاثة مواضع ، وتفصيل ذلك على النحو الآتي :

المواضع التي عاد فيها الضمير مفردًا مؤنثًا ؛ موضعان هما :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢ / ١٢)

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (٢١٨)

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (٢ / ٩)

فُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَابِيٌّ سُودٌ ﴿٧﴾ [فاطر: ٢٧] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ أَلْوَانُهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ ثَمَرَات ﴾ ، والثمرات كثيرة ، قال الزمخشري : " ﴿ أَلْوَانُهَا ﴾ أجناسها من الرّمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هيئاتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها" (١) .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِئْنَا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ [فصلت: ٤٧] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ أَكْمَامِهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ ثَمَرَات ﴾ ، قال أبو الليث السمرقندي : " ﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا ﴾ يعني: من أجوافها يعني حين تطلع ، وغلاف كل شيء كমে أي تخرج من موضعها الذي كانت فيه " (٢) ، والثمرات كثيرة .

ومن حيث القراءات الواردة في هذه الآية نجد إشكالان :

- الإشكال الأول /

قال ابن زنجلة : " قَرَأَ نَافِعُ وَابْنُ عَامِرٍ وَحَفْصٌ ﴿ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا ﴾ بِالْأَلْفِ عَلَى الْجَمْعِ . وَحَجَّتَهُمْ أَنَّهَا مَكْتُوبَةٌ فِي الْمَصَاحِفِ بِالتَّاءِ . وَأُخْرَى : وَهِيَ أَنَّهُ لَيْسَ يُرَادُ ثَمْرَةٌ دُونَ ثَمْرَةٍ ، وَإِنَّمَا يُرَادُ جَمْعُ الثَّمَرَاتِ . وَيُقَوَّى الْجَمْعُ قَوْلُهُ ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴾ . وَقَرَأَ الْبَاقُونَ ﴿ مِنْ ثَمْرَةٍ مِنْ أَكْمَامِهَا ﴾ عَلَى وَاحِدَةٍ . لِأَنَّ الثَّمْرَةَ تُؤَدِّي عَنِ الثَّمَارِ لِأَنَّهَا الْجِنْسُ . وَحَجَّتَهُمْ قَوْلُهُ ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ ﴾ قَالُوا : كَمَا أَفْرَدَ أَنْثَىٰ كَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ﴿ مِنْ ثَمْرَةٍ ﴾ مُفْرَدَةً . وَيَكُونُ الْمُرَادُ أَجْنَاسَ الثَّمَارِ ، وَكَذَلِكَ ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ ﴾ لَيْسَ بِوَاحِدَةٍ ، إِنَّمَا هُوَ أَجْنَاسُ الْإِنَاثِ ، وَيُقَوَّى الْإِفْرَادُ أَيْضًا قَوْلُهُ : ﴿ مِنْ أَكْمَامِهَا ﴾ قَالَ أَبُو عَمْرٍو : وَلَوْ كَانَتْ ﴿ مِنْ ثَمَرَاتٍ ﴾ لَكَانَتْ : مِنْ أَكْمَامِهِنَّ " (٣) .

وموضع الإشكال هو في قول أبي عمرو حين قال : " وَلَوْ كَانَتْ ﴿ مِنْ ثَمَرَاتٍ ﴾ لَكَانَتْ : مِنْ أَكْمَامِهِنَّ " ، ولعل أبا عمرو يرى مطابقة الضمير لما يعود عليه مطلقًا .

(١) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (٨٨٥)

(٢) تفسير السمرقندي المسمى (بحر العلوم) للسمرقندي (٣ / ١٨٧)

(٣) حجة القراءات لابن زنجلة (٦٣٧)

وهذا القول لا يستقيم من وجهين :

١. أن جمع ما لا يعقل يعود عليه الضمير مفردًا مؤنثًا، ويعود عليه كذلك جمعًا مؤنثًا،

وهذا ظاهر في القرآن وفي كلام العرب .

٢. أن جمع ما لا يعقل إذا دل على كثرة عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا ، وإذا دل على

قلة عاد عليه الضمير جمعًا مؤنثًا ، وفي هذا الموضع دل جمع ما لا يعقل على كثرة

فعاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا.

- الإشكال الثاني /

قال أبو علي الفارسي: " وقوله : ﴿ من ثمرات من أكامها ﴾ مثل قوله: ﴿ فأخرجنا به

ثمرات مختلفا ألوانها ﴾ [فاطر: ٣٧] ولو كان ﴿ من أكامها ﴾ : من أكامهنّ ، ومختلفا ألوانهنّ

كان حسنا." (١) ، وقال الزمخشري : " وقرئ (من ثمرات من أكامهن) " (٢) ، ذكر ذلك في

تفسيره إلا أنه لم يعز تلك القراءة إلى أحد من الأئمة ، وكذا ذكرها البيضاوي في تفسيره وصفاً

دون عزو (٣) ، والخطيب في معجم القراءات (٤) ذكر ذلك ولم يعز هو أيضاً ، مع أنه استفرغ الجهد

في معجمه في تتبع جميع ما ورد من القراءات الشاذة - فضلاً عن المتواترة - مع العزو للأئمة .

وموضع الإشكال هو في قراءة (من أكامهن) بضمير الجمع ، وهذه القراءة لا تصح من

ثلاثة أوجه :

١. أن قراءة (من أكامهن) لا يحتملها رسم المصحف .

٢. أن قراءة (من أكامهن) تخالف ما اطرده من قواعد اللغة العربية في عود الضمير

على جمع ما لا يعقل ؛ إذ إن جمع ما لا يعقل إذا دل على كثرة عاد عليه الضمير

مفردًا مؤنثًا ، وإذا دل على قلة عاد عليه الضمير جمعًا مؤنثًا ، والثمرات كثيرة ، فلا

يستقيم عود الضمير عليها بالجمع .

٣. أنه لم يُدكر من قرأ بهذه القراءة ؛ إذ لو كان معلوماً لذكر .

(١) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٦ / ١١٩)

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (٩٧١)

(٣) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٥ / ٧٤)

(٤) انظر : معجم القراءات للخطيب (٨ / ٢٩٥)

المواضع التي عاد فيها الضمير مفرداً مذكراً ؛ موضع واحد فقط ، وهو :

قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل: ٦٧] ، حيث عاد الضمير مفرداً مذكراً ، في قوله تعالى : ﴿ مِنْهُ ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ ثَمَرَاتِ ﴾ ، قال الأخفش : " وقال : ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ ولم يقل : (منها) لأنه أضمر (الشيء) ، كأنه قال : وَمِنْهَا شَيْءٌ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا " (١) ، وقال الطبري : " وَحُذِفَ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ ﴾ الْمَعْنَى مَا وَصَفْتُ ، وَهُوَ : وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ مَا تَتَّخِذُونَ مِنْهُ . لِدَلَالَةِ (مِنْ) عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّ (مِنْ) تَدْخُلُ فِي الْكَلَامِ مُبَعَّضَةً ، فَاسْتَعْنَى بِدَلَالَتِهَا وَمَعْرِفَةِ السَّمَاعِيِّنَ بِمَا يَقْتَضِي مِنْ ذِكْرِ الْإِسْمِ مَعَهَا .

وَكَانَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْبَصْرَةِ يَقُولُ : مَعْنَى الْكَلَامِ : وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ شَيْءٌ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا . وَيَقُولُ : إِنَّمَا ذُكِرَتِ الْهَاءُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ ﴾ لِأَنَّهُ أُرِيدَ بِهَا الشَّيْءَ . وَهُوَ عِنْدَنَا عَائِدٌ عَلَى الْمَثْرُوكِ ، وَهُوَ (مَا) .

وَقَوْلُهُ : ﴿ تَتَّخِذُونَ ﴾ مِنْ صِفَةِ (مَا) الْمَثْرُوكَةِ . " (٢) ، وكذلك قال البغوي : " وَالْكِتَابَةُ فِي ﴿ مِنْهُ ﴾ عَائِدَةٌ إِلَى (مَا) مَحْدُوفَةٌ أَي : مَا تَتَّخِذُونَ مِنْهُ ، ﴿ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ " (٣) ، وقال الزمخشري : " فَإِنْ قُلْتِ : بِمِ تَعْلُقُ قَوْلَهُ : ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ ﴾ ؟ قُلْتِ : بِمَحْدُوفِ تَقْدِيرِهِ : وَنَسْقِيكُمْ مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ ، أَي : مِنْ عَصِيرِهَا وَحَذَفَ لِدَلَالَةِ نَسْقِيكُمْ قَبْلَهُ عَلَيْهِ ، وَقَوْلُهُ : ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا ﴾ بَيَانٌ وَكَشَفٌ عَنِ كُنْهِ الْإِسْقَاءِ ، أَوْ يَتَعْلَقُ بِتَتَّخِذُونَ ، وَمِنْهُ مِنْ تَكْرِيرِ الظَّرْفِ لِلتَّوَكِيدِ كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ فِي الدَّارِ فِيهَا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿ تَتَّخِذُونَ ﴾ صِفَةً مَوْصُوفٍ مَحْدُوفٍ ، كَقَوْلِهِ : بِكَفَى كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرَ

تَقْدِيرُهُ : وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ ثَمْرٌ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ؛ لِأَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ بَعْضُهَا وَيَتَّخِذُونَ مِنْ بَعْضِهَا السُّكْرَ . فَإِنْ قُلْتِ : فَالْإِمْرُوعُ يَرْجِعُ الضَّمِيرُ فِي ﴿ مِنْهُ ﴾ إِذَا جَعَلْتَهُ ظَرْفًا مَكْرَرًا ؟ قُلْتِ : إِلَى الْمِضَافِ الْمَحْدُوفِ الَّذِي هُوَ الْعَصِيرُ كَمَا رَجَعَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَوْ هُمْ

(١) كتاب معاني القرآن لأبي الحسن الأخفش (٢ / ٤١٧)

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٤ / ٢٧٥)

(٣) معالم التنزيل للبغوي (٥ / ٢٨)

قَائِلُونَ ﴿ [الأعراف: ٤] إلى الأهل المحذوف " (١)

فمما سبق تجد أن الضمير في قوله تعالى : ﴿ مِّنْهُ ﴾ دُكِّرَ وأُفْرِدَ ليدل على مفرد ، فهو ليس كناية عن ﴿ ثَمَرَاتٍ ﴾ مباشرة ، وإنما لشيء يتعلق بها ، فقيل فيه أنه يعود إلى مضمرة ، قدره بعضهم بـ (الشيء) فيكون (شَيْءٌ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكْرًا) وبعضهم قدره بـ (ما) فيكون التقدير: (مَا تَتَّخِذُونَ مِنْهُ) وقيل إنه يعود إلى المضاف المحذوف الذي هو العصير أي: من عصيرها، فجاء الضمير في هذا الموضع مفردًا مذكّرًا لوجود ما يستلزم التذكير .

(١) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (٦٧٧)

المبحث الرابع / عود الضمير على أكثر من جمع لما لا يعقل

في القرآن

ورد في القرآن الكريم أربع عشرة كلمة لجمع ما لا يعقل - اجتمع بعضها مع البعض - ،
وعاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا ، وجمعًا مؤنثًا ، في ستة مواضع ، وتفصيل ذلك جاء على
قسمين :

* القسم الأول - عود الضمير مفردًا مؤنثًا على أكثر من جمع لما لا يعقل في القرآن

ورد في القرآن الكريم اثنتا عشرة كلمة لجمع ما لا يعقل - اجتمع بعضها مع البعض - ،
وعاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا فقط ، وذلك في خمسة مواضع ، وهي :

١ - (حبال - عصي)

عاد عليهما الضمير مجتمعين في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا
حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ [طه: ٦٦] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا
في قوله تعالى : ﴿ أَنَّهَا ﴾ ، والضمير المستتر للفعل : ﴿ تَسْعَى ﴾ وتقديره (هي) ، على جمع
ما لا يعقل ﴿ حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ ﴾ ، قال أبو حيان : " واختلفوا في عدد السحرة اختلافًا مضطربًا
جدًا فأقل ما قيل أنهم كانوا اثنين وسبعين ساحرًا مع كل ساحر عصي وحبال ، وأكثر ما قيل
تسعمائة ألف" ^(١) ، وقوله : ﴿ مَا فِي يَمِينِكَ ﴾ قال الزمخشري : " ولم يقل عصاك : جائز أن
يكون تصغيرًا لها ، أي : لا تبال بكثرة حبالهم وعصيتهم ، وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذي
في يمينك ، فإنه بقدره الله يتلقفها على وحدته وكثرتها ، وصغره وعظمتها ، وجائز أن يكون
تعظيمًا لها أي : لا تحتفل بهذه الأجرام الكبيرة الكثيرة ، فإن في يمينك شيئًا أعظم منها كلها ،
وهذه على كثرتها أقل شيء وأنزره عنده ، فألقه يتلقفها بإذن الله ويمحقها." ^(٢) ، وعلى ذلك
فالحبال والعصي كثيرة .

(١) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٧ / ٣٥١)

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (٦٦٠)

٢ - (البغال - الحمير)

عاد عليهما الضمير مجتمعين في موضع واحد، وهو في قوله تعالى: ﴿وَالْحَيْلُ وَالْبِغَالُ وَالْحَمِيرُ لِيَتْرَكُبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى: ﴿لِيَتْرَكُبُوهَا﴾ ، على جمع ما لا يعقل ﴿الْحَيْلُ﴾^(١) و﴿الْبِغَالُ وَالْحَمِيرُ﴾ ، والبغال والحمير كثيرة .

٣ - (بيض - حمر)

عاد عليهما الضمير مجتمعين في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿أَلْوَانُهَا﴾ ، على جمع ما لا يعقل ﴿بَيْضٌ وَحُمْرٌ﴾ ، قال أبو حيان : "مختلف ألوانها ، لأن البياض والحمرة تتفاوت بالشدّة والضعف ، فأبيض لا يشبه أبيض ، وأحمر لا يشبه أحمر ، وإن اشتركا في القدر المشترك، لكنه مشكل"^(٢)، وبين ذلك الرازي بقوله: "الظاهر أنّ الاختلاف راجع إلى كلّ لونٍ أي بيضٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا، لِأَنَّ الْأَبْيَضَ قَدْ يَكُونُ عَلَى لَوْنِ الْجِصِّ، وَقَدْ يَكُونُ عَلَى لَوْنِ التُّرَابِ الْأَبْيَضِ دُونَ بَيَاضِ الْجِصِّ، وَكَذَلِكَ الْأَحْمَرُ، وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ أَنَّ الْبَيْضَ وَالْحُمْرَ مُخْتَلِفٌ الْأَلْوَانِ لَكَانَ مُجَرَّدَ تَأْكِيدٍ وَالْأَوَّلُ أَوْلَى، وَعَلَى هَذَا فَنَقُولُ لَمْ يَذْكَرْ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا بَعْدَ الْبَيْضِ وَالْحُمْرِ وَالسُّودِ ، بَلْ ذَكَرَهُ بَعْدَ الْبَيْضِ وَالْحُمْرِ وَأَخَّرَ السُّودَ الْعَرَايِبِ، لِأَنَّ الْأَسْوَدَ لَمَّا ذَكَرَهُ مَعَ الْمُؤَكَّدِ وَهُوَ الْعَرَايِبُ يَكُونُ بِالْعَا غَايَةَ السُّودِ فَلَا يَكُونُ فِيهِ اخْتِلَافٌ"^(٣)، ومن معلوم أن درجات الألوان كثيرة ؛ فعاد الضمير مفردًا مؤنثًا لدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة.

٤ - (جنات - عيون - كنوز)

عاد عليهن الضمير مجتمعات في موضع واحد ؛ في قوله تعالى : ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾^(٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ^(٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ^(٥٩) [الشعراء: ٥٧-٥٩] ، حيث عاد

(١) الخيل : اسم جمع غير داخل في هذه الدراسة

(٢) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٢٩ / ٩)

(٣) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي (٢٦ / ٢١)

الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ أَوْرَثْنَاهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ جَنَّت - عُيُون - كُنُوز ﴾ ، قال الطبري : " ﴿ وَأَوْرَثْنَاهَا ﴾ يُقُولُ : وَأَوْرَثْنَا تِلْكَ الْجَنَّاتِ الَّتِي أَخْرَجْنَاهُمْ مِنْهَا وَالْعُيُونَ وَالْكُنُوزَ وَالْمَقَامَ الْكَرِيمَ عَنْهُمْ بِهَلَاكِهِمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ " (١) ، وقال ابن عاشور : " فضمير ﴿ أَوْرَثْنَاهَا ﴾ هنا عائد للأشياء المعدودة باعتبار أنها أسماء أجناس ، أي أورثنا بني إسرائيل جناتٍ وعيوناً وكنوزاً . " (٢) ، ولاشك أن الجنات والعيون والكنوز التي أخرجوا منها وتركوها كثيرة فعاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا ، ومن دلالة كثرتها كذلك ما ورد في موضع آخر في سورة الدخان في قوله تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ف (كم) تدل على الكثرة .

٥ - (جنات - عيون - زروع)

عاد عليهن الضمير مجتمعات في موضع واحد ، في قوله تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ ﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ ﴿ [الدخان: ٢٥-٢٨] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ أَوْرَثْنَاهَا ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ جَنَّت - عُيُون - زُرُوع ﴾ ، قال الطبري : " ﴿ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ ﴾ يُقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَأَوْرَثْنَا جَنَّاتِهِمْ وَعُيُونَهُمْ وَزُرُوعَهُمْ وَمَقَامَاتِهِمْ ، وَمَا كَانُوا فِيهِ مِنَ النَّعْمَةِ عَنْهُمْ قَوْمًا آخِرِينَ بَعْدَ مَهْلِكِهِمْ . " (٣) ، فللدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا .

* القسم الثاني - عود الضمير جمعًا مؤنثًا على أكثر من جمع لما لا يعقل في القرآن

ورد في القرآن الكريم كلمتان لجمع ما لا يعقل ، وعاد عليهما الضمير - مجتمعتين - جمعًا مؤنثًا ، وهما (السموات - الجبال) ، وجاء ذلك في موضع واحد فقط ، وهو في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢] ، حيث عاد الضمير جمعًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ أَبَيْنَ - أَشْفَقْنَ ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ السَّمَوَاتِ - الْجِبَالِ ﴾ ، وذلك لإنزالهما منزلة العاقل .

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٧ / ٥٧٩)

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩ / ١٤٥)

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (٢١ / ٤٠)

* ملحوظات الفصل الأول :

١. أن العبرة في دلالة جمع ما لا يعقل على القلة أو الكثرة في حال عود الضمير عليه إنما هو السياق ، ولا اعتبار لصيغة الجمع .
٢. أن جمع ما لا يعقل إذا دل على الكثرة ؛ عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا ، وأما إذا دل جمع ما لا يعقل على القلة ؛ فيعود عليه الضمير جمعًا مؤنثًا ، بصرف النظر عن صيغة الجمع .
٣. إذا أنزل جمع ما لا يعقل منزلة العاقل ؛ عومل معاملة العاقل ، فيعود عليه الضمير بصيغة الجمع - كما يعود على جمع العاقل - مراعاةً للمطابقة .
٤. عاد الضمير في القرآن على جمع ما لا يعقل بصيغة المفرد المذكور في أربعة مواضع - على غير العادة في القرآن - ؛ وذلك لوجود ما يستلزم التذكير ، وهن :
 - الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿١١٦﴾ [النحل:٦٦] .
 - الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتْ فُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ [البقرة:٧٤] ،
 - الموضع الثالث / في قوله تعالى : ﴿وَعَاتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴿٤﴾ [النساء:٤] .
 - الموضع الرابع / في قوله تعالى : ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ [النحل:٦٧] .

الفصل الثاني

ما جاء منعوًا من جمع ما لا يعقل في القرآن

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول/ ما كان على صيغ جموع القلة مما لا يعقل في القرآن، وجاء منعوًا
المبحث الثاني/ ما كان على صيغ جموع الكثرة مما لا يعقل في القرآن، وجاء منعوًا
المبحث الثالث/ ما جمع بالألف والتاء مما لا يعقل في القرآن، وجاء منعوًا

المبحث الأول / ما كان على صيغ جموع القلة مما لا يعقل في القرآن ، وجاء منعوتاً

ورد في القرآن الكريم ثمانى كلمات على صيغ جموع القلة لما لا يعقل ، جاء نعتهن مفرداً وجمعاً ، وذلك في تسعة عشر موضعاً ، وتفصيل ذلك على ثلاثة أقسام :

* القسم الأول - ما جاء نعته مفرداً فقط .

ورد في القرآن الكريم خمس كلمات على صيغ جموع القلة لما لا يعقل ؛ وجاء نعتهن مفرداً فقط ، وذلك في ثمانية مواضع ، وهن :

١ - (أكواب)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾ [الغاشية: ١٤] ، وجاء نعتها مفرداً ، وهو قوله تعالى : ﴿ مَّوْضُوعَةٌ ﴾ ، والأكواب كثيرة .

٢ - (أبواب)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ يَبْنَئِي لَأَتَدَخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [يوسف: ٦٧] ، وجاء نعتها مفرداً ، وهو قوله تعالى : ﴿ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾ ، قال البسيلى : " لم يقل (متعدّد) ؛ لأنه أراد تباعد ما بينها ، لأنه أدخل في مراده " (١) ، وقال ابن الجوزي : " وفي المراد بهذا الباب قولان: أحدهما: أنه أراد باباً من أبواب مصر، وكان لمصر أربعة أبواب، قاله الجمهور. والثاني: أنه أراد الطرق لا الأبواب، قاله السدي، وروى نحوه أبو صالح عن ابن عباس. " (٢) ، ويقول مقاتل : " وَلَمَّا دَخَلُوا مِصْرَ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مِنْ طَرَفٍ شَتَّى أَخَذَ

(١) نكت وتنبهات في تفسير القرآن المجيد للبسيلى (٢ / ٢٦١)

(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٤ / ٢٥٣)

كل واحد منهم في طريق على حدة" (١) ، وذلك أدعى لصرف النظر عنهم ، وهو ما أراده أبوهم ، وقد كانوا أحد عشر وهم أهل حسن وجمال وأبناء نبي ، وكل ذلك مدعاة لنظر الناس إليهم وإعجابهم بهم ، فكان لتفرقهم في الطرق أنفى للنظر إليهم ، ومن المعلوم قديماً أن الطرق كانت حافلة بمجالس الناس ، وعلى ذلك تجد أن لقول ابن عباس والسدي ومقاتل وجهاً من الصحة ، فجاء النعت مفرداً لدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة .

٣ - (إيمان)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَنٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم : ٣٩] ، وجاء نعتها مفرداً ، وهو قوله تعالى : ﴿ بَلِغَةٌ ﴾ ، قال البغوي : " ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَنٌ ﴾ ، عُهُودٌ وَمَوَائِقُ ، ﴿ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ ﴾ ، مُؤَكَّدَةٌ عَاهِدْنَاكُمْ عَلَيْهَا ، فَاسْتَوْتَقْتُمْ بِهَا مِنَّا فَلَا يَنْقُطُ عَهْدُكُمْ ، ﴿ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾" (٢) ، فللدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة للتوكيد جاء النعت مفرداً .

٤ - (أضعاف)

وردت منعوتة في موضعين :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَأُضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة : ٢٤٥] ، وجاء نعتها مفرداً ، وهو قوله تعالى : ﴿ كَثِيرَةً ﴾ ، وفضل الله واسع .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ مَضْغَفَةً وَتَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٣٠] ، وجاء نعتها مفرداً ، وهو قوله تعالى : ﴿ مَضْغَفَةً ﴾ ، و لا تكون الأضعاف المضاعفة على سبيل القلة ، فللدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة جاء النعت مفرداً .

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٢ / ٣٤٣)

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٨ / ١٩٨)

٥ - (أسماء)

وردت منعوتة في ثلاثة مواضع :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ١١٠]

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [طه: ٨]

- الموضع الثالث / في قوله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٤]

ورد في هؤلاء المواضع الثلاثة جمع ما لا يعقل ﴿ الْأَسْمَاءُ ﴾ ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ الْحُسْنَىٰ ﴾ ، وأسماء الله الحسنى كثيرة .

* القسم الثاني - ما جاء نعتها جمعًا فقط .

ورد في القرآن الكريم كلمتان على صيغ جموع القلة لما لا يعقل ، وجاء نعتها جمعًا فقط ، وذلك في موضعين ، وهما :

١ - (أشهر)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة : ٥] ، وجاء نعتها جمعًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ الْحُرْمُ ﴾ ، والأشهر الحرم أربعة، قال الطبري : " عَنِ السُّدِّيِّ : ﴿ فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ ﴾ وَهِيَ الْأَرْبَعَةُ الَّتِي عَدَدْتُ لَكَ . يَعْنِي عَشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، وَالْمُحَرَّمِ ، وَصَفَرٍ ، وَرَبِيعِ الْأَوَّلِ ، وَعَشْرًا مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ " (١) ، فللدلالة جمع ما لا يعقل على القلة جاء نعتها جمعًا .

٢ - (السنة)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١١ / ٣٤٥)

رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْحَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ [الأحزاب: ١٩]، وجاء نعتها جمعًا، وهو قوله تعالى: ﴿حِدَادٍ﴾، قال مقاتل: " يقول : ﴿ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ ﴾ يعني السنة سليطة باسطة بالشر يقولون أعطونا الغنيمة فقد كنا معكم فليستم بأحق بها منا" (١)، وقال الرازي : " إِيَّارَةٌ إِلَى غَايَةِ جُبْنِهِمْ وَنَهَايَةِ رَوْعِهِمْ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْبُخْلَ شَبِيهُ الْجُبْنِ، فَلَمَّا ذَكَرَ الْبُخْلَ بَيَّنَّ سَبَبَهُ وَهُوَ الْجُبْنُ وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ هُوَ أَنَّ الْجَبَانَ يَبْخُلُ بِمَالِهِ وَلَا يُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِأَنَّهُ لَا يَتَوَقَّعُ الظَّفَرَ فَلَا يَرْجُو الْعَنِيمَةَ فَيَقُولُ هَذَا إِنْفَاقًا لَا بَدَلَ لَهُ فَيَتَوَقَّفُ فِيهِ، وَأَمَّا الشُّجَاعُ فَيَتَيَقَّنُ الظَّفَرَ وَالْإِعْتِنَامَ فَيَهْوَنُ عَلَيْهِ إِخْرَاجُ الْمَالِ فِي الْقِتَالِ طَمَعًا فِيمَا هُوَ أضعاف ذلك ، وَأَمَّا بِالنَّفْسِ وَالْبَدَنِ فَكَذَلِكَ فَإِنَّ الْجَبَانَ يَخَافُ قَرْنَهُ وَيَتَصَوَّرُ الْمَشَلَّ فَيَجْبُنُ وَيَتْرُكُ الْإِقْدَامَ، وَأَمَّا الشُّجَاعُ فَيَحْكُمُ بِالْعَلْبَةِ وَالنَّصْرِ فَيُقَدِّمُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْحَوْفُ سَلَقُوكُمْ﴾ أَيَّ غَلْبَتِكُمْ بِاللِّسَانِ وَأَذَوَّكُمْ بِكَلَامِهِمْ يَقُولُونَ نَحْنُ الَّذِينَ قَاتَلْنَا وَبَنَّا انْتَصَرْتُمْ وَكَسَرْتُمُ الْعَدُوَّ وَقَهَرْتُمْ وَيُطَالِبُونَكُمْ بِالْقِسْمِ الْأَوْفَرِ مِنَ الْعَنِيمَةِ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ رَاضِينَ مِنَ الْعَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ ، وَقَوْلُهُ : ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ قِيلَ الْخَيْرُ الْمَالُ (٢) ، وهذا هو حال المنافقين في كل زمان ومكان ؛ أنهم جناء ، وأن الخوف مضروب عليهم ، فإذا ذهب الخوف عنهم ، سلقونا باللسنة حداد ، فجاء النعت لألسنتهم جمعًا، تقليلاً لشأنها، وتحقيراً لها، وأنهم أقل من أن يخاف منهم، أو يخشى من غضبهم، فكلامهم كثير وأفعالهم قليلة، فعلى ذلك وإن آذوكم إلا أنهم لا يستطيعون ثنيكم .

* القسم الثالث - ما جاء نعتة مفردًا وجمعًا .

ورد في القرآن الكريم كلمة واحدة على صيغ جموع القلة لما لا يعقل ، وجاء نعتها مفردًا وجمعًا ، وهي كلمة (أيام) ، وذلك في تسعة مواضع ، وتفصيل ذلك :

أولاً / المواضع التي جاء فيها النعت مفردًا ، موضعان هما :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ ﴿١٤﴾

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣ / ٤٨٢)

(٢) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي (٢٥ / ٢٠٢)

[الحاقة: ٢٤] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿الْأَيَّامَ﴾ ، وجاء نعتة مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿الْحَالِيَةَ﴾ ، قال ابن عباس : " بما قدمتم في الأيام الخالية ، قال : يريد أيام الدنيا " (١) ، وأيام الدنيا كثيرة .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿أَيَّامًا﴾ وجاء نعتة مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿مَّعْدُودَةً﴾ ، قال الزجاج : " ومعنى ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ قالوا إنما نَعَذَّبُ لأننا عبدنا العجل أياماً قيل في عددها قولان ، قيل سبعة أيام وقيل أربعون يوماً ، وهذه الحكاية عن اليهود ، هم الذين قالوا : ﴿لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ " (٢) .

وهذه الآية شابهت الآية الواردة في سورة آل عمران ، في قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤] ، والفرق بين الآيتين ؛ أن في سورة البقرة ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ ، وفي سورة آل عمران ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ ، وتفصيل ذلك سيكون في موضع آية سورة آل عمران .

ثانياً / المواضع التي جاء فيها النعت جمعاً ، سبعة مواضع ، وهن :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿أَيَّامًا﴾ ، وجاء نعتة جمعاً ، وهو قوله تعالى : ﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾ ، يقول الماوردي : " قوله عز وجل : ﴿قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ هذا من قول اليهود ، واختلفوا فيها على ثلاثة أقاويل : أحدها : أنها الأيام التي عبدوا فيها العجل وهي أربعون يوماً ، قاله قتادة ، والرابع . والثاني : أنها سبعة أيام ، وهذا قول الحسن . والثالث : أنها متقطعة لانقضاء العذاب فيها ، وهذا قول بعض المتأخرين " (٣) .

(١) تفسير البسيط للواحدى (٢٢ / ١٧٣)

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١ / ١٦١)

(٣) النكت والعيون للماوردي (١ / ٣٨٣)

الجمع بين الآيتين ؛ آية سورة البقرة ، وآية سورة آل عمران :

الناظر في أقوال المفسرين الذين جمعوا بين هاتين الآيتين ، وفرقوا بين مجيء النعت مفردًا وجمعًا ؛ يجد أن لهم أقوالًا وتخريجات عدة - ذكر بعضها في تمهيد هذا البحث - تُنبئ عن وجود فرق في المعنى ، وممن تكلم في ذلك : الكرمانى ، و الحريرى ، والرازى ، وابن الزبير الغرناطى ، وابن جماعة ، وأبو حيان ، والسيوطى ، وابن عاشور ، وغيرهم .

وخلاصة ذلك كله؛ ما ذكره ابن جماعة في كشف المعاني حيث قال: " قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ [البقرة: ٨٠] ، وفي سورة آل عمران : ﴿ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ .

و﴿ مَّعْدُودَةً ﴾ : جمع كثرة ، و﴿ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ : جمع قلة ؟

جوابه: أن قائلى ذلك من اليهود فرقان:

إحداهما قالت : إنما نعذب بالنار سبعة أيام، وهي عدد أيام الدنيا.

وقالت فرقة: إنما نعذب أربعين يوما، وهي أيام عبادتهم العجل.

فآية البقرة يحتمل قصد الفرقة الثانية، وآية آل عمران يحتمل قصد الفرقة الأولى. (١)

وفصل هذه المسألة الدكتور فاضل السامرائى بقوله: " أما الأولى فالكلام فيها على بنى إسرائيل وقد أكثر من الكلام عليهم وفي صفاتهم السيئة فذكر أنهم يُحَرِّفُونَ كلام الله وهم يعملون قال تعالى: ﴿ أَفَتَتَّظَمِعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُوبِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَنُحَدِّثُوكُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [البقرة: ٧٥-٧٦]، فهم يعرفون جُرمهم ويُحَرِّفُونَ به ويعملون به عن قصد وإصرار وقد تَوَعَّدَهُمُ اللهُ بالعذاب الشديد فقال : ﴿ قَوْلٌ لِلَّذِينَ يُكْتَبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [البقرة: ٧٩] .

إذن فهم يعملون بالجرم عن قصد ويحرفونه عن علم ليشتروا به ثمنًا قليلًا. وإذن فهم يعملون

أن الله معاقبهم على هذا الجرم فقالوا: ﴿ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ فجاء بصيغة الكثرة.

وليس الأمر كذلك في آية آل عمران فقد قال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ

يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا

(١) كشف المعاني في المتشابه من المثاني لابن جماعة الكنايى (٤٨)

النَّارِ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَعَرَّهَمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ [آل عمران: ٢٣-٢٤].

فليس في آية آل عمران مثل الجرم المذكور في سورة البقرة من ارتكاب الذنب العمد وتحريف كلام الله ، ففرق كبير بين المقامين . فجاء بزمان العذاب الطويل للجرم الكبير ، والقليل للذنب القليل فقال : ﴿ معدودات ﴾ بصيغة جمع القلة في آل عمران ، بخلاف آية البقرة فسبحان الله رب العالمين " (١) .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ لَهُمْ لَا يَنْصُرُونَ ﴾ ﴿١٦﴾ [فصلت: ١٦] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ أَيَّامٍ ﴾ ، وجاء نعته جمعاً ، وهو قوله تعالى : ﴿ نَحْسَاتٍ ﴾ ، يقول ابن كثير : " قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ ﴾ أَيُّ مُتَتَابِعَاتٍ ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ " (٢) ، والثمانية قليلة ، فللدلالة جمع ما لا يعقل على القلة جاء نعته جمعاً .

- الموضع الثالث / في قوله تعالى : ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ ﴿٢٧﴾ [الحج: ٢٧] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ أَيَّامٍ ﴾ وجاء نعته جمعاً ، وهو قوله تعالى : ﴿ مَّعْلُومَاتٍ ﴾ .

- الموضع الرابع / في قوله تعالى : ﴿ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنكُمُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ﴿٣٣﴾ [البقرة: ٢٠٣] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ أَيَّامٍ ﴾ ، وجاء نعته جمعاً ، وهو قوله عز وجل : ﴿ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ .

الجمع بين الآيتين السابقتين :

قال الطبري : " عن عمرو بن أبي سلمة ، قال : سألت ابن زيد عن الأيام المعدودات ، والأيام المعلومات ، فقال : (الأيام المعدودات أيام التشريق ، والأيام المعلومات : يوم عرفة ، ويوم النحر ، وأيام التشريق) .

وَأَيُّهَا قُلْنَا: إِنَّ الْأَيَّامَ الْمَعْدُودَاتِ هِيَ: أَيَّامٌ مِّنِّي وَأَيَّامٌ رَمِي الْجِمَارِ لِتُظَاهِرَ الْأَخْبَارَ عَن رَسُولِ

(١) التعبير القرآني للسامرائي (٤١)

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤ / ٨٦)

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِيهَا: إِنَّهَا أَيَّامٌ ذَكَرَ اللَّهُ ^(١).

وعلى ذلك ففي كلا الموضوعين دل جمع ما لا يعقل على القلة ، فجاء نعتة جمعاً .

- الموضوع الخامس ، والسادس / في قوله تعالى : ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامَ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٤]

- الموضوع الخامس : ورد في هذه الآية جمع ما لا يعقل ﴿ أَيَّامًا ﴾ ، وجاء نعتة جمعاً ، وهو قوله تعالى : ﴿ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ ، قال ابن عاشور: " والمراد بالأيام من قوله: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ شهر رمضان عند جمهور المفسرين ، وإنما عبر عن رمضان بأيام وهي جمع قلة ووصف بمعدودات وهي جمع قلة أيضاً ؛ تهيؤنا لأمره على المكلفين ، والمعدودات كناية عن القلة ؛ لأن الشيء القليل يعد عدداً ؛ ولذلك يقولون : الكثير لا يعد ، ولأجل هذا اختير في وصف الجمع مجيئه في التأنيث على طريقة الجمع بألف وتاء وإن كان مجيئه على طريقة الجمع المكسر الذي فيه هاء تأنيث أكثر ^(٢) ، وقال الطنطاوي : " وإنما عبر عن رمضان بأيام وهي جمع قلة ووصف بمعدودات وهي جمع قلة- أيضاً- تهيؤنا لأمره على المكلفين، وإشعاراً لهم بأن الله- تعالى- ما فرض عليهم إلا ما هو في وسعهم وقدرتهم." ^(٣)

- الموضوع السادس : ورد في هذه الآية كذلك جمع ما لا يعقل ﴿ أَيَّامٍ ﴾ ، وجاء نعتة جمعاً ، وهو قوله تعالى : ﴿ أُخَرَ ﴾ ، قال القشيري : " أي من أفطر لهذه الأعذار فعليه صوم عدة أيام بعدد ما أفطر قضاء لذلك." ^(٤)

- وفي مجيء نعت (أيام القضاء) جمعاً ؛ ثلاثة معان :

١. إذا كان صوم شهر رمضان جاء نعتة جمعاً وذلك لخفته على النفس فكيف بقضاء

عدة أيام منه فهي من باب أولى .

٢. أن الله ذكر في آيات الصيام أنه سبحانه يريد بنا اليسر ولا يريد العسر فلذلك جاء

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (٣ / ٥٥٣)

(٢) التحري والتنوير لابن عاشور (٢ / ١٥٩)

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ل محمد سيد الطنطاوي (١ / ٤٩٦)

(٤) تفسير القشيري (لطائف الإشارات) لأبي القاسم القشيري (١ / ٨٨)

نعت الأيام جمعًا ؛ لدلالة اليسر .

٣. أن هذا الأمر ما هو إلا لأهل الأعدار وهم قليل مقارنة بالبقية . وكذلك الأكثر في أهل الأعدار صيام أكثر رمضان ، وأن عذرهم طارئ ودليل ذلك أن الشيخ الكبير لا يدخل ضمن من يقضي .

- الموضع السابع / في قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ أَيَّامٍ ﴾ ، وجاء نعتة جمعًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ أُخَرَ ﴾ ، ويقال في هذا الموضع كما قيل في الموضع السادس .

المبحث الثاني / ما كان على صيغ جموع الكثرة مما لا يعقل في القرآن، وجاء منعوتًا

ورد في القرآن الكريم إحدى أربعون كلمة على صيغ جموع الكثرة لما لا يعقل ، جاء نعتها مفردًا وجمعًا ، وذلك في واحد وخمسين موضعًا . وتفصيل ذلك في قسمين :

* القسم الأول - ما جاء نعته مفردًا فقط .

ورد في القرآن الكريم سبع وعشرون كلمة على صيغ جموع الكثرة لما لا يعقل ، جاء نعتها مفردًا فقط ، وذلك في ثلاثة وثلاثين موضعًا ، وهي :

١ - (فواكه)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٩] ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ كَثِيرَةٌ ﴾ ، والفواكه كثيرة .

٢ - (فرش)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ [الواقعة: ٣٤] ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ ، والفرش في الجنة كثيرة .

٣ - (نمارق)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَنَمَارِقٍ مَّصْفُوفَةٍ ﴾ [الغاشية: ١٥] ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ مَّصْفُوفَةٍ ﴾ ، ونيمارق: أي وسائد^(١) ، وهي في الجنة كثيرة .

٤ - (زراي)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَزَرَائِي مَبْثُوثَةٍ ﴾ [الغاشية: ١٦] ،

(١) غريب القرآن المسمى (نزهة القلوب) للسجستاني (٢٠٤)

وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ مَبْثُوثَةٌ ﴾ ، والزراي كثيرة ، قال أبو بكر السجستاني :
 " ﴿ زراي مبنوثة ﴾ : الزراي الطنافس المخملة ، واحدها زَرِيَّةٌ . والزراي البسط . ومبنوثة :
 مفرقة كثيرة في كل مجالسهم " (١) .

٥ - (عظام)

وردت منعوته في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ أَعْدَا كُنَّا عِظْمًا نَّحِرَةً ﴾ (١١) ،
 [النازعات: ١١] ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ نَّحِرَةً ﴾ ، والعظام كثيرة .

٦ - (قلوب)

وردت منعوته في موضع واحد ، في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ
 يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٤٦)
 [الحج: ٤٦] ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ الَّتِي ﴾ ، والقلوب كثيرة .

٧ - (مغانم)

وردت منعوته في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ ءَلَقَىٰ إِلَيْكُمْ ءالسَّلَامُ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ
 كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (٩٤) [النساء: ٩٤] ،
 وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ كَثِيرَةٌ ﴾ ، وما عند الله من مغانم كثير .

٨ - (مواطن)

وردت منعوته في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ
 وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ
 وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾ (٢٥) [التوبة: ٢٥] ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ كَثِيرَةٌ ﴾ ، يقول الرازي :
 " وَالْمَوَاطِنُ الْكَثِيرَةُ غَزَوَاتُ رَسُولِ اللَّهِ . وَيُقَالُ : إِنَّهَا ثَمَانُونَ مَوْطِنًا " (٢) .

(١) غريب القرآن (نزهة القلوب) للسجستاني (١٠٥)

(٢) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي (١٦ / ٢٢)

٩ - (وجوه)

وردت منوعة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۖ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ [عبس: ٣٨-٣٩] ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ مُّسْفِرَةٌ - ضَاحِكَةٌ - مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ ، والوجوه كثيرة .

١٠ - (قناطر)

وردت منوعة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتْنَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ [آل عمران : ١٤] ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ ﴾ ، والقناطر المقنطرة كثيرة، قال الطبري: " عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ : ﴿ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ ﴾ الْمَالُ الْكَثِيرُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ " (١) ، وقال السمين الحلبي : " وصف القناطر بالمقنطرة الدالة على تكثيرها مع كثرتها في ذاتها " (٢) .

١١ - (حجارة)

وردت منوعة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ لِيُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾ [سورة مائدة: ٣٣-٣٤] ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ مُّسَوَّمَةٌ ﴾ ، والحجارة المرسلة عليهم كثيرة .

١٢ - (منافع)

وردت منوعة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢١] ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ كَثِيرَةٌ ﴾ ، قال أبو حيان : " وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ﴾ من الحمل والركوب والحرث والانتفاع بجلودها وأوبارها ، ونبه على غزارة فوائدها وألزامها وهو الشرب والأكل ، وأدرج باقي المنافع في قوله : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ ﴾ " (٣) .

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (٥ / ٢٥٩)

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (٣ / ٦٢)

(٣) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٧ / ٥٥٦)

١٣ - (كتب)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ ﴾ [البينة: ٣] ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ قِيَمَةٌ ﴾ ، قال الواحدي : " ومعنى الكتب في قوله : ﴿ كُتِبَ قِيَمَةٌ ﴾ الآيات المكتوبة في الصحف .
قال صاحب النظم: وتكون كتب بمعنى حَكَم، كقوله تعالى: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَّ ﴾ [المجادلة: ٢١] أي حَكَم الله .

ومنه حديث العسيف : (لأقضين بينكما بكتاب الله) : أي بحكم الله . فيحتمل على هذا أن يكون ﴿ كُتِبَ قِيَمَةٌ ﴾ أحكامًا قيمة. ^(١) ، وعلى ذلك فالكتب كثيرة ، سواءً أكان المقصود الآيات المكتوبة في الصحف أم الأحكام .

١٤ - (نذر)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى ﴾ [النجم: ٥٦] ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ الْأُولَى ﴾ ، قال الطبري : " عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى ﴾ قَالَ: أَنْذَرَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا أَنْذَرَتِ الرَّسُلُ مِنْ قَبْلِهِ.....

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ غَيْرُ هَذَا كُلِّهِ، وَقَالُوا: مَعْنَاهُ هَذَا الَّذِي أَنْذَرْتُمْ بِهِ أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنَ الْوَقَائِعِ الَّتِي ذَكَرْتُمْ لَكُمْ أَيُّ أَوْفَعْتُمْهَا بِالْأَمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ النَّذْرِ الَّتِي أَنْذَرْتُمْهَا الْأَمَمَ قَبْلَكُمْ فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ^(٢) ، والوقائع كثيرة .

١٥ - (مآرب)

وردت منعوتة في موضع واحد، وهو في قوله تعالى: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾ [طه: ١٨] ، وجاء نعتها مفردًا، وهو قوله تعالى: ﴿ أُخْرَى ﴾ ، وهي كثيرة ، يقول القرطبي في تعديد منافع العصا : " وَلَقِيَ الْحَجَّاجُ أَعْرَابِيًّا فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ

(١) تفسير البسيط للواحدي (٢٤ / ٢١٣)

(٢) ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (٢٢ / ٩٣)

يَا عَرَابِيُّ؟ قَالَ: مِنَ الْبَادِيَةِ. قَالَ: وَمَا فِي يَدِكَ؟ قَالَ: عَصَايَ أَرَكُرُّهَا لِصَلَاتِي ، وَأَعِدُّهَا لِإِعْدَاتِي ، وَأَسُوقُ بِهَا دَابَّتِي ، وَأَقْوَى بِهَا عَلَى سَفَرِي ، وَأَعْتَمِدُ بِهَا فِي مَشِيَّتِي لِتَسْبِيحِ خَطْوَتِي ، وَأَثْبُ بِهَا النَّهْرَ ، وَتَوْمُنِي مِنَ الْعَثْرِ ، وَأُلْقِي عَلَيْهَا كِسَائِي فَيَقِينِي الْحَرَّ ، وَيُدْفِنُنِي مِنَ الْقُرِّ ، وَتُذِنِي إِلَيَّ مَا بَعْدَ مَيِّ ، وَهِيَ حَمَلُ سَفَرَتِي ، وَعَلَاقَةُ إِدَاوَتِي ، أَعْصِي بِهَا عِنْدَ الضَّرَابِ ، وَأَفْرَعُ بِهَا الْأَبْوَابَ ، وَأَتَقِي بِهَا عَقُورَ الْكِلَابِ ، وَتَتُوبُ عَنِ الرُّمَحِ فِي الطَّعَانِ ، وَعَنِ السَّيْفِ عِنْدَ مُنَازَلَةِ الْأَقْرَانِ ، وَرَثَّتْهَا عَنْ أَبِي ، وَأَوْرَثْتُهَا بَعْدِي ابْنِي ، وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي ، وَلِي فِيهَا مَارِبُ أُخْرَى ، كَثِيرَةٌ لَا تُحْصَى" (١) .

١٦ - (رهان)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ أَمْنَتَهُ ، وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكُونُوا الشَّاهِدَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ ، والرَّهْنُ (شرعًا) : " حَبْسُ الشَّيْءِ بِحَقِّ لِيُسْتَوْفَى مِنْهُ عِنْدَ تَعَدُّرِ وَفَائِهِ ، وَمَا وَضِعَ عِنْدَكَ لِيَنْوَبَ مِنْهُ مَا أَخَذَ مِنْكَ" (٢) ، فلا يرهن القليل ولا رخيص الثمن .

١٧ - (خشب)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْتُمْ خَشَبٌ مُسْتَنْدَةٌ يَخْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْتَ يُؤْفِكُونَ ﴾ [المنافقون: ٤] ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ مُسْتَنْدَةٌ ﴾ ، قال الواحدي : " مسندة أي : مماله إلى الجدار ، من قولهم : أسندت الشيء ، أي : أملتة ، والتفعيل للتكثير ، لأنه صفة خشب ، وهي جمع ، وأراد أنها ليست بأشجار تثمر وتنمو أو تحسن منظرها بل هي خشب مسندة إلى حائط . " (٣) ، وكثيرًا ما تسند الخشب على الجدر ، والمنافقون كثير .

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٤ / ١٤)

(٢) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (٣٧٨)

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي (٤ / ٣٠٣)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ التَّخْلِ مِنَ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٩] ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ دَانِيَةٌ ﴾ ، قال الماوردي : " القنوان جمع قنو وفيه ثلاثة تأويلات : أحدهما : أنه الطلع ، قاله الضحاك . والثاني : أنه الجمار . والثالث : هي الأعداق " (١) ، وعلى أي من هؤلاء التأويلات فالقنو كثير .

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَشَرَّوهُ بِثَمْنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ [يوسف: ٢٠] ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ مَعْدُودَةٍ ﴾ ، قال الماوردي في تفسير هذه الآية : " بثمان بخص ﴿ فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أن البخص ها هنا الحرام ، قاله الضحاك ، قال ابن عطاء: لأنهم أوقعوا البيع على نفس لا يجوز بيعها فكان ثمنه وإن جَلَّ بخصاً . وما هو وإن باعه أعداؤه بأعجب منك في بيع نفسك بشهوة ساعة من معاصيك . الثاني: أنه الظلم ، قاله قتادة . الثالث: أنه القليل ، قاله مجاهد والشعبي .

﴿ دراهم معدودة ﴾ اختلف في قدرها على ثلاثة أقاويل: أحدها: أنه بيع بعشرين درهماً اقتسموها وكانوا عشرة فأخذ كل واحد منهم درهمين ، قاله ابن مسعود وابن عباس وقتادة وعطية والسدي . الثاني: باثنين وعشرين درهماً ، كانوا أحد عشر فأخذ كل واحد درهمين ، قاله مجاهد . الثالث بأربعين درهماً ، قاله عكرمة وابن إسحاق " (٢) .

في هذه الآية جاء التعبير عن بيع يوسف - عليه السلام - دقيق الوصف ، حيث جاء نعت الدراهم مفردًا ؛ ليفيد دلالة الدراهم على الكثرة ، ونُعت الثمن بالبخص ؛ ليدل على أنه غير حق في يوسف عليه السلام ، فالثمن وإن جَلَّ فهو بخص ، كما قال ابن عطاء ، وأما قول من قال أنه بمعنى قليل ففي قوله نظر، فكأنه يقول: لو زيد المبلغ لكان حقًا ومكافئًا ليوسف عليه السلام، حاشاه؛ فهو أجل وأرفع من أن يُقدر بثمان فهو حُرٌّ ، وهو نبي الله .

(١) النكت والعيون للماوردي (٢ / ١٤٩)

(٢) النكت والعيون للماوردي (٣ / ١٨)

٢٠ - (عمد)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ [الهمزة: ٩] ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ مُمَدَّدَةٌ ﴾ ، قال أبو حيان في تفسير هذه الآية : " قال الفراء : جمع عمود ، كما قالوا : آدم وأدم . وقال أبو عبيدة : جمع عماد . قال ابن زيد : في عمد حديد مغلولين بها . وقال أبو صالح : هذه النار هي قبورهم ، والظاهر أنها نار الآخرة ، إذ يؤسوا من الخروج بإطباق الأبواب عليهم وتمدد العمد ، كل ذلك إيذاناً بالخلود إلى غير نهاية . وقال قتادة : كنا نحدث أنها عمد يعذبون بها في النار . وقال أبو صالح : هي القيود ، والله تعالى أعلم" (١) ، نسأل الله العافية وهل في النار قليل من العذاب ! ، فللدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة جاء نعتة مفردًا .

٢١ - (قرى)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحشر: ١٤] ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ مُحْصَنَةٌ ﴾ ، فللدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة جاء نعتة مفردًا ، قال الواحدي : " أي: لا يبرزون لحربكم، إنما يقاتلون متحصنين بالقرى والجدران" (٢) ، فمن خوفهم أنهم يحصنون كل ما يملكونه من قرى ، قل ذلك أو أكثر ، واليهود جناء لا يقاتلون ، ويخافون المواجهة إلا إذا تملكوا الكثير من القرى وبعد التحصين ؛ فقد يحاولون إبراز قوتهم بإبراز ما يملكون من سلاح ومن حصون مانعة .

٢٢ - (بروج)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصَبِّهُمُ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصَبِّهُمُ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٧٨] ، وجاء

(١) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (١٠ / ٥٤٢)

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي (٤ / ٢٧٦)

نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ مُشِيدَةٌ ﴾ ، قال ابن كثير : " وَقَوْلُهُ ﴿ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ﴾ أَي حَصِينَةٌ مَنِيعَةٌ عَالِيَةٌ رَفِيعَةٌ وَقِيلَ هِيَ بُرُوجٌ فِي السَّمَاءِ قَالَهُ السُّدِّيُّ وَهُوَ ضَعِيفٌ وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا الْمَنِيعَةُ أَي لَا يُعْنِي حَذْرٌ وَتَحْصُنُ مِنَ الْمَوْتِ كَمَا قَالَ زُهَيْرٌ بْنُ أَبِي سَلَمَى ^(١) :
 وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَايَا يَنْلُهُ وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسَلْمٍ
 ثُمَّ قِيلَ : الْمَشِيدَةُ هِيَ الْمَشِيدَةُ كَمَا قَالَ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ وَقِيلَ بَلْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ وَهُوَ أَنَّ
 الْمَشِيدَةَ بِالتَّشْدِيدِ هِيَ الْمُطَوَّلَةُ وَبِالتَّخْفِيفِ هِيَ الْمُزَيَّنَةُ بِالشَّيْدِ وَهُوَ الْجِصُّ ^(٢) ، وعلى ذلك
 فلم يكتف بأنها بروج مرتفعة بل زيد في تحصينها وتشبيدها ، ليعلم أنه مهما حاولت فإن الموت
 مدرك لا محالة ، ولدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة جاء نعتة مفردًا .

٢٢ - (موازين)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] ،
 وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ الْقِسْطُ ﴾ ، قال القرطبي : " الموازين جمع ميزان ، فقيل :
 إنه يدل بظاهره على أن لكل مكلف ميزانًا توزن به أعماله ، فتوضع الحسنات في وكفة ،
 والسيئات في كفة . وقيل : يجوز أن يكون هناك موازين للعامل الواحد ، يوزن بكل ميزان منها
 صنف من أعماله ؛ كما قال :

ملك تقوم الحوادث لعدله ... فلكل حادثة لها ميزان

ويمكن أن يكون ميزانًا واحدًا عبر عنه بلفظ الجمع. وخرج اللالكائي الحافظ أبو القاسم في
 (سننه) عن أنس يرفعه : (إن ملكًا موكلًا بالميزان فيؤتى بآدم فيوقف بين كفتي الميزان فإن
 رجح ؛ نادى الملك بصوت يسمع الخلائق : سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدًا ، وإن خف
 نادى الملك : شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا) . وخرج عن حذيفة رضي الله عنه قال :
 (صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام) . وقيل : للميزان كفتان ، وخيوط ، ولسان
 والشاهين ؛ فالجمع يرجع إليها .

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى (١١١)

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١ / ٤٥٢)

وقال مجاهد وقتادة والضحاك : ذكر الميزان مثلاً ، وليس ثم ميزان ، وإنما هو العدل . والذي وردت به الأخبار ، وعليه السواد الأعظم القول الأول . " (١) ، وقال ابن الجوزي : " فإن قيل : إذا كان الميزان واحداً ، فما المعنى بذكر الموازين؟

فالجواب : أنه لما كانت أعمال الخلائق توزن وزنةً بعد وزنة ، سُميت موازين " (٢) ، وعلى ذلك فإن كان المقصود بالموازين هو أن لكل مكلف ميزان ، أو لكل عمل ميزان ، أو أن أعمال الخلائق توزن وزنة بعد وزنة ؛ فكل ذلك دل جمعه على كثرة ، فناسب نعته بمفرد ، وأما من قال بأنه يمكن أن يكون ميزاناً واحداً عبر عنه بلفظ الجمع ، أو قال أنه ليس ثم ميزان وإنما هو العدل ؛ فهذا على تأويل ، والأصل عند السلف الحكم بظاهر النص ما لم يأت صارفٌ صحيحٌ معتبرٌ .

٢٤ - (مساكن)

وردت منعوتةً في موضعين :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ٧٢]

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [الصف : ١٢]

ورد في هذين الموضعين جمع ما لا يعقل ﴿ مَسْكِنٍ ﴾ ، وجاء نعتها مفرداً ، وهو قوله تعالى : ﴿ طَيِّبَةً ﴾ ، والمسكن في الجنة كثيرة ، فلدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة جاء نعتها مفرداً .

٢٥ - (سرر)

وردت منعوتةً في موضعين :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَرَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الطور : ٢٠]

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤ / ٢١١)

(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٥ / ٣٥٤)

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ فِيهَا سُرُّ مَرْفُوعَةٌ ﴾ [الغاشية: ١٣]

ورد في هذين الموضعين جمع ما لا يعقل ﴿ سُرُّ ﴾ ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى :
﴿ مَّصْفُوفَةٌ - مَرْفُوعَةٌ ﴾ ، والسرر في الجنة كثيرة .

٢٦ - (قرون)

وردت منعوتة في موضعين :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ
الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص: ٤٣] ، حيث ورد في هذا الموضع
جمع ما لا يعقل ﴿ الْقُرُونَ ﴾ ، وجاء نعته مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ الْأُولَى ﴾ ، والقرون
الأولى كثيرة ، قال مقاتل : " ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا ﴾ بالعذاب في
الدنيا ﴿ الْقُرُونَ الْأُولَى ﴾ يعني نوحًا وعادًا وثمودَ وقوم إبراهيم وقوم لوطٍ وقوم شعيب وغيرهم
كانوا قبل موسى " (١) .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٨] ،
حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ قُرُونًا ﴾ ، وجاء نعته مفردًا ، وهو
قوله تعالى : ﴿ كَثِيرًا ﴾ ، قال البغوي : " أَيِّ وَأَهْلَكْنَا قُرُونًا كَثِيرًا بَيْنَ عَادٍ وَأَصْحَابِ الرَّسِّ " (٢) .
ملحوظة :

ورد في القرآن الكريم كلمة (قرون) في عدة مواضع لم أذكرها في البحث ؛ سواءً كانت
منعوتة كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴾ [المؤمنون: ٤٢] ، أو عاد عليها
الضمير كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا
كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [يونس: ١٣] ، وما ذلك إلا لأنها جاءت بمعنى : أمة
أو جماعة تعيش في عصرٍ أو زمانٍ واحد ، فعوملت معاملة العاقل لدلالتها عليه ، ومن أمثلة
مجيء (القرن) بهذا المعنى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي
الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣ / ٣٤٦)

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٦ / ٨٥)

بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ [الأنعام:٦] ، فقوله : ﴿ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ دليل أنها دلت على عقلاء ، وقال السمعاني : " قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ ﴾ قيل : ثَمَانُونَ سَنَةً ، وَقِيلَ : سِتُّونَ سَنَةً ، وَقِيلَ : أَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَقِيلَ : ثَلَاثُونَ سَنَةً ، وَالْقُرْنُ عِنْدَ حِفَاظِ الْحَدِيثِ : مِائَةٌ سَنَةٌ ؛ فَإِنَّهُ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَسْرٍ الْمَازِنِيِّ : " إِنَّكَ تَعِيشُ قَرْنَا " ، فَعَاشَ مِائَةَ سَنَةٍ ، فَاسْتَدَلُّوا بِهِ عَلَى أَنَّ الْقُرْنَ مِائَةٌ سَنَةٌ ، وَفِي الْأَخْبَارِ : كَانَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ : عَشْرَةُ قُرُونٍ ، وَبَيْنَ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ : عَشْرَةُ قُرُونٍ ، وَالْقُرْنُ فِي الْحَقِيقَةِ : هُوَ أَهْلُ كُلِّ زَمَانٍ ، سَوَاءَ بَعَثَ فِيهِمْ نَبِيًّا أَوْ لَمْ يَبْعَثْ ؛ وَعَلَيْهِ دَلُّ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ " يَعْنِي : ثُمَّ الْقُرْنَ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ " (١) ، وَمِنْ نِظَائِرِ ذَلِكَ كَلِمَةُ (أُمَّم) كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [الأنعام:٤٢] ، وَعَلَىٰ ذَلِكَ فَهَذِهِ الْكَلِمَاتُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ لَا يَشْمَلُهَا الْبَحْثُ ؛ لِذَلَالَتِهَا عَلَى الْعُقَلَاءِ .

٢٧ - (صحف)

وردت منعوتة في أربعة مواضع :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَا تِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوْ لَمْ تأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ [طه:١٣٣] [طه:١٣٣]

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ [الأعلى:١٨] [الأعلى:١٨]

ورد في هذين الموضعين جمع ما لا يعقل ﴿ الصُّحُفِ ﴾ ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ الْأُولَى ﴾ ، والصحف الأولى كثيرة ، قال الماوردي : " حكى وهب بن منبه في المبتدأ أن جميع الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه مائة صحيفة وخمس صحف وأربعة كتب ، منها خمسة وثلاثون صحيفة أنزلها على شيث بن آدم وخمسون صحيفة أنزلها على إدريس ، وعشرون صحيفة أنزلها على إبراهيم ، وأنزل التوراة على موسى ، والزبور على داود ، والإنجيل على عيسى ، والفرقان على محمد عليهم السلام " (٢) .

(١) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٢ / ٨٨)

(٢) النكت والعيون للماوردي (٦ / ٢٥٦)

- الموضع الثالث / في قوله تعالى : ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحْفًا مِّنْشَرَّةً ﴾ [المذثر: ٥٢] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ صُحْفٍ ﴾ وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ مِّنْشَرَّةٍ ﴾ ، الصحف : الكتب ، واحدها صحيفة ، و ﴿ مِّنْشَرَّةً ﴾ معناها منشورة ، والتفعيل للكثرة في الجمع ، والصحف كثيرة ، فللدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة جاء نعتة مفردًا .

- الموضع الرابع / في قوله تعالى : ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ [عبس: ١٣-١٤] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ صُحُفٍ ﴾ وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ مُّكْرَمَةٍ - مَرْفُوعَةٍ - مُّطَهَّرَةٍ ﴾ ، قال البغوي : " ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ﴾ [١٣] ، يَعْنِي اللَّوْحَ المحفوظ . وقيل : كتب الأنبياء عليهم السلام ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴾ [ص: ١٨] صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿ [الأعلى: ١٨-١٩] " (١) ، والصحف كثيرة .

* القسم الثاني - ما جاء نعتة جمعًا فقط .

ورد في القرآن الكريم أربع عشرة كلمة على صيغ جموع الكثرة لما لا يعقل ، جاء نعتها جمعًا فقط ، وذلك في ثمانية عشر موضعًا ، وهي :

١ - (ليالٍ)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ [الفجر: ٢] ، وجاء نعتها جمعًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ عَشْرٍ ﴾ ، والعشرة قليلة .

٢ - (قدور)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ يَعْْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمْثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣] ، وجاء نعتها جمعًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ رَّاسِيَتٍ ﴾ ، قال أبو بكر السجستاني : "

(١) معالم التنزيل للبغوي (٨ / ٣٣٦)

قدور راسيات : ثابتات في أماكنها لا تنزل لعظمتها، ويقال : أثافيتها منها" (١) ، وقال البغوي :
 " ﴿ وَقُدُورَ رَاسِيَتِ ﴾ ثَابِتَاتٍ لَهَا قَوَائِمٌ لَا يَحْرُكُنَّ عَنْ أَمَاكِنِهَا لِعَظْمَتِهَا وَلَا يَنْزِلُنَّ وَلَا يَعْطَلْنَ ،
 وكان يصعد عليها بالسلام ، وَكَانَتْ بِالْيَمَنِ" (٢) ، فجاء نعتها جمعاً للفت الانتباه إلى عظمتها ؛
 إذ لو كان نعتها مفرداً لكان لفت الانتباه إلى كثرة عددها لا إلى الضخامة والعظمة . ولو قيل
 إن المراد إيراد المعنيين الضخامة مع كثرة العدد ؛ لكان هذا فيه دلالة إلى كثرة عدد الآكلين ،
 وليس هذا المقصود ، وإنما المقصود عظم وضحامة ما تصنعه الجن لسليمان عليه السلام ،
 وكذلك لو نظرنا إلى قوله تعالى : ﴿ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ ﴾ لوجدنا أنها لم تنعت ، وذلك لأن المراد
 من جمعها الكثرة لا غير ، وعلى ذلك ناسب هنا مجيء النعت جمعاً .

٣ - (رواسي)

وردت منوعة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَّ سَلِمَاتٍ
 وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴾ [المرسلات: ٢٧] ، وجاء نعتها جمعاً ، وهو قوله تعالى : ﴿ سَلِمَاتٍ ﴾ ،
 قال الطبري : " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ جِبَالًا ثَابِتَاتٍ فِيهَا، بَادِيَاتٍ شَاهِقَاتٍ" (٣) ،
 ويقول ابن أبي زمنين : " يَعْنِي: الْجِبَالَ الْمُرتَفِعَةَ" (٤) ، ويقول الزجاج : " أي جبالاً ثوابت، يقال
 رسا الشيء يَرسُو إذا ثبت ، ﴿ شَاهِقَاتٍ ﴾ مرتفعتات. " (٥) ، ومعنى شَمَخَ: " شَمَخَ الْجَبَلُ يَشْمَخُ
 شُمُوحًا: عَلَا وَارْتَفَعَ وَطَالَ. وَالْجِبَالُ الشَّوَامِحُ: الشَّوَاهِقُ" (٦) .

وعلى ذلك؛ فالرواسي هي الجبال العظيمة المرتفعة جداً، فلعظمتها ناسب مجيء نعتها جمعاً.

٤ - (جمالة)

وردت منوعة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ ﴾

(١) غريب القرآن (نزهة القلوب) للسجستاني (١٦٤)

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٦ / ٣٩١)

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (٢٣ / ٥٩٨)

(٤) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٥ / ٧٩)

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥ / ٢٦٧)

(٦) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (٧ / ٢٨٣)

[المرسلات: ٣٣]، وجاء نعتها جمعًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ صُفْرٌ ﴾ ، قال الماوردي في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا تَرْمِي بِشَرِّرٍ كَالْقَصْرِ ﴾ : "والشرر ما تطاير من قطع النار، وفي قوله تعالى : ﴿ كَالْقَصْرِ ﴾ خمسة أوجه :

أحدها : أنه أصول الشجر العظام ، قاله الضحاك .

الثاني : كالجبل ، قاله مقاتل .

الثالث : القصر من البناء وهو واحد القصور ، قاله ابن مسعود .

الرابع : أنها خشبة كان أهل الجاهلية يقصدونها ، نحو ثلاثة أذرع ، يسمونها القصر ، قاله ابن عباس .

الخامس : أنها أعناق الدواب ، قاله قتادة .

ويجتمل وجهًا سادسًا: أن يكون ذلك وصفًا من صفات التعظيم ، كنى عنه باسم القصر ، لما في النفوس من استعظامه ، وإن لم يُردَّ به مسمى بعينه .

﴿ كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني جمالًا صُفْرًا وأراد بالصفرة السود ، سميت صُفْرًا لأن سوادها يضرب إلى الصفرة، وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة .

الثاني : أنها قلوس^(١) السفن ، قاله ابن عباس وسعيد بن جبیر .

الثالث : أنها قطع النحاس ، وهو مروى عن ابن عباس أيضاً^(٢) ،

وقال الزمخشري : " وفي التشبيه بالجمالات وهي القلوس : تشبيهه من ثلاث جهات : من جهة العظم والطول والصفرة " ^(٣) .

وعلى ذلك جاء النعت جمعًا ؛ للفت الانتباه إلى العظمة لا إلى العدد ، فالعبرة بعظم ما ترميه من شر لا بكثرته ، فكون الشرر كالقصر في العظم وكالقلوس في الحركة ، أعطى ذلك منظرًا وصورة مخيفة جدًا .

(١) القلُسُ: حَبْلٌ صَخْمٌ من ليفٍ أو خوصٍ . تاج العروس للزبيدي (١٦ / ٣٩١)

(٢) النكت والعيون للماوردي (٦ / ١٨٠)

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (١١٧٠)

٥ - (سبل)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ [نوح: ٢٠] ، وجاء نعتها جمعاً ، وهو قوله تعالى : ﴿ فِجَاجًا ﴾ ، قال الواحدي : " وقوله : ﴿ سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ ، أي : طرقاً واسعة ، واحدها: فِجَجٌ " (١) ، فجاء النعت جمعاً للفت الانتباه وصرف الذهن إلى مفهوم العظمة وسعة تلك السبل لا كثرتها .

٦ - (حدائق)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَحَدَائِقِ غُلْبًا ﴾ [عبس: ٣٠] ، وجاء نعتها جمعاً ، وهو قوله تعالى : ﴿ غُلْبًا ﴾ ، قال الزجاج : " حدائق واحدها حديقة ، وهي البساتين ، والشجر الملتف ، قوله ﴿ غُلْبًا ﴾ معناه مُتَكَاثِفَةٌ عِظَامٌ " (٢) ، وقال الزمخشري : " ﴿ وَحَدَائِقِ غُلْبًا ﴾ يحتمل أن يجعل كل حديقة غلباء، فيريد تكاثفها وكثرة أشجارها وعظمتها، كما تقول: حديقة ضخمة، وأن يجعل شجرها غلباء، أي: عظاما غلاظا " (٣) ، ولذلك المعنى جاء النعت جمعاً للفت الانتباه وصرف الذهن إلى معنى تكاثف أشجارها وعظمتها ، لا إلى عدد أو كثرة .

٧ - (طرائق)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَا مِمَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ [الجن: ١١] ، وجاء نعتها جمعاً ، وهو قوله تعالى : ﴿ قِدَدًا ﴾ ، فالمقصود من الاختلاف هنا اختلاف تضاد لا اختلاف تنوع ، فالقد يدل على القطع ، بمعنى أنه ليس هناك رابط بينهم وهذا هو اختلاف التضاد ، قال تعالى عنهم: ﴿ وَأَنَا مِمَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ فِي ذَلِكَ أَنَّ الاختلاف بينهم مدعاة فرقة وشتات ، أما كثرة المذاهب فقد يكون بينهم نوع اتفاق بين بعض المذاهب ثم فسر ذلك في الآيات بعدها في قوله تعالى عنهم : ﴿ وَأَنَا مِمَّا

(١) تفسير البسيط للواحدي (٢٢ / ٢٦١)

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥ / ٢٨٦)

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (١١٨٠)

المُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ﴿٤﴾ ، قال الزجاج : " وقوله : ﴿ وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ﴾ . قِدْدٌ متفرقون ، أي كنا جماعات ، متفرقين ، مُسْلِمِينَ وغير مسلمين . قوله : ﴿ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ﴾ هذا تفسير قولهم : ﴿ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ﴾ ، والقاسطون : الجائرون " (١) ، فجاء النعت جمعاً للفت الانتباه إلى اختلافهم لا إلى كثرة مذاهبهم .

٨ - (نخيل)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ فِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَاتٌ وَجَدَّتْ مِنْ أَعْتَابِ وَرَزَعٍ وَنَخِيلٍ صِنَوَانٍ وَعَيْرٍ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٤] ، وجاء نعتها جمعاً ، وهو قوله تعالى : ﴿ صِنَوَانٍ ﴾ ، قال الرازي : " وَالصَّنُو أَنْ يَكُونَ الْأَصْلُ وَاحِدًا وَتَنْبُتَ فِيهِ النَّخْلَتَانِ وَالثَّلَاثَةُ فَأَكْثَرُ فَكُلُّ وَاحِدَةٍ صِنُوٌ . وَذَكَرَ ثَعْلَبٌ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ: الصَّنُو الْمِثْلُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَلَا إِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُو أَبِيهِ) أَي مِثْلُهُ.

إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَتَقُولُ: إِذَا فَسَّرْنَا الصَّنُوَ بِالتَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ كَانَ الْمَعْنَى: إِنَّ النَّخِيلَ مِنْهَا مَا يَنْبُتُ مِنْ أَصْلِ وَاحِدٍ شَجَرَتَانِ وَأَكْثَرُ، وَمِنْهَا مَا لَا يَكُونُ كَذَلِكَ، وَإِذَا فَسَّرْنَاهُ بِالتَّفْسِيرِ الثَّانِي كَانَ الْمَعْنَى: أَنَّ أَشْجَارَ النَّخِيلِ قَدْ تَكُونُ مُتَمَاثِلَةً مُتَشَابِهَةً، وَقَدْ لَا تَكُونُ كَذَلِكَ " (٢) ، وقال مجاهد : " عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ صِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ ﴾ قَالَ : الصَّنَوَانُ : النَّخْلُ الْمُجْتَمِعُ ، الثَّلَاثُ وَالْأَرْبَعُ وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ ، أَصْلُهُ وَاحِدٌ . وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ : النَّخْلُ الْمُتَفَرِّقُ ، كُلُّ نَخْلَةٍ عَلَى حِدَةٍ " (٣) .

وعلى ذلك فالصنوان : النخلُ المُجْتَمِعُ ، الثَّلَاثُ وَالْأَرْبَعُ وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ بقليل ؛ فُنِعَتِ النخيل بالصنوان ، وهو جمع ؛ ليدل على النخل المجتمع ذات الأصل الواحد ، فلهذا المعنى جاء النعت جمعاً .

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥ / ٢٣٥)

(٢) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي (١٩ / ٨)

(٣) تفسير الإمام مجاهد بن جبر (١ / ٤٠٣)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّظْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨] ، وجاء نعتها جمعاً ، وهو قوله تعالى : ﴿ أَمْثَالُكُمْ ﴾ ، ﴿ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ قال الزجاج : " أي : في الخلق والموت والبعث " (١) ، وقال الواحدي : " قال أبو سليمان : ما أحسن ما تأول أبو محمد هذه الآية واستنبط منها هذه الحكمة ، وذلك أن الكلام إذا لم يكن حكمه مطاوعاً لظاهره وجب المصير إلى باطنه ، وقد أخبر الله تعالى عن وجود المماثلة بيننا وبين كل طائر ودابة ، وذلك ممتنع من جهة الخلق والصورة وعدم من جهة النطق والمعرفة ، فوجب أن يكون منصرفاً إلى المماثلة في الطباع والأخلاق ، وإذا كان الأمر كذلك فاعلم يا أخي أنك إنما تعاشر البهائم والسباع ، فليكن حذرک منهم ومباعدتك إياهم على حسب ذلك " (٢) ، فعندما كانت المماثلة ممتنعة في كل شيء بيننا وبين الدواب والطيور ، جاء النعت جمعاً ليدل على أن المماثلة ليست في كل شيء ، وإنما هي في بعض الأشياء ، كما فسره بعض العلماء ، منها الطباع والخلق والموت والبعث . ولو قيل أمم مثلکم لكان التماثل في كل شيء ، فسبحان من أعجز الفصحاء أن يأتوا بمثله .

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ [فاطر: ٢٧] ، وجاء نعتها جمعاً ، وهو قوله تعالى : ﴿ بَيْضٌ وَحُمْرٌ ﴾ ، يقول الرازي في تفسير هذه الآية : " كَأَنَّ قَائِلًا قَالَ اخْتِلَافُ الثَّمَرَاتِ لِاخْتِلَافِ الْبِقَاعِ . أَلَا تَرَىٰ أَنَّ بَعْضَ النَّبَاتَاتِ لَا تَنْبُتُ بِبَعْضِ الْبِلَادِ كَالزَّعْفَرَانِ وَغَيْرِهِ ، فَقَالَ تَعَالَىٰ اخْتِلَافُ الْبِقَاعِ لَيْسَ إِلَّا بِإِرَادَةِ اللَّهِ وَإِلَّا فَلِمَ صَارَ بَعْضُ الْجِبَالِ فِيهِ مَوَاضِعٌ حُمْرٌ وَمَوَاضِعٌ بَيْضٌ ، وَالْجُدُدُ جَمْعُ جُدَّةٍ وَهِيَ الْحُطَّةُ أَوْ الطَّرِيقَةُ ، فَإِنْ قِيلَ الْوَاوُ فِي : ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ ﴾ مَا تَقْدِيرُهَا؟

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢ / ٢٤٥)

(٢) تفسير البسيط للواحدي (٨ / ١١٧)

نَقُولُ هِيَ تَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا: أَنْ تَكُونَ لِلِاسْتِثْنَاءِ كَأَنَّهُ قَالَ تَعَالَى وَأَخْرَجْنَا بِالْمَاءِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفَةً أَلْوَانٍ، وَفِي الْأَشْيَاءِ الْكَائِنَاتِ مِنَ الْجِبَالِ جُدُدٌ بَيْضٌ دَالَّةٌ عَلَى الْقُدْرَةِ، رَادَّةٌ عَلَى مَنْ يُنَكِّرُ الْإِرَادَةَ فِي اخْتِلَافِ أَلْوَانِ الثَّمَارِ ، ثَانِيَهُمَا: أَنْ تَكُونَ لِلْعَطْفِ تَقْدِيرُهَا وَخَلْقَ مِنَ الْجِبَالِ. قَالَ الرَّخْشَرِيُّ: أَرَادَ ذُو جُدُدٍ وَاللَّطِيفَةُ الثَّلَاثَةُ: ذَكَرَ الْجِبَالَ وَلَمْ يَذْكُرِ الْأَرْضَ كَمَا قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ ﴾ [الرَّعْدُ: ٤] مَعَ أَنَّ هَذَا الدَّلِيلَ مِثْلُ ذَلِكَ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ فِي الْأَوَّلِ : ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ ﴾ كَانَ نَفْسُ إِخْرَاجِ الثَّمَارِ دَلِيلًا عَلَى الْقُدْرَةِ ثُمَّ زَادَ عَلَيْهِ بَيَانًا ، وَقَالَ مُخْتَلِفًا كَذَلِكَ فِي الْجِبَالِ فِي نَفْسِهَا دَلِيلٌ لِلْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ ، لِأَنَّ كَوْنَ الْجِبَالِ فِي بَعْضِ نَوَاحِي الْأَرْضِ دُونَ بَعْضِهَا وَالِاخْتِلَافُ الَّذِي فِي هَيْئَةِ الْجَبَلِ فَإِنَّ بَعْضَهَا يَكُونُ أَخْفَضَ وَبَعْضَهَا أَرْفَعَ دَلِيلٌ الْقُدْرَةِ وَالِاخْتِيَارِ ، ثُمَّ زَادَهُ بَيَانًا وَقَالَ جُدُدٌ بَيْضٌ ، أَي مَعَ دَلَالَتِهَا بِنَفْسِهَا هِيَ دَالَّةٌ بِاخْتِلَافِ أَلْوَانِهَا ، كَمَا أَنَّ إِخْرَاجَ الثَّمَرَاتِ فِي نَفْسِهَا دَلَائِلٌ وَاخْتِلَافِ أَلْوَانِهَا دَلَائِلٌ " (١) ، وَلِلْفَتْ الْإِنْتِبَاهِ إِلَى تِلْكَ الدَّلَائِلِ وَالْمَعَانِي وَصَرَفِ النَّظَرِ عَنْ قِلَّةِ وَكثْرَةِ جَاءِ النَّعْتِ جَمْعًا .

١١ - (قِطْع)

وَرَدَتْ مَنَعُوتَةٌ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَبِيرٌ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَّصِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرَّعْدُ: ٤] ، وَجَاءَ نَعْتُهَا جَمْعًا ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ مُتَجَاوِرَاتٌ ﴾ ، قَالَ الْجَرَجَانِيُّ : " ﴿ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ ﴾ عَرَصَاتٌ مُتَلَاصِقَاتٌ ، وَفَائِدَتُهَا الْإِمْتِنَانُ أَوْ التَّنْبِيهُ عَلَى لَطْفِ الصَّنِيعَةِ فِي الْمَخَالَفَةِ مَعَ طِبَائِعِهَا مَعَ قُرْبِ الْمَجَاوِرَةِ فِي حَقِّ الطَّوَالِعِ وَالغَوَارِبِ وَالرِّيَّاحِ وَالْأَمْطَارِ " (٢) ، وَعَلَى ذَلِكَ جَاءَ النَّعْتُ جَمْعًا لِتِلْكَ الدَّلَالَةِ بِصَرَفِ النَّظَرِ عَنِ الْعَدَدِ ، فَالْعَبْرَةُ مِنَ التَّجَاوُرِ لَطْفِ الصَّنِيعَةِ فِي الْمَخَالَفَةِ مَعَ طِبَائِعِهَا مَعَ قُرْبِ التَّجَاوُرِ ، فَسَبْحَانُ مِنْ خَلْقِ فَأَبْدَعُ .

(١) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي (٢٦ / ٢٠)

(٢) درج الدرر في تفسير الآي والسور للجرجاني (٣ / ١٠٢١)

وردت منعوتة في موضعين :

- الموضع الأول / في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾ [الرحمن: ٢٤] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿الْجَوَارِ﴾ ، وجاء نعتة جمعاً ، وهو قوله تعالى : ﴿الْمُنشَآتُ﴾ ، قال مقاتل : " قوله : ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾ يعني السفن ﴿الْمُنشَآتُ﴾ يعني المخلوقات : ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾ يعني كالجبال يشبه السفن في البحر كالجبال في البر " (١) . وعلى ذلك جاء النعت جمعاً ليوافق معنى عظم تلك السفن ؛ إذ شبهت بالجبال .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٦] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿الْجَوَارِ﴾ ، وجاء نعتة جمعاً ، وهو قوله تعالى : ﴿الْكُنَّسِ﴾ ، قال ابن عطية : " ثم أقسم الله تعالى (بالخنس الجوار الكنس) فقال جمهور المفسرين : إن ذلك الدراري السبعة : الشمس والقمر وزحل وعطارد والمريخ والزهرة والمشتري ، وقال علي بن أبي طالب : المراد الخمسة دون الشمس والقمر . وذلك أن هذه الكواكب تخنس في جريها أي تتقهقر فيما ترى العين، وهو جوار في السماء، وأثبت يعقوب الياء في (الجواري) في الوقف وحذفها الباقون ، وهي تكنس في أبراجها أي تستتر ، وقال علي بن أبي طالب أيضاً والحسن وقتادة : المراد النجوم كلها لأنها تخنس بالنهار حين تختفي ، وقال عبد الله بن مسعود والنخعي وجابر بن زيد وجماعة من المفسرين : المراد (بالخنس الجوار الكنس) : بقر الوحش لأنها تفعل هذه الأفعال في كناسها وهي المواضع التي تأوي إليها من الشجر والغيران ونحوه ، وقال ابن عباس وابن جبير والضحاك : هي الظباء وذهب هؤلاء في الخنس إلى أنه من صفة الأنوف لأنها يلزمها الخنس وكذلك هي بقر الوحش أيضا " (٢) .

وقال القرطبي : " والأصل الحمل على النجوم، لذكر الليل والصبح بعد هذا ، فذكر النجوم أليق بذلك " (٣) .

والأقرب إلى الصواب - والله أعلم - قول من قال : إنها الدراري الخمسة دون الشمس

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٤ / ١٩٨)

(٢) الخمر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (٥ / ٤٤٣)

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢ / ١١٠)

والقمر ، وهو قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومما يقوي هذا القول :

- ١ . مجيء النعت جمعًا فيه دلالة على قلة جمع ما لا يعقل وعظمته .
- ٢ . كونهن جاريات؛ فمسار الكواكب الجري، بخلاف البقر والظباء فمسارها الرعي .
- ٣ . ذكر الليل والصبح بعدهن وهو سبب رؤية الكواكب واختفائها .
- ٤ . عظمت خلقهن ، فهن أعظم خلقًا من البقر والظباء .
- ٥ . إن الشمس والقمر لا تخنس؛ بل تغيب، وهي سبب في رؤية واختفاء بقية الكواكب .

وعلى ذلك جاء النعت جمعًا ؛ ليناسب عظمة خلقهن وقلة عددهن ، فلا يقسم الله سبحانه وتعالى إلا بعظيم ، وشتان بين البقر والظباء وبين الكواكب الدرراي .

١٣ - (ثياب)

وردت منعوتة في موضعين :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَدَّتْ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِعِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ [الكهف: ٣١]

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقْلَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢٢﴾ [الإنسان: ٢٢]

ورد في هذين الموضعين جمع ما لا يعقل ﴿ ثِيَاب ﴾ ، وجاء نعتة جمعًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ خُضْرٌ ﴾ ، قال ابن عاشور : " واللباس : ستر البدن بثوب من قميص أو إزار أو رداء ، وجميع ذلك للوقاية من الحر والبرد وللتجمل " (١) ، فالمقصود هنا ما يلبسونه ، لا ما يملكونه ، فلا تلبس ثياب كثيرة في آن واحدة إلا في وقت البرد الشديد ، وهذا يتنافى مع النعيم ، فجاء النعت جمعًا ؛ لمناسسته مع الفعل : ﴿ يَلْبَسُونَ ﴾ ، وكذلك لبيان نعيم من عليه تلك الثياب .

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٥ / ٦١)

وردت منعوتة في ثلاثة مواضع :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ [يوسف: ٤٣]

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٦]

ورد في هذين الموضعين جمع ما لا يعقل ﴿ أُخَرَ ﴾ و جاء نعتة جمعاً ، و هو قوله تعالى : ﴿ يَابِسَاتٍ ﴾ ، و السبعة قليلة ، فللدلالة جمع ما لا يعقل على القلة جاء نعتة جمعاً .

- الموضع الثالث / في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرَ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمِنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ٧] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ أُخَرَ ﴾ ، و جاء نعتة جمعاً ، وهو قوله تعالى : ﴿ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ ، يقول السمين الحلبي : " قوله : ﴿ وَأُخَرَ ﴾ نسق على ﴿ آيات ﴾ ، و ﴿ متشابهات ﴾ نعت لأخر، وفي الحقيقة ﴿ أُخَرَ ﴾ نعتٌ لمحدوف تقديره : وآياتٌ أُخَرَ متشابهاتٌ " (١) ، وعلى ذلك فالنعت في الحقيقة إنما هو لمحدوف وهو (الآيات) ، والآيات المتلوة لم يأت نعتها مفرداً في القرآن أبداً ، كما سيأتي معنا في المبحث الثالث من هذا الفصل ، وما ذاك إلا لصرف النظر عن مسألة القلة والكثرة ولفت الانتباه إلى الغاية من إنزالها ، وهو ما تحمله تلك الآيات من معانٍ ودلالات .

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (٣ / ٢٦)

المبحث الثالث / ما جمع بالألف والتاء مما لا يعقل في القرآن ،

وجاء منعوتاً

ورد في القرآن ثماني كلمات لما لا يعقل جُمعت بالألف والتاء ، جاء نعتهن مفردًا وجمعًا في أربعة وعشرين موضعًا ، وتفصيل ذلك على قسمين :

* القسم الأول - ما جاء نعته جمعًا فقط .

ورد في القرآن الكريم ست كلمات لما لا يعقل جُمعت بالألف والتاء ، وجاء نعتهن جمعًا فقط ، وذلك في ثمانية مواضع ، وهن :

١ - (سموات)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴾ [طه: ٤] ، وجاء نعتهن جمعًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ الْعُلَى ﴾ ، قال أبو حيان : " و ﴿ الْعُلَى ﴾ جمع العليا ووصف ﴿ وَالسَّمَوَاتِ ﴾ بالعلَى دليل على عظم قدرة من اخترعها إذ لا يمكن وجود مثلها في علوها من غيره تعالى " (١) ، فجاء النعت هنا جمعًا لإفادة العلو لا العدد .

٢ - (درجات)

وردت منعوتة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴾ [طه: ٧٥] ، وجاء نعتها جمعًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ الْعُلَى ﴾ ، قال السمرقندي : " يعني الفضائل في الجنة " (٢) ، وجاء في البسيط للواحدى : " قال ابن الحنفية : الظالم مغفور له ، والمقتصد في الجنات ، والسابق في الدرجات العلى " (٣) ، وعلى ذلك فمجيء النعت جمعًا فيه صرف النظر عن العدد ولفت الانتباه إلى العلو والفضيلة .

(١) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٣١٢ / ٧)

(٢) تفسير السمرقندي المسمى (بحر العلوم) للسمرقندي (٣٥٠ / ٢)

(٣) تفسير البسيط للواحدى (٤٢٥ / ١٨)

٣ - (ظلمات)

وردت منوعة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أزْوَاجًا يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [الزمر: ٦] ، وجاء نعتها جمعًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ ثَلَاثٌ ﴾ ، والثلاثة قليلة كعدد .

٤ - (جمالات) [بقراءة الجمع بالألف والتاء]

وردت منوعة في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ كَانَهُ جَمَلًا صَفْرًا ﴾ [المرسلات: ٣٣] ، تأخذ حكم وتخريج كلمة (جمالة) ، وقد سبق بيانها في موضع كلمة (جمالة) .

٥ - (سنبلات)

وردت منوعة في موضعين :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ [يوسف: ٤٣]

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٦]

ورد في كلا الموضعين جمع ما لا يعقل ﴿ سُنبُلَاتٍ ﴾ ، وجاء نعته جمعًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ خُضْرٌ ﴾ ، والسنبلات الخضر عددها سبع ، فلدلالة جمع ما لا يعقل على القلة جاء نعته جمعًا .

٦ - (باقيات)

وردت منوعة في موضعين :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف: ٤٦]

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴾ [مريم: ٧٦]

ورد في كلا الموضعين جمع ما لا يعقل ﴿الْبَقِيَّةُ﴾ ، وجاء نعتها جمعًا ، وهو قوله تعالى : ﴿الصَّالِحَاتُ﴾ ، قال ابن عطية : " واختلف الناس في ﴿الْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ﴾ فقال ابن عباس وابن جبير وأبو ميسرة عمرو بن شرحبيل : هي الصلوات الخمس وقال الجمهور هي الكلمات المأثور فضلها : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، روي في هذا حديث : (أكثروا من الباقيات الصالحات) ، وقاله أيضًا ابن عباس ، وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق أبي هريرة وغيره أن هذه الكلمات هي الباقيات الصالحات ، وقال ابن عباس أيضًا ﴿الْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ﴾ كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للآخرة . ورجحه الطبري ، وقال ابن عباس بكل الأقوال دليل على قوله بالعموم ، وقوله ﴿ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ صاحبها ينتظر الثواب وينبسط على خير من حال ذي المال والبنين دون عمل صالح ^(١) .

والقول بأنهن (الكلمات المأثور فضلهن) هو الأقرب للصواب لأمرين :

١ . وجود حديث نبوي شريف نص عليهن .

٢ . أن جمع ما لا يعقل إذا دل على قلة جاء نعتها جمعًا .

* القسم الثاني - ما جاء نعتها مفردًا وجمعًا .

ورد في القرآن الكريم كلمتان لما لا يعقل جمعت بالألف والتاء ، وجاء نعتهما مفردًا وجمعًا ، وذلك ستة عشر موضعًا ، وهما :

١ - (جنات)

وردت منعوتة في ثلاثة مواضع ، على النحو الآتي :

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (٣ / ٥٢٠)

أولا / جاء نعتها جمعا في موضعين ؛ هما :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالَّتِخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مَتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَعَاشُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤١] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ جَنَّاتٍ ﴾ ، وجاء نعتة جمعا ، وهو قوله تعالى : ﴿ مَّعْرُوشَاتٍ ﴾ ، يقول الطبري : " ﴿ جَنَّاتٍ ﴾ يَعْنِي : بِسَاتِينَ مَّعْرُوشَاتٍ وَهِيَ مَا عَرَشَ النَّاسُ مِنَ الْكُرُومِ ، وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ : غَيْرَ مَرْفُوعَاتٍ مَبْنِيَّاتٍ ، لَا يُنْبِتُهُ النَّاسُ وَلَا يَرْفَعُونَهُ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُهُ وَيُنْبِتُهُ وَيُنْمِيهِ" (١) ، فجاء النعت جمعا لبيان عظيم صنع الله لا عدد تلك الجنات ، ولذلك جاء ذكر الجنات المعروشات في معرض تعداد عظيم خلق الله ، فعظم الخلق دليل على عظمة الخالق .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾ [النبأ: ١٦] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ جَنَّاتٍ ﴾ ، وجاء نعتة جمعا ، وهو قوله تعالى : ﴿ أَلْفَافًا ﴾ ، قال مقاتل : " يعني وبساتين ملتفة بعضها إلى بعض من كثرة الشجر" (٢) ، وقال الطبري : " يَعْنِي : مُلْتَفَّةً مُجْتَمِعَةً . وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ" (٣) ، فجاء النعت جمعا للفت الانتباه إلى التفاف تلك الجنات لكثرة شجرها وصرف النظر عن قلة أو كثرة ، فالمراد إنما هو التنبيه على التفاف بعضها إلى بعض لا كثرتها .

ثانيا / جاء نعتها مفردا في موضع واحد فقط :

وهو في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [غافر: ٨] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ جَنَّاتٍ ﴾ ، وجاء نعتة مفردا ، وهو قوله تعالى : ﴿ الَّتِي ﴾ ، وجنات عدن كثيرة .

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (٩ / ٥٩٣)

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٤ / ٥٦٠)

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (٢٤ / ١٦)

٢ - (آيات)

وردت منعوتة في ثلاثة عشر موضعًا ، على النحو الآتي :

أولا / جاء نعتها جمعًا في أحد عشر موضعًا ؛ هي :

- الموضع الاول / في قوله تعالى : ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٧] حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ ءَايَاتٌ ﴾ ، وجاء نعتها جمعًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ بَيِّنَاتٌ ﴾ ، ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ قال الواحدي في البسيط : " قال ابن عباس : يريد : المناسك والمشاعر كلها. وقال آخرون : الآيات التي فيها : أمر الخائف ، وإحراق الجمار على كثرة الرامي ، وامتناع الطير من العلو عليه ، واستشفاء المريض به ، وتعجيل العقوبة لمن انتهك فيه حُرمة ، وإهلاك أصحاب الفيل لما قصدوا [لإحراقه] .

فعلى هذا ؛ تفسير الآيات وبيانها ، غير مذكور في الآية . ومذهب جماعة من المفسرين : أن تفسير الآيات المذكورة ، وهي قوله : ﴿ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ أي : هي : مقام إبراهيم ؛ يعني : الآيات . وقال بعضهم : المعنى : منها مقام إبراهيم " (١) ، فجاء النعت جمعًا لبيان عظمة المنعوت ووضوحه لا إلى عدده وكثرته .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴾ [الحج: ١٦] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ ءَايَاتٌ ﴾ ، وجاء نعتها جمعًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ بَيِّنَاتٌ ﴾ ، قال مقاتل : " ﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ يعني وهكذا ﴿ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ يعني القرآن ﴿ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ يعني واضحات " (٢) ، وقال الطبري : " كَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴿ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ ، يَعْنِي : دَلَالَاتٍ وَاضِحَاتٍ ، يَهْدِيْنَ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ هِدَايَتَهُ إِلَى الْحَقِّ ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴾ . يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : وَلَإِنَّ اللَّهَ يُوفِّقُ لِلصَّوَابِ ،

(١) تفسير البسيط للواحدي (٥ / ٤٤٢)

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣ / ١١٩)

وَلِسَبِيلِ الْحَقِّ مَنْ أَرَادَ، أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ^(١) ، فالمقصود من الآيات هنا ليس الكثرة أو القلة ولكن المقصد وضوحها لمن هدى الله ، فجاء النعت جمعاً لصرف مقصد العدد إلى مراد الغاية منها ولخص ذلك القشيري بقوله: " الآيات ظاهرة، والحجج زاهرة، ولكن الشأن فيمن يستبصر ^(٢) .

- الموضع الثالث / في قوله تعالى : ﴿ سُوْرَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور: ١] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ آيَاتٍ ﴾ ، وجاء نعتة جمعاً ، وهو قوله تعالى : ﴿ بَيِّنَاتٌ ﴾ ، قال ابن عادل : " وأراد بـ ﴿ الآيات ﴾ ما ذكر في السورة من الأحكام والحدود ودلائل التوحيد. " ^(٣) ، وآيات الأحكام والعبادات لا يكون نعتها إلا جمعاً ، وذلك لصرف الذهن عن العدد ولفت الانتباه إلى المقصد من آيات الأحكام والعبادات ؛ وهي النظر إلى ما فيها من أمر ونهي ، وأن آيات الله وأحكامه بينة واضحة .

- الموضع الرابع / في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ [القصص: ٣٦] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ آيَاتٍ ﴾ ، وجاء نعتة جمعاً ، وهو قوله تعالى : ﴿ بَيِّنَاتٌ ﴾ ، قال القرطبي : " أي ظاهرات واضحات ﴿ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَى ﴾ مكذوب مخلوق ﴿ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ وقيل : إن هذه الآيات وما احتج به موسى في إثبات التوحيد من الحجج العقلية . وقيل : هي معجزاته ^(٤) ، فجاء النعت جمعاً ؛ لصرف الذهن ولفت الانتباه إلى المراد من مجيئها لا إلى عددها .

- الموضع الخامس / في قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٩] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ آيَاتٍ ﴾ ، وجاء نعتة جمعاً ، وهو قوله تعالى : ﴿ بَيِّنَاتٌ ﴾ ، قال الطبري : " اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ فقال بعضهم: عني

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٦ / ٤٨٥)

(٢) تفسير القشيري المسمى (لطائف الإشارات) للقشيري (٢ / ٣١٤)

(٣) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٤ / ٢٧٦)

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦ / ٢٨٢)

بِهِ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالُوا: مَعْنَى الْكَلَامِ: بَلْ وَجُودُ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي كُتُبِهِمْ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَكْتُبُ وَلَا يَقْرَأُ، وَأَنَّهُ أُمِّيٌّ، آيَاتُ بَيِّنَاتٍ فِي صُدُورِهِمْ.

وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَى بِذَلِكَ الْقُرْآنَ، وَقَالُوا: مَعْنَى الْكَلَامِ: بَلْ هَذَا الْقُرْآنُ آيَاتُ بَيِّنَاتٍ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأُولَى الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِذَلِكَ: بَلِ الْعِلْمُ بِأَنَّكَ مَا كُنْتَ تَتَلَوُ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْكِتَابِ كِتَابًا، وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ، آيَاتُ بَيِّنَاتٍ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. وَإِنَّمَا قُلْتُ: ذَلِكَ أُولَى التَّأْوِيلَيْنِ بِالْآيَةِ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ بَيِّنٌ خَبَرَيْنِ مِنْ أَخْبَارِ اللَّهِ عَنْ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُوَ بِأَنْ يَكُونَ خَبَرًا عَنْهُ أُولَى مَنْ أَنْ يَكُونَ خَبَرًا عَنِ الْكِتَابِ الَّذِي قَدْ انْقَضَى الْخَبَرُ عَنْهُ قَبْلُ" (١).

والآيات إذا جاء نعتها جمعًا ؛ فإن ذلك لصرف الذهن ولفت الانتباه إلى المراد منها لا إلى عددها .

- الموضع السادس / في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد: ٩] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ آيَاتٌ ﴾ ، وجاء نعتها جمعًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ بَيِّنَاتٌ ﴾ ، يقول الرازي : " قَالَ الْقَاضِي: بَيِّنٌ بِذَلِكَ أَنَّ مُرَادَهُ بِإِنزَالِ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي هِيَ الْقُرْآنُ، وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ" (٢) ، ولهذا المراد والمقصد العظيم جاء نعت الآيات جمعًا .

- الموضع السابع / في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [المجادلة: ٥] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ آيَاتٌ ﴾ ، وجاء نعتها جمعًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ بَيِّنَاتٌ ﴾ ، يقول مقاتل في قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ : " يعني القرآن فيه البيان أمره ونهيهِ " (٣) ، فجاء النعت جمعًا لهذا المراد .

- الموضع الثامن / في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا

(١) ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٨ / ٤٢٦ - ٤٢٨)

(٢) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي (٢٩ / ٢١٨)

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٤ / ٢٥٩)

من قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ [النور : ٣٤] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ءَايَاتُ﴾ ، وجاء نعته جمعاً ، وهو قوله تعالى : ﴿ مَبِيَّنَاتٌ ﴾ ، قال مقاتل في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُّبَيَّنَاتٍ ﴾ : " يعني الحلال والحرام والحدود وأمره ونهييه مما ذكر في هذه السورة إلى هذه الآية " (١) ، فجاء النعت جمعاً لهذا المراد

- الموضع التاسع / في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا ءَايَاتٍ مُّبَيَّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [النور: ٤٦] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ ءَايَاتُ ﴾ ، وجاء نعته جمعاً ، وهو قوله تعالى : ﴿ مَبِيَّنَاتٌ ﴾ ، قال مقاتل : " لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيَّنَاتٍ ﴾ لما فيه من أمره ونهييه " (٢) ، وقال الطبري : " يُقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: لَقَدْ أَنْزَلْنَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَامَاتٍ وَاضِحَاتٍ، ذَالَاتٍ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، وَسَبِيلِ الرَّشَادِ " (٣) ، فجاء النعت جمعاً لهذا المراد .

- الموضع العاشر / في قوله تعالى : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالِدَّمَ ءَايَاتٍ مُفْصَلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ ءَايَاتُ ﴾ ، وجاء نعته جمعاً ، وهو قوله تعالى : ﴿ مُفْصَلَاتٍ ﴾ ، وجاء النعت جمعاً هنا لمناسبة عدد الآيات المذكورة قبل ، وهن خمس آيات : الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالِدَّمَ .

- الموضع الحادي عشر / في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَعَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠١] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ ءَايَاتُ ﴾ ، وجاء نعته جمعاً ، وهو قوله تعالى : ﴿ بَيِّنَاتٌ ﴾ ، قال الواحدي في البسيط : " وهي العصا، واليد، وقلق البحر، والجراد، والقُمَّل ، والضَّفَادِعُ، والدم، ورفع الطور، وإحياء الميت ببعض البقرة " (٤) ، والآيات الحسية والمعجزات ؛ قد تأتي في سياق العدد ، فيكون منها قليل وكثير ، ويكون لجمع النعت وإفراده دلالة على ذلك ، فهنا جاء النعت جمعاً ليناسب العدد تسعة .

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣ / ١٩٨)

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣ / ٢٠٤)

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٧ / ٣٤٠)

(٤) تفسير البسيط للواحدي (٣ / ١٥٨)

وهنا لفظة ولطيفة في الفرق بين الآيتين السابقتين :

تلحظ في الآية الأولى أن الآيات نُعتت بمفصلات ولم يأت معها عدد ، والتفصيل فيه اهتمام بدلالة العدد ، فكان لجمع النعت هنا دلالة القلة ، أما في الآية الثانية فالآيات نُعتت ببيئات ، البيئة والبيان ليس فيه دلالة العدد وإنما هو لدلالة الوضوح ، فذُكر معها عدد . وعلى ذلك فالملاحظ أن جمع (آيات) ، والتي يقصد بها آيات القرآن المتلوة أو الحجج والدلائل ؛ لم تنعت إلا بجمع ، ولم تنعت إلا بالبيان فجاء (بيئات - مبيئات) إلا في موضع واحد جاء نعتها (مفصلات) وذلك للسبب المذكور سابقاً .

ثانياً / جاء نعتها مفرداً في موضعين ؛ هما :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ لِنُرِيكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾ [طه: ٢٣] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ ءَايَاتِنَا ﴾ ، وجاء نعتها مفرداً ، وهو قوله تعالى : ﴿ الْكُبْرَى ﴾ ، يقول الواحدي: " ولو قيل الكُبرُ لجاز وحسن ، ولكن لوافق رؤوس الآي جاءت الكبرى ، ويجوز أن تكون ﴿ الْكُبْرَى ﴾ نعتاً لمنعوت محذوف على تقدير : لنريك من آياتنا الآية الكبرى ، وهذا مذهب أبي عبيدة . وبه قال جماعة من المفسرين." (١) ، وقال البغوي : " ولم يقل الكبر لرؤوس الآي." (٢) ، وجاء في بحر العلوم: "﴿ لِنُرِيكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾ يعني العظمى ومعناه لنريك الكبرى من آياتنا ولهذا لم يقل الكبريات لأنه وقع المعنى على واحدة" (٣) .

المقصود بـ (الآيات) هنا الآيات الحسية ، والآيات الحسية تأتي على سبيل الكثرة والعظمة ، وآيات الله الحسية كثيرة وعظيمة فاكتمت العظمة من نسبتها إلى الله العظيم ، ودل على كثرتها مجيء النعت مفرداً ، أما القول لتناسب رؤوس الآي فهذا كلام فيه نظر .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [النجم: ١٨] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ ءَايَاتِ ﴾ ، وجاء نعتها مفرداً ، وهو قوله تعالى : ﴿ الْكُبْرَى ﴾ ، تأخذ نفس تخريج الآية السابقة .

(١) تفسير البسيط للواحدي (١٤ / ٣٨٦)

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٥ / ٢٧٠)

(٣) تفسير السمرقندي المسمى (بحر العلوم) للسمرقندي (٢ / ٣٣٩)

*ملحوظات الفصل الثاني :

١. أن جمع ما لا يعقل إذا دل على الكثرة ؛ فإن نعته يكون مفردًا ، وأما إذا كان يدل على القلة ؛ فإن نعته يكون جمعًا .

٢. أن النعت إذا كان جمعًا ؛ فإنه قد يُخرج جمع ما لا يعقل من معنى القلة والكثرة إلى النظر والاهتمام بمعنى النعت ودلالته ، فيكون فيه لفت انتباه إلى صفة ذاك الجمع لا عدده ، وذلك مثل كلمة : (الآيات) في القرآن - التي يقصد بها الآيات المتلوة أو الحجج والدلائل - فإن نعتها لم يأت إلا جمعًا ، كقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴾ [الحج:١٦] ، وذلك لأن الأصل من إنزالها ووجودها هو الاعتبار بها وبما فيها من أحكام لا بعددها وكثرتها . ومن الأمثلة كذلك ما كان فيه معنى العظمة فيأتي النعت جمعًا لتلك الدلالة ، مثل (قدور راسيات) في قوله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجُبَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [سبأ:١٣] ومثل (رواسي شامخات) في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيًّا سَمِيخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَّاءً فُرَاتًا ﴾ [المرسلات:٢٧] .

الفصل الثالث

ما جاء منعوًّاً من جمع ما لا يعقل في القرآن
وعاد عليه الضمير

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول / ما كان على صيغ جموع القلة مما لا يعقل في القرآن ، وجاء
منعوًّاً ، وعاد عليه الضمير

المبحث الثاني / ما كان على صيغ جموع الكثرة مما لا يعقل في القرآن ، وجاء
منعوًّاً ، وعاد عليه الضمير

المبحث الثالث / ما جُمع بالألف والتاء مما لا يعقل في القرآن ، وجاء منعوًّاً ،
وعاد عليه الضمير

المبحث الأول / ما كان على صيغ جموع القلة مما لا يعقل في القرآن ، وجاء منعوته ، وعاد عليه الضمير

ورد في القرآن أربع كلمات على صيغ جموع القلة لما لا يعقل ، جئن منعوته وعاد عليها الضمير ، وذلك في أربعة مواضع ، وهن :

١ - (أسماء)

وردت منعوته وعاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ الْأَسْمَاءُ ﴾ ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ الْحُسْنَىٰ ﴾ ، وعاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ ، وأسماء الله الحسنى كثيرة .

٢ - (أموال)

وردت منعوته وعاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [النساء: ٥] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ أَمْوَالٌ ﴾ ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ الَّتِي ﴾ ، وعاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ فِيهَا ﴾ ، ولا يكون المال قيامًا إذا كان قليلًا .

٣ - (أغلال)

وردت منعوته وعاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧]

[الأعراف: ١٥٧]، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿الْأَعْلَلُ﴾ ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿الَّتِي﴾ ، وعاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا مستترًا تقديره (هي) للفعل ﴿كَانَتْ﴾ ، وهذا من رحمة الله بنا أن بعث لنا نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام ليضع عنا كثيرًا من الأغلال ، قال الواحدي : " قال المفسرون : وهي الشدائد التي كانت في العبادة ؛ كقطع أثر البول ، وقتل النفس في التوبة ، وقطع الأعضاء الخاطئة ، وتتبع العروق من اللحم . قال ابن قتيبة : ﴿وَالْأَعْلَلُ الَّتِي كَانَتْ﴾ تحريم الله عليهم كثيرًا مما أطلقه الله لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وجعله أغلالًا لأن التحريم يمنع ، كما يقبض الغل اليد فاستعيرت " (١) .

٤ - (أشهر)

وردت منعوته وعاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿أَشْهُرٌ﴾ ، وجاء نعتة جمعًا ، وهو قوله تعالى : ﴿مَّعْلُومَةٌ﴾ ، وكذلك عاد عليها الضمير جمعًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿فِيهِنَّ﴾ ، قال القرطبي : " واختلف في الأشهر المعلومات ، فقال ابن مسعود وابن عمر وعطاء والربيع ومجاهد والزهري : أشهر الحج : شوال ، وذو العقدة ، وذو الحجة كله ، وقال ابن عباس والسدي والشعبي والنخعي : هي شوال ، وذو القعدة ، وعشرة من ذي الحجة . " (٢) ، فللدلالة جمع ما لا يعقل على القلة جاء النعت جمعًا ، وكذلك عاد عليه الضمير جمعًا مؤنثًا .

(١) تفسير البسيط للواحدي (٩ / ٤٠١)

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣ / ٣٢٠)

المبحث الثاني / ما كان على صيغ جموع الكثرة مما لا يعقل في القرآن ، وجاء منعوته ، وعاد عليه الضمير

ورد في القرآن ثلاث عشرة كلمة على صيغ جموع الكثرة لما لا يعقل ، جاءت منعوته ، وعاد عليها الضمير في ثمانية عشر موضعاً ، كلها جاء نعتها مفرداً وعاد عليها الضمير مفرداً مؤنثاً ، وهي :

١ - (سرر)

وردت منعوته وعاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۖ مَّتَّكِينَ عَلَيْهَا مُتَّقِلِينَ ﴾ [الواقعة: ١٥-١٦] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ سُرُرٍ ﴾ ، وجاء نعتها مفرداً ، وهو قوله تعالى : ﴿ مَّوْضُونَةٍ ﴾ ، وكذلك عاد عليها الضمير مفرداً مؤنثاً في قوله تعالى : ﴿ عَلَيْهَا ﴾ ، والسرر في الجنة كثيرة ، فلدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة ، جاء النعت مفرداً ، وعاد عليه الضمير مفرداً كذلك .

٢ - (غرف)

وردت منعوته وعاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْأَمْعَادَ ﴾ [الزمر: ٢٠] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ غُرَفٌ ﴾ ، وجاء نعتها مفرداً ، وهو قوله تعالى : ﴿ مَّبْنِيَّةٌ ﴾ ، وكذلك عاد عليها الضمير مفرداً مؤنثاً في قوله تعالى : ﴿ تَحْتِهَا ﴾ ، والغرف المبنية في الجنة كثيرة ، فلدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة ، جاء النعت مفرداً ، وعاد عليه الضمير مفرداً كذلك .

٣ - (قرون)

وردت منعوته وعاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۗ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ۗ ﴾ [طه: ٥١-٥٢] ، حيث ورد

في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ الْقُرُونِ ﴾ ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ الْأُولَى ﴾ ، وكذلك عاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ عَلِمَهَا ﴾ ، قال الواحدي في تفسير البسيط : " قال له فرعون : ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴾ قال ابن عباس : (يريد ما حال القرون التي مضت) . ومعنى البال هاهنا : الحال والشأن ، والمعنى : ما حالها فإنها لم تقر بالله وبما تدعو إليه ، ولكنها عبدت الأوثان . ويعني بالقرون الأولى : الأمم المتقدمة مثل : قوم نوح ، وعاد ، وثمود" (١) ، والقرون الأولى قبل فرعون كثيرة ، فلذلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة ، جاء النعت مفردًا ، وعاد عليه الضمير مفردًا كذلك .

٤ - (حمر)

وردت منوعةً وعاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴾ ﴿ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ [المدثر : ٥٠-٥١] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ حُمُرٌ ﴾ ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴾ ، وكذلك عاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا مستتراً تقديره (هي) ، في محل رفع فاعل للفعل : ﴿ فَرَّتْ ﴾ ، والحمر كثيرة ، فلذلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة ، جاء النعت مفردًا ، وعاد عليه الضمير مفردًا كذلك .

٥ - (صحف)

وردت منوعةً وعاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ ﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ [البينة : ٢-٣] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ صُحُفٌ ﴾ ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ مُّطَهَّرَةً ﴾ ، وكذلك عاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ فِيهَا ﴾ ، قال الزمخشري : " ﴿ صُحُفًا ﴾ قراطيس ﴿ مُّطَهَّرَةً ﴾ من الباطل ﴿ فِيهَا كُتُبٌ ﴾ مكتوبات ﴿ قَيِّمَةٌ ﴾ مستقيمة ناطقة بالحق والعدل" (٢) ، وقال الماوردي : " ﴿ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ يعني القرآن . ويحتمل ثانيًا : يتعقب بنبوته نزول الصحف المطهرة على الأنبياء قبله" (٣) ، وقال الطبري : " يَقْرَأُ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً مِّنَ الْبَاطِلِ ،

(١) تفسير البسيط للواحدي (١٤ / ٤١٦)

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (١٢١٥)

(٣) النكت والعيون للماوردي (٦ / ٣١٦)

﴿ فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ ﴾ يَقُولُ: فِي الصُّحُفِ الْمَطَهَّرَةِ كُتِبَ مِنَ اللَّهِ قِيَمَةٌ عَادِلَةٌ مُسْتَقِيمَةٌ، لَيْسَ فِيهَا خَطَأٌ، لِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ " (١) ، وقال السمرقندي : " ويقال ﴿ صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴾ أي أمور مختلفة ، ويقال سمي القرآن صحفا من كثرة السور " (٢) ، فللدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة ، جاء النعت مفردًا ، وعاد عليه الضمير مفردًا كذلك .

٦ - (تماثيل)

وردت منعوتة وعاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَيُّهَا وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾ ﴿ [الأنبياء: ٥٢-٥٣] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ التَّمَاثِيلُ ﴾ ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ التَّمَاثِيلُ ﴾ ، وكذلك عاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ لَهَا - لَهَا ﴾ ، قال مُجَاهِدٌ : " ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ ﴾ ، يَعْنِي : الْأَصْنَامَ " (٣) ، والأصنام كثيرة ، فللدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة ، جاء النعت والضمير مفردين .

٧ - (قلوب)

وردت منعوتة وعاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ ﴿ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ﴾ ﴿ [النازعات: ٨-٩] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ قُلُوبٌ ﴾ ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَاجِفَةٌ ﴾ ، وكذلك عاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ أَبْصَرُهَا ﴾ ، يقول ابن أبي زمنين : " ﴿ أَبْصَارَهَا ﴾ أَبْصَارُ تِلْكَ الْقُلُوبِ ﴿ خَاشِعَةٌ ﴾ ذَلِيلَةٌ " (٤) ، وقال ابن عاشور : " قوله : ﴿ أَبْصَارَهَا خَاشِعَةٌ ﴾ ، أي أبصار أصحاب القلوب .

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (٢٤ / ٥٥٢)

(٢) تفسير السمرقندي المسمى (بحر العلوم) للسمرقندي (٣ / ٤٩٨)

(٣) تفسير الإمام مجاهد بن جبر (١ / ٤٧٢)

(٤) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٥ / ٨٨)

والخشوع حقيقته : الخضوع والتذلل ، وهو هيئة للإنسان ، ووصف الأبصار به مجاز في الانخفاض والنظر من طرف خفي من شدة الهلع والخوف من فطيع ما تشاهده من سوء المعاملة قال تعالى : ﴿ خَشَعُوا أَبْصَارَهُمْ ﴾ في سورة اقتربت الساعة . ومثله قوله تعالى : ﴿ وَوَجَّهْ يَوْمَئِذٍ بِالسَّاعَةِ ﴾ [القيامة : ٢٤] . وإضافة (أبصار) إلى ضمير القلوب لأدنى ملابسة لأن الأبصار لأصحاب القلوب وكلاهما من جوارح الأجساد ^(١) ، فالضمير في ﴿ أَبْصَرُهَا ﴾ ضمير القلوب ، فلدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة ، جاء النعت مفردًا ، وعاد عليه الضمير مفردًا كذلك .

٨ - (حجارة)

وردت منعوتة وعاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ [هود: ٨٢-٨٣] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ حِجَارَةً ﴾ ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ مُسَوِّمَةً ﴾ ، وكذلك عاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا ، قوله تعالى : ﴿ هِيَ ﴾ ، قال الواحدي : " قوله تعالى : ﴿ مُسَوِّمَةً ﴾ هي من نعت قوله : ﴿ حِجَارَةً ﴾ ومعناها المعلمة ^(٢) ، والحجارة كثيرة ، فلدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة ، جاء النعت مفردًا ، وعاد عليه الضمير مفردًا كذلك .

٩ - (حدائق)

وردت منعوتة وعاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَات بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُثْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [النمل: ٦٠] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ حَدَائِقَ ﴾ ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ ذَات بَهْجَةٍ ﴾ ، وكذلك عاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ شَجَرَهَا ﴾ ، قال الجرجاني : " ﴿ حَدَائِقَ ﴾ جمع حديقة وهي البستان الذي أحدق به البناء، والبناء الذي أحدقت به الأشجار ﴿ ذَات بَهْجَةٍ ﴾

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٦١ / ٣٠)

(٢) تفسير البسيط للواحدي (٥١٦ / ١١)

حسن ونضارة الأرض"^(١)، والحدائق ذات البهجة كثيرة ، فلدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة ، جاء النعت مفردًا ، وعاد عليه الضمير مفردًا كذلك .

١٠ - (عماد)

وردت منعوته وعاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۖ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ٧-٨] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿الْعِمَادِ﴾ ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿الَّتِي﴾ ، وكذلك عاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿مِثْلُهَا﴾ ، يقول الرازي : " أَمَا قَوْلُهُ : ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ فَالضَّمِيرُ فِي ﴿مِثْلُهَا﴾ إِلَى مَاذَا يَعُودُ؟

فيه وجوه: الأول: ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا﴾ أي مثلُ عمادٍ في البلادِ في عِظَمِ الجُثَّةِ وشِدَّةِ القُوَّةِ، كَانَ طُولُ الرَّجُلِ مِنْهُمْ أَرْبَعِمِائَةَ ذِرَاعٍ وَكَانَ يَحْمِلُ الصَّخْرَةَ الْعَظِيمَةَ فَيُلْقِيهَا عَلَى الْجَمْعِ فَيَهْلِكُوا الثَّانِي: لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُ مَدِينَةِ شَدَادٍ فِي جَمِيعِ بِلَادِ الدُّنْيَا، وَقَرَأَ ابْنُ الرَّبِيعِ ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا﴾ أَي لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ مِثْلَهَا، الثَّالِثُ: أَنَّ الْكِنَايَةَ عَائِدَةٌ إِلَى الْعِمَادِ أَي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلُ تِلْكَ الْأَسَاطِينِ فِي الْبِلَادِ، وَعَلَى هَذَا فَالْعِمَادُ جَمْعُ عَمَدٍ"^(٢)، وعلى ذلك ، فإن عاد الضمير إلى العماد ؛ فالعماد كثيرة ، ولدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة ، جاء النعت مفردًا ، وعاد عليه الضمير مفردًا كذلك .

١١ - (قرى)

وردت منعوته وعاد عليها الضمير في موضعين : وكلا الموضعين وردا في آية واحدة ؛ في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨] .
- الموضع الأول : حيث ورد في هذه الآية جمع ما لا يعقل ﴿الْقُرَى﴾ ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿الَّتِي﴾ ، وعاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿فِيهَا﴾ ، قال

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور للجرجاني (١٣٤٨ / ٣)

(٢) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي (١٦٨ / ٣١)

الواحدى : " قال المفسرون : قرى الشام والأرض المقدسة : الأردن وفلسطين " (١) ، وعلى ذلك فالقرى المباركة كثيرة ، فللدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة ، جاء النعت مفردًا ، وعاد عليه الضمير مفردًا كذلك .

- الموضع الثاني : حيث ورد في هذه الآية جمع ما لا يعقل ﴿ قُرَى ﴾ ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ ظَهْرَةَ ﴾ ، وعاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا مرتين في قوله تعالى : ﴿ فِيهَا - فِيهَا ﴾ ، قال مقاتل : " ﴿ قُرَى ظَاهِرَةً ﴾ متواصلة وكان متجرهم من أرض اليمن إلى أرض الشام على كل ميل قرية وسوق " (٢) ، وعلى ذلك فالقرى الظاهرة كثيرة ، فللدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة ، جاء النعت مفردًا ، وعاد عليه الضمير مفردًا كذلك .

١٢ - (مغانم)

وردت منعوتة وعاد عليها الضمير في موضعين :

- الموضع الأول/ في قوله تعالى : ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ١٩] - الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ - وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٠] ورد في كلا الموضعين جمع ما لا يعقل ﴿ مَغَانِمَ ﴾ ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ كَثِيرَةً ﴾ ، وكذلك عاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ يَأْخُذُونَهَا - تَأْخُذُونَهَا ﴾ ، قال الطبري في تفسير هاتين الآيتين : " وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ بِالصَّوَابِ مَا قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَهُوَ أَنَّ الَّذِي أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ مَسِيرِهِمْ ذَلِكَ مَعَ الْفَتْحِ الْقَرِيبِ الْمَغَانِمِ الْكَثِيرَةِ مِنْ مَغَانِمِ خَيْبَرَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَعْنُمُوا بَعْدَ الْحُدَيْبِيَّةِ غَنِيمَةً، وَلَمْ يَفْتَحُوا فَتْحًا أَقْرَبَ مِنْ بَيْعَتِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحُدَيْبِيَّةِ إِلَيْهَا ، مِنْ فَتْحِ خَيْبَرَ وَغَنَائِمِهَا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً ﴾ . فَهِيَ سَائِرُ الْمَغَانِمِ الَّتِي غَنَّمَهُمُوهَا اللَّهُ بَعْدَ خَيْبَرَ، كَغَنَائِمِ هَوَازِنَ، وَعَطْفَانَ، وَفَارِسَ، وَالرُّومِ .

وَأَمَّا قَوْلُنَا ذَلِكَ كَذَلِكَ دُونَ غَنَائِمِ خَيْبَرَ، لِأَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ أَنَّهُ عَجَّلَ لَهُمْ هَذِهِ الَّتِي أَتَاهُمْ مِنْ

(١) تفسير البسيط للواحدى (١٨ / ٣٤٩)

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣ / ٥٣٠)

مَسِيرِهِمُ الَّذِي سَارُوهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَكَّةَ، وَلَمَّا عَلِمَ مِنْ صِحَّةِ نَيْتِهِمْ فِي قِتَالِ أَهْلِهَا، إِذْ بَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى أَلَّا يَفْرُوا عَنْهُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ النَّبِيَّ عَجَّلَتْ لَهُمْ غَيْرُ النَّبِيِّ لَمْ تُعَجَّلْ لَهُمْ" (١) ، وعلى ذلك فالمغانم كثيرة ، فللدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة ، جاء النعت مفردًا ، وعاد عليه الضمير مفردًا كذلك .

١٣ - (وجوه)

وردت منعوتةٌ وعاد عليها الضمير في أربعة مواضع :

- الموضع الأول / في قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿وَجُوهٌ﴾ ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿نَاصِرَةٌ﴾ ، وكذلك عاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿رَبِّهَا﴾ ، والوجوه الناصرة كثيرة بإذن الله ، فللدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة ، جاء النعت مفردًا ، وعاد عليه الضمير مفردًا كذلك .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [الغاشية: ٨-٩]، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿وَجُوهٌ﴾ ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿نَاعِمَةٌ﴾ ، وكذلك عاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى: ﴿لِسَعْيِهَا﴾ ، والوجوه الناعمة كثيرة بإذن الله ، فللدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة ، جاء النعت مفردًا ، وعاد عليه الضمير مفردًا كذلك .

- الموضع الثالث / في قوله تعالى : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾ [الغاشية: ٢-٤] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿وَجُوهٌ﴾ ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿خَاشِعَةٌ - عَامِلَةٌ - نَاصِبَةٌ﴾ ، وعاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا مستترًا تقديره (هي) في محل رفع فاعل للفعل : ﴿تَصَلَّى﴾ ، والوجوه كثيرة ، فللدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة ، جاء النعت مفردًا ، وعاد عليه الضمير مفردًا كذلك .

- الموضع الرابع / في قوله تعالى : ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القيامة: ٢٤-٢٥] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿وَجُوهٌ﴾ ، وجاء نعتها مفردًا ،

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (٢١ / ٢٨١)

وهو قوله تعالى: ﴿بَاسِرَةً﴾ ، وعاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا ظاهرًا في قوله تعالى : ﴿بِهَا﴾ ،
ومستترًا تقديره (هي) في محل رفع فاعل للفعل : ﴿تَظُنُّ﴾ والوجوه كثيرة ، فللدلالة جمع ما لا
يعقل على الكثرة ، جاء النعت مفردًا ، وعاد عليه الضمير مفردًا كذلك .

المبحث الثالث / ما جُمع بالألف والتاء مما لا يعقل في القرآن ، وجاء منعوته ، وعاد عليه الضمير

ورد في القرآن ثلاث كلمات لما لا يعقل جمعت بالألف والتاء ، جئن منعوته ، وعاد عليهن الضمير ، وذلك في خمسة مواضع ، وهن :

١ - (جنات)

وردت منعوته وعاد عليها الضمير في موضع واحد ، وهو في قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴾ ٦١ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مریم: ٦١-٦٢] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ جَنَّاتٍ ﴾ ، وجاء نعتها مفردًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ الَّتِي ﴾ ، وكذلك عاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ فِيهَا ﴾ ، وجنات عدن كثيرة، فللدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة، جاء النعت مفردًا ، وعاد عليه الضمير مفردًا كذلك .

٢ - (بقرات)

وردت منعوته وعاد عليها الضمير في موضعين :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ [يوسف: ٤٣]

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٦]

ورد في كلا الموضعين جمع ما لا يعقل ﴿ بَقَرَاتٍ ﴾ ، وجاء نعتة جمعًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ سِمَانٍ ﴾ ، وكذلك عاد عليه الضمير جمعًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ يَأْكُلُهُنَّ ﴾ ، والسبعة قليلة، فللدلالة جمع ما لا يعقل على القلة ، جاء النعت جمعًا ، وعاد عليه الضمير جمعًا كذلك .

وردت منعوتة وعاد عليها الضمير في موضعين :

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَلْسِقُونَ﴾ [البقرة: ٩٩] ، حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿آيَاتٍ﴾ ، وجاء نعته جمعاً ، وهو قوله تعالى : ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ ، وعاد عليها الضمير مفرداً مؤنثاً في قوله تعالى : ﴿بِهَا﴾ ، وآيات الأحكام والعبادات لا يكون نعتها إلا جمعاً ؛ وذلك للفت الانتباه إلى المقصد من آيات الأحكام والعبادات ، وهو النظر إلى ما فيها من أمر ونهي ، وأن آيات الله وأحكامه بينة واضحة ، فلذلك جاء نعتها جمعاً ، ثم عاد عليها الضمير مفرداً مؤنثاً لدلالة الجمع على الكثرة ، فأيات الله البيّنات كثيرة ، وهذا من اتساع الدلالة ، وبالنظر إلى سبب نزول هذه الآية يجد أن هذا الأسلوب جاء دقيق الوصف غاية في البلاغة ، فسبب نزول هذه الآية ذكره الطبري في تفسيره فقال : " عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ صُورِيَا الْفِطْيَوِيُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا مُحَمَّدُ مَا جِئْتَنَا بِشَيْءٍ نَعْرِفُهُ ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ فَتَتَّبِعَكَ لَهَا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَلْسِقُونَ﴾" (١) ، وقال في تفسير هذه الآية : " فَتَأْوِيلُ الْآيَةِ : ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ فِيمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ عِلَامَاتٍ وَاضِحَاتٍ تُبَيِّنُ لِعُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَحْبَارِهِمُ الْجَاهِدِينَ نُبُوتَكَ وَالْمُكَدِّبِينَ رِسَالَاتِكَ أَنَّكَ لِي إِلَيْهِمْ رَسُولٌ مُرْسَلٌ وَنَبِيٌّ مَبْعُوثٌ ، وَمَا يَجْحَدُ تِلْكَ الْآيَاتِ الدَّلَالَتِ عَلَى صِدْقِكَ وَنُبُوتِكَ الَّتِي أَنْزَلْتَهَا إِلَيْكَ فِي كِتَابِي ، فَيَكْذِبُ بِهَا مِنْهُمْ ، إِلَّا الْخَارِجُ مِنْهُمْ مِنْ دِينِهِ ، التَّارِكُ مِنْهُمْ فَرَائِضِي عَلَيْهِ فِي الْكِتَابِ الَّذِي يَدِينُ بِتَصَدِيقِهِ . فَأَمَّا الْمُتَمَسِّكُ مِنْهُمْ بِدِينِهِ وَالْمُتَّبِعُ مِنْهُمْ حُكْمَ كِتَابِهِ ، فَإِنَّهُ بِالَّذِي أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ آيَاتِي مُصَدِّقٌ . وَهُمْ الَّذِينَ كَانُوا آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (٢) ، وآيات القرآن الكريم كثيرة وهي علامات واضحات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى : ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] ، فجاء النعت جمعاً ؛ لبيان وضوحها ، وعاد الضمير عليها مفرداً ؛ لدلالة الجمع على الكثرة .

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (٢ / ٣٠٥)

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (٢ / ٣٠٦)

- الموضوع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ٧] ، حيث ورد في هذا الموضوع جمع ما لا يعقل ﴿ آيَاتٌ ﴾ ، وجاء نعتة جمعا ، وهو قوله تعالى : ﴿ مُحْكَمَاتٌ ﴾ ، وعاد عليها الضمير جمعا مؤنثا في قوله تعالى : ﴿ هُنَّ ﴾ ، قال القرطبي : " اختلف العلماء في المحكمات والمتشابهات على أقوال عديدة ، فقال جابر بن عبد الله ، وهو مقتضى قول الشعبي وسفيان الثوري وغيرهما : المحكمات من آي القرآن ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره ، والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل ، مما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه . قال بعضهم : وذلك مثل وقت قيام الساعة ، وخروج يأجوج ومأجوج والدجال وعيسى ، ونحو الحروف المقطعة في أوائل السور .

قُلْتُ : هَذَا أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي الْمُتَشَابِهِ . وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خَيْثَمٍ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ فَاسْتَأْثَرَ مِنْهُ بِعِلْمٍ مَا شَاءَ ، الْحَدِيثَ .

وَقَالَ أَبُو عَثْمَانَ : الْمُحْكَمُ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ الَّتِي لَا تُجْزَى الصَّلَاةُ إِلَّا بِهَا .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ : سُورَةُ الْإِحْلَاصِ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا إِلَّا التَّوْحِيدُ فَقَط . وَ قَدْ قِيلَ : الْقُرْآنُ كُلُّهُ مُحْكَمٌ : لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ﴾ [هود: ١] . وَقِيلَ : كُلُّهُ مُتَشَابِهٌ ، لِقَوْلِهِ : ﴿ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾ [الزمر: ٢٣] .

قُلْتُ : وَلَيْسَ هَذَا مِنْ مَعْنَى الْآيَةِ فِي شَيْءٍ ، فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ﴾ أَيُّ فِي النَّظْمِ وَالرِّصْفِ وَأَنَّهُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . وَمَعْنَى ﴿ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾ ، أَيُّ يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا وَيُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا . وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : ﴿ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ هَذَا الْمَعْنَى ، وَإِنَّمَا الْمُتَشَابِهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ بَابِ الْإِحْتِمَالِ وَالِاشْتِبَاهِ ، مِنْ قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ الْبَقْرَةَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾ [البقرة: ٧٠] ، أَيُّ : التَّبَسُّعُ عَلَيْنَا ، أَيُّ : يَحْتَمِلُ أَنْوَاعًا كَثِيرَةً مِنَ الْبَقْرِ . وَالْمُرَادُ بِالْمُحْكَمِ مَا فِي مُقَابَلَةِ هَذَا ، وَهُوَ مَا لَا التَّبَسُّعَ فِيهِ ، وَلَا يَحْتَمِلُ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا .

وَقِيلَ : إِنَّ الْمُتَشَابِهَ مَا يَحْتَمِلُ وُجُوهًا ، ثُمَّ إِذَا رُدَّتِ الْوُجُوهُ إِلَى وَجْهِ وَاحِدٍ وَأَبْطَلَ الْبَاقِي ؛ صَارَ الْمُتَشَابِهُ مُحْكَمًا . فَالْمُحْكَمُ أَبَدًا أَصْلٌ تُرَدُّ إِلَيْهِ الْفُرُوعُ ، وَالْمُتَشَابِهُ هُوَ الْفَرْعُ .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الْمُحْكَمَاتُ : هِيَ قَوْلُهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ

رُبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴿ إِلَى ثَلَاثِ آيَاتٍ ، وَقَوْلُهُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
 وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ . قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَهَذَا عِنْدِي مِثَالُ أَعْطَاهُ فِي الْمُحْكَمَاتِ . وَقَالَ ابْنُ
 عَبَّاسٍ أَيْضًا: الْمُحْكَمَاتُ : نَاسِخُهُ ، وَحِلَالُهُ ، وَحَرَامُهُ ، وَفَرَائِضُهُ ، وَمَا يُؤْمَنُ بِهِ ، وَيُعْمَلُ ،
 وَالْمُتَشَابِهَاتُ : الْمَنْسُوحَاتُ وَمُقَدَّمُهُ وَمُؤَخَّرُهُ وَأَمْتَالُهُ وَأَقْسَامُهُ وَمَا يُؤْمَنُ بِهِ وَلَا يُعْمَلُ بِهِ .
 وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَعَيْرُهُ: الْمُحْكَمَاتُ : النَّاسِخَاتُ ، وَالْمُتَشَابِهَاتُ : الْمَنْسُوحَاتُ ، وَقَالَه
 قَتَادَةُ وَالرَّبِيعُ وَالضَّحَّاكُ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ : الْمُحْكَمَاتُ : هِيَ الَّتِي فِيهَا حُجَّةُ الرَّبِّ ، وَعِصْمَةُ الْعِبَادِ ،
 وَدَفْعُ الْخُصُومِ وَالْبَاطِلِ ، لَيْسَ لَهَا تَصْرِيْفٌ وَلَا تَحْرِيفٌ عَمَّا وُضِعْنَ عَلَيْهِ . وَالْمُتَشَابِهَاتُ : هُنَّ
 تَصْرِيْفٌ وَتَحْرِيفٌ وَتَأْوِيلٌ ، ابْتَلَى اللَّهُ فِيهِنَّ الْعِبَادَ ، وَقَالَه مُجَاهِدٌ وَابْنُ إِسْحَاقَ .
 قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَهَذَا أَحْسَنُ الْأَقْوَالِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ .

قَالَ النَّحَّاسُ: أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الْمُحْكَمَاتِ وَالْمُتَشَابِهَاتِ : أَنَّ الْمُحْكَمَاتِ مَا كَانَ قَائِمًا
 بِنَفْسِهِ لَا يَخْتِاجُ أَنْ يُرْجَعَ فِيهِ إِلَى غَيْرِهِ ، نَحْوُ : ﴿ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٤] ، ﴿ وَإِنِّي
 لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ ﴾ [طه: ٨٢] . وَالْمُتَشَابِهَاتُ نَحْوُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٥٣]
 يُرْجَعُ فِيهِ إِلَى قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ ﴾ [طه: ٨٢] ، وَإِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ
 اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ [النساء: ٤٨] .

قُلْتُ : مَا قَالَه النَّحَّاسُ يُبَيِّنُ مَا اخْتَارَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ ، وَهُوَ الْجَارِي عَلَى وَضْعِ اللَّسَانِ ، وَذَلِكَ
 أَنَّ الْمُحْكَمَ اسْمٌ مَفْعُولٍ مِنْ أَحْكَمَ ، وَالْإِحْكَامُ الْإِتْقَانُ ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ مَا كَانَ وَاضِحَ الْمَعْنَى
 لَا إِشْكَالَ فِيهِ وَلَا تَرَدُّدَ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ كَذَلِكَ لِوُضُوحِ مُفْرَدَاتِ كَلِمَاتِهِ وَاتِّفَاقِ تَرْكِيبِهَا ، وَمَتَى اخْتَلَّ
 أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ جَاءَ التَّشَابُهُ وَالْإِشْكَالُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .^(١)

وبالنظر إلى أقوال العلماء ، نجد أن منهم من فسر المحكم والمتشابه ، ومن هم من حدد
 المحكم بآيات ، ومثل للمتشابه ، ولكننا لو طبقنا ما اطرده معنا في هذا البحث ؛ لوجدنا أن
 الآيات جاء نعتها جمعاً للفت الانتباه إلى ما فيها من معنى ومقصد ذلك النعت : محكمات ؛
 فإذا هذه الآيات صفتها أنها محكمة ، وعاد الضمير عليها جمعاً لدلالة جمع ما لا يعقل على
 القلة ، وعلى ذلك فإننا نجد أن أقرب الأقوال إلى هذا المعنى قولان ؛ هما :

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥ / ١٧)

● القول الأول / أن الآيات المحكمات : هن ثلاث آيات في سورة الأنعام .

قال ابن عباس : " الْمُحَكَّمَاتُ : هِيَ قَوْلُهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ ﴾ إِلَى ثَلَاثِ آيَاتٍ ، وَقَوْلُهُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ . " (١) ، وعلل لذلك مقاتل بقوله : " هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ يعنى أصل الكتاب لأنهن في اللوح المحفوظ مكتوبات وهن محرمات على الأمم كلها في كتابهم . وإنما تسمين أم الكتاب لأنهن مكتوبات في جميع الكتب التي أنزلها الله - تبارك وتعالى - على جميع الأنبياء ، وليس من أهل دين إلا وهو يوصي بهن . " (٢) .

● القول الثاني / أن الآيات المحكمات : هن الفاتحة .

وهو قول أبي عثمان أورده القرطبي بقوله : " وَقَالَ أَبُو عَثْمَانَ : الْمُحَكَّمُ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ الَّتِي لَا تُجْزَى الصَّلَاةُ إِلَّا بِهَا " (٣) ، ومما يقوي هذا القول ما جاء في تفسير الفاتحة لابن رجب وفي ذكر أسمائها قوله : " الاسم الثاني : أم الكتاب ، ففي [المسند] و[سنن ابن ماجه] عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْكِتَابِ فَهِيَ خِدَاجٌ) . وفي [سنن أبي داود] من حديث أبي هريرة : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أم القرآن ، وأم الكتاب ، والسبع المثاني . وقد سماها ابن عباس وغيره : أم الكتاب . وأنكر الحسن تسميتها بذلك ، وقال : أم الكتاب الحلال والحرام . يشير إلى قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحَكَّمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ ، وربما وجه بأن أم الكتاب هو اللوح المحفوظ ، كما في قوله تعالى : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٩] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف: ٤] ، وهذا لا يدل على منع تسمية الفاتحة بذلك .

وقد اختلف في معنى تسميتها بأم الكتاب ، فقيل : لأنها تتقدم على بقية سور الكتاب في الخط ، فهي تؤم السور بتقدمها عليها . فالكتاب كله راجع إلى معانيها ، فهي كالأصل له ، كما

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨ / ٥)

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (١ / ٢٦٣)

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨ / ٥)

سُمِّيَتْ مَكَّةَ أُمَّ الْقُرَى، لأنَّ البلدان دُحِيتَ مِنْ تَحْتِهَا. وَقِيلَ: أَصَالَتْهَا مِنْ حَيْثُ إِهْمَا مُحْكَمَةٌ لَمْ يَتَطَرَّقَ إِلَيْهَا نَسْخٌ، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ . وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " (١) .

وكذلك مما يقوي هذا القول ما ورد من أحاديث بتسمية الفاتحة بـ (أم الكتاب) :

١. عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي

التَّوْرَةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الْقُرْآنِ مِثْلَ أُمِّ الْكِتَابِ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي " (٢) .

٢. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " الرَّكْعَةُ الَّتِي لَا يُقْرَأُ

فِيهَا كَالْحِدَاجِ : قَلْتُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعِيَ إِلَّا أُمُّ الْقُرْآنِ ؟ قَالَ : هِيَ

حَسْبُكَ ، هِيَ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَأُمُّ الْقُرْآنِ ، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي " (٣) .

٣. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : " إِذَا قَرَأْتُمْ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ فَاقْرَءُوا ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

إِنَّهَا أُمُّ الْقُرْآنِ ، وَ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَ السَّبْعُ الْمَثَانِي ، وَ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

إِخْدَى آيَاتِهَا " (٤) .

٤. وَقَالَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ فِي بَابِ مَا جَاءَ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ

وَسُمِّيَتْ أُمُّ الْكِتَابِ أَنَّهُ يُبَدَأُ بِكِتَابَتِهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَيُبَدَأُ بِقِرَاءَتِهَا فِي الصَّلَاةِ. (٥)

٥. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: " مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ، فَقَالَ:

(أَتُحِبُّ أَنْ أَعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزَلْ فِي التَّوْرَةِ ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ ، وَلَا فِي الزَّبُورِ ، وَلَا

فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا ؟) قَلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: (فَكَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ ؟) .

فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ أُمَّ الْكِتَابِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَالَّذِي نَفْسِي

بِيَدِهِ، مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فِي التَّوْرَةِ ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ ، وَلَا فِي الزَّبُورِ ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ

مِثْلُهَا ، وَإِنَّهَا السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ " (٦) .

(١) تفسير الفاتحة لابن رجب (٧)

(٢) صحيح ابن خزيمة (١ / ٢٨١)

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٤ / ١٢٣)

(٤) صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) للألباني (١ / ١٨٧)

(٥) مختصر صحيح الإمام البخاري للألباني (٣ / ١٢٣)

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٤ / ١٢٤)

- وعلى ذلك فالقول الثاني أقرب للصواب لعدة أمور :

- ١ . ورود أحاديث صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتسمية الفاتحة (أم الكتاب).
- ٢ . اطراد قاعدة النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل على هذه الآية وعلى هذا القول .

* ملحوظات الفصل الثالث :

• أن جمع ما لا يعقل في القرآن جاء نعتة مفردًا وعاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا ، وكذلك جاء نعتة جمعًا وعاد عليه الضمير جمعًا مؤنثًا ، وكذلك جاء نعتة جمعًا وعاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا، ولكنه لم ينعت بمفردٍ وعاد عليه الضمير جمعًا أبدًا .
ولجيء أولئك الصور الثلاثة لجمع ما لا يعقل في حال نعتة وعود الضمير عليه (مجتمعين معًا) ؛ ملحوظات ودلائل :

١. أن جمع ما لا يعقل إذا دل على الكثرة ؛ فإن نعتة يكون مفردًا ، ويعود عليه الضمير مفردًا مؤنثًا ، وهذا مطرد في القرآن .

٢. أن جمع ما لا يعقل إذا دل على القلة ؛ فإن نعتة يكون جمعًا ، ويعود عليه الضمير جمعًا مؤنثًا ، وهذا مطرد في القرآن .

٣. أن جمع ما لا يعقل قد يدل على الكثرة ؛ ويكون نعتة جمعًا ، ولكن لا بد أن يعود عليه الضمير مفردًا مؤنثًا.

٤. أن جمع ما لا يعقل إذا جاء نعتة مفردًا ؛ فلا يعود عليه الضمير إلا مفردًا مؤنثًا ، أما إذا جاء نعتة جمعًا ؛ فيجوز أن يعود عليه الضمير جمعًا مؤنثًا أو مفردًا مؤنثًا .

وهذا فيه لفظة جميلة ، وهي أن جمع ما لا يعقل إذا جاء نعتة مفردًا فإنه يدل على الكثرة مطلقًا ؛ وعلى ذلك فلا يستقيم الكلام بعود الضمير عليه جمعًا أبدًا ، أما إذا جاء نعتة جمعًا فهذا قد يخرج عن معنى القلة والكثرة إلى معانٍ أخرى ويكون الضمير هو الفيصل في دلالة جمع ما لا يعقل على القلة أو الكثرة .

٥. اطراد قاعدة مراعاة القلة والكثرة في النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل في القرآن الكريم ، ويلحظ ذلك من خلال مجيء النعت مفردًا وعود الضمير عليه مفردًا مؤنثًا ، ومن خلال مجيء النعت جمعًا وعود الضمير عليه جمعًا مؤنثًا .

الفصل الرابع

أثر مراعاة القلة والكثرة في النعت وعود الضمير
على جمع ما لا يعقل في تفسير القرآن

وفيه مبحثان :

المبحث الأول / أثر مراعاة القلة والكثرة في النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل في
المعنى .

المبحث الثاني / أثر مراعاة القلة والكثرة في النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل في
الترجيح بين المفسرين .

وبعد هذه الرحلة البحثية في مراعاة القلة والكثرة في النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل ، وما أضفّته على اللسان العربي من الفصاحة والبيان ، وما كان لها من أثر في تفسير القرآن الكريم ، بآن للمتدبر لتلك المراعاة ؛ من دقة المعنى ، وجمال الأسلوب في القرآن الكريم ، ولا غرابة ؛ فقد قال عن القرآن ألدُّ أعدائه ، وهو الوليد بن المغيرة حين قال : " و الله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه ، ولا بقصيدته مني ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله ، وإنه ليعلو وما يعلى ، وإنه ليحطم ما تحته " (١) .

ففي هذا الفصل أردتُ أن أُلخص ذلك الأثر ، الذي ظَهَرَ معنا في طيات هذا البحث ؛ فجعلتُ ذلك في مبحثين :

المبحث الأول / أثر مراعاة القلة والكثرة في النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل في المعنى .

المبحث الثاني / أثر مراعاة القلة والكثرة في النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل في الترجيح بين المفسرين .

الفرق بين المبحثين :

أن المبحث الأول ؛ يتعلق بالآيات التي لم يكن فيها خلاف بين أهل العلم ، وهي كثيرة ؛ بل هي جل الآيات الواردة في هذا البحث ، فاخترت بعضها منها ؛ لبيان ما أضفّته عليه تلك المراعاة من دقة في المعنى .

أما المبحث الثاني ؛ فهو يتعلق بالآيات التي كان فيها خلاف بين المفسرين ، فاخترت بعضاً منها ؛ لبيان أثر تلك المراعاة في الترجيح بين المفسرين .

(١) الجامع لشعب الأيمان للبيهقي (١ / ٢٨٨)

المبحث الأول / أثر مراعاة القلة والكثرة في النعت وعود

الضمير على جمع ما لا يعقل في المعنى

إنَّ مراعاة القلة والكثرة في النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل أثرٌ بَيِّنٌ على المعنى ، ظهر ذلك من خلال الاستقراء لكتاب الله ، ولتوضيح ذلك الأثر جعلته على ثلاثة أقسام :

* القسم الأول : الأثر المتعلق بعود الضمير على جمع ما لا يعقل في المعنى .

ظهر معنا من خلال الاستقراء للقرآن الكريم ؛ أنَّ جمع ما لا يعقل إذا دل على الكثرة فإن الضمير يعود عليه مفردًا مؤنثًا ، وإذا دل على القلة أو أنزل منزلة العاقل عاد عليه الضمير جمعًا مؤنثًا ، ونجد ما جاء مطردًا على ذلك في القرآن ما يلي :

١ . كلمة (أنهار) لدلالاتها على كثرة البساتين ؛ عاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا .
٢ . كل ما جاء في الجنة من جمع لما لا يعقل ودل على الكثرة ، عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا مطلقًا ، فجاءت كلمة (أكواب - جنات) وعاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا في القرآن كله .

٣ . جاء في القرآن الكريم كلمات ؛ من المعلوم دلالتها على الكثرة ، فعاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا في القرآن كله ، وذلك نحو : (أيد - أرجل - آذان - أعين - أنفوس - نفوس - وحوش - عشائر - قبور - جبال - نجوم - كواكب - مساجد - بيوت - مساكن - قرى) .

٤ . كلمة (السموات) ؛ لكونها سبعة ، فإن الضمير عاد عليها في القرآن كله جمعًا مؤنثًا .
٥ . كلمة (آيات) والتي يُقصد بها الدلائل والحجج أو آيات القرآن الكريم المتلوة ؛ فإن الضمير عاد عليها مفردًا مؤنثًا في القرآن كله ، وذلك لكثرة آيات الله وحججه التي أقامها على عباده لئلا يكون للناس حجة على الله بعدها .

٦ . عود الضمير يعطي دقة في المعنى ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ [فاطر: ٢٧] ، حيث عاد الضمير مفردًا مؤنثًا ، في قوله تعالى :

﴿الْوَاهِيَّاتُ﴾ ، على جمع ما لا يعقل ﴿بَيْضٌ وَحُمْرٌ﴾ ، قال أبو حيان : " مختلف ألوانها ، لأن البياض والحمرة تتفاوت بالشدة والضعف ، فأبيض لا يشبه أبيض ، وأحمر لا يشبه أحمر ، وإن اشتركا في القدر المشترك ، لكنه مشكل "(١) ، فلكثرة تفاوت درجات اللون الأبيض والأحمر عاد عليهما الضمير مفردًا مؤنثًا ، بخلاف اللون الأسود ، فهو لا يحتمل التفاوت .

* القسم الثاني : الأثر المتعلق بنعت جمع ما لا يعقل على المعنى .

لوحظ على نعت جمع ما لا يعقل من حيث أثره على المعنى ما يلي :

١. أن جمع ما لا يعقل إذا دل على الكثرة ؛ فإن نعته يكون مفردًا دائمًا ، وهذا مطردٌ في القرآن ، فمن ذلك تجد أن ما ورد في القرآن من نعيم الجنة فإن نعته جاء مفردًا ، وذلك نحو : (أكواب- قطوف- فرش- زرابي- مساكن- سرر) .
٢. أن جمع ما لا يعقل إذا دل على القلة ؛ فإن نعته يكون جمعًا ، ومما جاء مطردًا على هذا المعنى كلمة (السموات) فإنهن لم ينعتن بمفرد أبدًا ، والسموات سبع .
٣. أن نعت جمع ما لا يعقل إذا جاء جمعًا فإنه يعطي دقة في المعنى ، ونضرب لذلك بمثالين :

الأول : وذلك في قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِعِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ [الكهف: ٣١] ، وقوله تعالى : ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا مِنْ فِضَّةٍ وَسَقْلَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٣١﴾ [الإنسان: ٢٢] ، حيث جاء النعت جمعًا ليدل على قلة ، والقلة هنا مناسبة في حال اللبس ، لا فيما يملكون ، كما جاء ذلك المعنى صريحًا في الآية الأولى ، فلبيان هذا النعيم في حال اللبس جاء النعت جمعًا ، إذ لو جاء مفردًا لدل جمع ما لا يعقل على الكثرة ، وهذا لا يليق ، لأن كثرة اللباس دليل على شدة البرد لا على النعيم ، الأمر الآخر أنه ذكر لون هذا اللباس وكأنما جاء هذا اللباس بهذا اللون للحلية

(١) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٩ / ٢٩)

ولبيان نعيم من يلبس هذا اللون من اللباس .

ثانيا : وذلك ما نجده في نعت كلمة (أمم) ، في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلِيمٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨] ، حيث جاء النعت جمعا ؛ ليدل على القلة ، والقلة هنا مناسبة ، وذلك لمنع المماثلة في كل شيء ، إذ لو كان النعت مفردا لدل على الكثرة التي تلزم المماثلة في كل شيء ، وهذا منتفٍ بين من يعقل وما لا يعقل .

٤. أن جمع ما لا يعقل إذا جاء نعتة جمعا ؛ فإنه قد يدل على معانٍ أخرى غير القلة والكثرة ، وذلك للفت الانتباه إلى ما في النعت من معنى ، منها :

● العظمة ، وذلك نحو :

- قوله تعالى : ﴿ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ ﴾ [سبأ: ١٣]

- قوله تعالى : ﴿ رَوَاسِيٍّ شَلَمِخْتٍ ﴾ [المرسلات: ٢٧]

- قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ ﴾ [المرسلات: ٣٣]

- قوله تعالى : ﴿ وَحَدَائِقِ غُلَبًا ﴾ [عبس: ٣٠]

- قوله تعالى : ﴿ لِيَتَسَلَّكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ [نوح: ٢٠]

● التهوين واليسير ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٤] فالمقصود بـ ﴿أيام معدودات﴾ شهر رمضان؛ فالتهوين من أمرها، ويسرها على المكلفين؛ جاء نعتها جمعا.

● التحقير ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ ﴾

[الأحزاب: ١٩] والمقصود بها ألسنة المنافقين ، فتحقيرا لشأنها ؛ جاء نعتها جمعا.

● الالتفات إلى الأصل من وجود هذا الجمع ؛ وذلك نحو كلمة (آيات) التي

يُقصد بها الحجج والأدلة أو آيات القرآن الكريم المتلوة ؛ فإنها لم تنعت بمفرد أبداً ،

وذلك لأن الأصل في إنزالها معرفة ما فيها من أحكام لا الاهتمام بعددها ، كقوله

تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ [الحج: ١٦] ، وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا

ءَايَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ ﴿النور: ٤٦﴾، وهنا لفته جميلة وهي أن الأصل في آيات القرآن النظر إلى ما فيها من أحكام وعبر ليعمل بما فيه وهذا قرين التدبر ، وليس حفظها كعدد ، فذلك قد يكون أول من تسعر به النار - نسأل الله العافية - ، وهذا بخلاف الآيات الحسية من معجزات أو آيات كونية فإن نعتها قد جاء مفردًا كقوله تعالى : ﴿لِئْرِيكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾ [طه: ٢٣] ، وقوله تعالى : ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١٨] ، وهذا فيه رد على من قال إن النعت جاء مفردًا لتناسب رؤوس الآي ، وكذلك لو نظرنا إلى الآيات الحسية في القرآن عندما كانت قليلة جاء نعتها جمعًا ، كقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾ [الإسراء: ١٠١] ، وقوله تعالى : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالذَّمَ ءَايَاتٍ مُفْصَلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف: ١٣٣]

* القسم الثالث : الأثر المتعلق بالنعت وعود الضمير - مجتمعين معًا - على جمع

ما لا يعقل في المعنى .

لجيء جمع ما لا يعقل منعوتًا وعاد عليه الضمير ثلاثة معانٍ :

أولاً : إذا دل جمع ما لا يعقل على كثرة ، جاء نعتة مفردًا وعاد عليه الضمير كذلك مفردًا مؤنثًا ، وهذا مطردٌ في القرآن الكريم ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠] ، وقوله تعالى : ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِعِينَ عَلَيْهَا مُتَّقِلِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الواقعة: ١٥-١٦] ، وقوله تعالى : ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿٦٦﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ فِيهَا رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيًا ﴿٦٦﴾﴾ [مرم: ٩١-٩٢]

ثانيًا : إذا دل جمع ما لا يعقل على قلة ، جاء نعتة جمعًا وعاد عليه الضمير كذلك جمعًا

مؤنثًا ، وهذا مطردٌ في القرآن الكريم ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ

الرَّادِ التَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُونَ يَتَأُولَىٰ الْأَلْبَابِ ﴿١٣٧﴾ [البقرة: ١٩٧] ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ حُضِرٍ وَأُخْرَىٰ يَأْسَدَتِ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِي رُءْيَايَ إِنَّ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ [يوسف: ٤٣] .

ثالثًا : إذا دل جمع ما لا يعقل على الكثرة ، وأريد لفت الانتباه والاهتمام بما فيه من معانٍ ، جاء النعت جمعًا وعاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا ، وهذا فيه اتساع في المعنى ، ولم يأت ذلك إلا في كلمة واحدة في القرآن ، وهي كلمة (آيات) ، وجاء ذلك في موضع واحد فقط ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ [البقرة: ٩٩] ، وذلك أن (الآيات) - التي يقصد بها آيات القرآن المتلوة أو الحجج والأدلة - لم تنعت بمفرد في القرآن مطلقًا ؛ لأن الأصل فيها معرفة ما فيها من دلائل وأحكام ، فجاء نعتها جمعًا ، وعند إرادة الدلالة عليها بالكثرة عاد عليها الضمير مفردًا ، فأعطى هذا الأسلوب دالتين ؛ الكثرة والاهتمام بما فيها من معانٍ ، وهذا في قمة البلاغة والفصاحة ، كلمات قليلة ومعانٍ كثيرة .

المبحث الثاني / أثر مراعاة القلة والكثرة في النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل في الترجيح بين المفسرين

هذا المبحث بمثابة تطبيق أثر مراعاة القلة والكثرة في النعت وعود الضمير على خلافات المفسرين ، والترجيح بين أقوالهم ، وسأعرض في هذا المبحث بعض تلك الخلافات التي قد ورد تفصيلها في صفحات البحث السابقة ، ولكنني أتيت بها هنا ؛ لأخذ صورة كاملة عن ذلك الأثر في الترجيح بين المفسرين ، وعلى ذلك فسيكون هذا المبحث على ثلاثة أقسام ، مراعيًا في ذلك ؛ تقسيم فصول البحث :

* القسم الأول : الأثر المتعلق بعود الضمير على جمع ما لا يعقل في الترجيح بين المفسرين .

بعد الاستقراء لعود الضمير على جمع ما لا يعقل في القرآن الكريم ؛ تبين أن جمع ما لا يعقل إذا دل على الكثرة عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا ، وإذا دل جمع ما لا يعقل على القلة أو أنزل منزلة العاقل عاد عليه الضمير بالجمع ، وسنورد هنا أربعة أمثلة جاء فيهن خلاف بين المفسرين ، لنرى أثر هذه القاعدة في الترجيح .

• المثال الأول / في قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [لقمان: ١٠] ، وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد: ٢]

وفي هاتين الآيتين - للعلماء فيهما - قولان :

- القول الأول / أن الضمير في ترونها عائد على السموات ، وعلى ذلك يكون المعنى : أن الله خلق السموات بغير عمد وكذلك ترونها ، أي السموات .

- القول الثاني / أن الضمير عائد على العمدة ؛ فيكون المعنى : إنها بعمد لا ترونها. أي لا ترون تلك العمدة .

والراجع بحسب ما اقتضاه البحث ونتائجه من خلال الاستقراء العام للقرآن فإن الضمير يعود على (العمد) ، وذلك لأن جمع ما لا يعقل في القرآن إذا دل على كثرة ؛ عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا ، والكثرة في هذا الموضع متناسبة مع العمد وغير متناسبة مع السموات ؛ فالسموات سبع ، والعمد قد تكون كثيرة بدليل اتساع السموات وبعود الضمير عليها مفردًا ؛ إذ من كمال قدرة الله أن تكون العمد كثيرة ولا نراها وهذا ما اقتضاه معنى الآية ، فالإعجاز في عدم الرؤية مع وجودها وزاد ذلك الإعجاز الكثرة ، فوجود العمد وكثرتها مع عدم رؤيتها ؛ هذا من كمال قدرة الخالق سبحانه، وكذلك أن هذا المعنى فيه لفظة تربوية وذلك أن للأسباب اعتبارًا؛ فالخالق سبحانه خلق السموات والأرض في ستة أيام وهو قادر على أن يقول لمن كونه فتكون ، ولكن اقتضت حكمته أن يكون لخلقهن ذلك العدد من الأيام ؛ فلم لا يكون للسموات عمد تكون سببًا في ارتفاعهن ؛ وهو سبحانه خالق السبب والمسبب .

- ومما يساعد على تقوية ذلك الاعتبار :

١. من قواعد اللغة العربية ؛ أن الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه ، وأقرب مذكور لهذا الضمير كلمة : عمد .
٢. لم يأت في القرآن لفظة (السموات) وعاد عليها الضمير بالإفراد البتة ، وإنما عاد عليها الضمير بالجمع في القرآن كله .

• المثال الثاني / في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاقِبُونَ ﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبْدِينَ ﴿٥٦﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٨﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٩﴾ [الأنبياء: ٥٢-٥٦]

في هذه الآيات جاء الخلاف في عود ضمير الجمع في قوله تعالى : ﴿ فَطَرَهُنَّ ﴾ على قولين، جاء ذكرهما مفصلاً في موطن ذكر هذه الآية ولكن نذكرهما هنا ملخصين:

- القول الأول / أنه يعود على السموات والأرض .

- القول الثاني / أنه يعود على التماثيل .

والراجع بحسب ما اقتضاه البحث ونتائجه ؛ أن الضمير في قوله تعالى : ﴿ فَطَرَهُنَّ ﴾ يعود

على (السموات والأرض) ، وذلك لأن جمع ما لا يعقل إذا دل على القلة عاد عليه الضمير جمعاً مؤنثاً ، وإذا دل على الكثرة عاد عليه مفرداً مؤنثاً ، والتماثيل كثيرةٌ ، والسموات سبع ، والأرض لفظٌ مفردٌ لم تأت بصيغة الجمع في القرآن مطلقاً ، ولذلك فهي تعامل من حيث اللفظ معاملة الواحدة المفردة ، فتكون مع السموات ثمانية ، وهذا قليل ، فاقترضى ذلك عود الضمير في ﴿فَطْرَهُنَّ﴾ على (السموات والأرض) .

- ومما يساعد على تقوية ذلك الاعتبار :

١. إنهن أقرب مذكور ، والأصل في قواعد اللغة ؛ أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور ما لم توجد قرينة تصرفه إلى غيره .

٢. إن السموات لم يعد عليهن الضمير في القرآن إلا جمعاً مؤنثاً وكذلك السموات والأرض ، أما التماثيل وردت في القرآن مرة واحدة بمعنى الأصنام ، وهو في هذا الموضع في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥٢-٥٣] ، ونجد أن الضمير عاد عليها مفرداً مؤنثاً مرتين ؛ فما المسوغ الذي جعله يعود عليها بعد الضمير المفرد المؤنث جمعاً مؤنثاً ، وفي نفس الموضع !!! .

٣. إن معنى فطر: أي خلق من العدم عن غير مثال ومن غير أساس وأصله من الشق . يقال فطر فلان البئر يعني حفرها، ومنه سمي الفطر لأنه يشق الأرض ويخرج من غير زرع . وقد سمي الله فاطراً لأنه شق العدم وأخرج منه المخلوقات . وهذا مناسب للسموات والأرض بخلاف التماثيل فهي مصنوعة من موجود ، وعلى ذلك فالضمير في ﴿ فطرهن ﴾ ناسب عوده إلى السموات والأرض .

• المثال الثالث / في قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق: ١٢]

في هذا الموضع عاد الضمير في قوله تعالى : ﴿ مِثْلَهُنَّ ﴾ على (السموات) ، والسموات سبع ، ولدلالة جمع ما لا يعقل على القلة عاد عليه الضمير جمعاً مؤنثاً ، ولكن الخلاف في

ضمير الجمع المؤنث في قوله تعالى : ﴿ بَيَّنَّهِنَّ ﴾ ما المقصود به ؟

ومحور الإشكال يدور حول نقطتين :

الأولى : مالمقصود بالمثلية ؟

الثانية : وما المقصود بالأمر الذي يتنزل ؟

فإن كان المقصود بالمثلية ؛ العدد ، أي أرضين سبعاً مثل السموات ، فهل عاد الضمير على السموات السبع والأرضين السبع ، أو على السموات السبع والأرض العُلَيَا ، وهذا يختلف فيه المعنى ، فمن قال بالأرض العليا فالمقصود بالأمر هو الوحي ، ومن قال بالأرضين السبع فالمراد بالأمر هو القضاء .

أما من قال بأن المثلية ليست في العدد فلا إشكال في عود الضمير على السموات السبع والأرض فيكون مجموعها ثمانية ، والثمانية عدد قليل ، فدل جمع ما لا يعقل على القلة فعاد عليه الضمير جمعاً مؤنثاً ، وتفصيل هذه المسألة في موطن ورودها من هذا البحث ، ولكن هنا أورد الترجيح ، وهو أن المراد بالأمر هنا : هو الوحي ، وأن الضمير يعود على السموات السبع والأرض مفردة ، وذلك للاعتبارين الآتين :

١. إن إفراد الأرض مشعرٌ بأنها أرض واحدة ، وأن المماثلة في قوله : ﴿ مِثْلَهُنَّ ﴾

راجعة إلى المماثلة في الخلق العظيم كما ذكر ذلك ابن عاشور ووضحه ، ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أُمَّتَالِكُمْ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨] ، فالمماثلة هنا ليست في كل شيء كما وُضِّح سابقاً في مجيء النعت جمعاً للأمم .

٢. إن المقصود بالأمر هنا ؛ هو الوحي كما قال مقاتل وغيره ، وذلك لمجيء ذكره في

الآيتين السابقتين لهذه الآية ، وهما قوله تعالى : ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَىٰ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾ [١٥] رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ [الطلاق: ١٠-١١] ، والحكم بالموجود مقدم على التأويل .

• المثال الرابع / في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ

خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْفَ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ لَّوِطٍ ﴿٧٠﴾ [هود: ٧٠]

ورد في هذا الموضع الفعل ﴿تَصِلُ﴾ ، والفاعل ضميرٌ مستترٌ مفردٌ تقديره : (هي) يعود على جمع ما لا يعقل ﴿أَيْدٍ﴾ ، والخلاف في هذه الآية قائم على عدد الملائكة ؛ فمنهم من قال إن عددهم خمسة ، ومنهم من قال ثمانية ، ومنهم من قال تسعة ، ومنهم من قال اثنا عشر ، ومنهم من قال أحد عشر ، والذي ينبغي عليه عدد الملائكة ، هو معرفة عدد الأيدي ، وعود الضمير المستتر مفردًا مؤنثًا عليها يدل على كثرة الأيدي ، وعلى ذلك فمن قال بأنهم أحد عشر أو من قال إنهم اثنا عشر فهو أقرب للصواب، ومما يساعد على تقوية هذا الاعتبار:

١. مجيء الفعل مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ مما يدل على الكثرة ،

ونظير ذلك ما ذكره الفراء عند قوله تعالى : " ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ فذكر

الفعل لقلّة النسوة ووقوع (هؤلاء) عليهن كما يقع على الرجال. ومنه قوله: ﴿فَإِذَا

انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ﴾ ولم يقل: انسلخت، وكل صواب" (١) .

٢. عود الضمير المستتر على الرسل مفردًا مؤنثًا .

ومما سبق ذكره في هذا القسم ، وضح للناظر في مراعاة القلة والكثرة في عود الضمير على

جمع ما لا يعقل الأثر في الترجيح بين المفسرين .

* القسم الثاني : الأثر المتعلق بنعت جمع ما لا يعقل في الترجيح بين المفسرين

مما تبين معنا فيما سبق ؛ أن جمع ما لا يعقل إذا دل على الكثرة ؛ فإن نعته يكون مفردًا

دائمًا ، وهذا مطرد في القرآن ، وأما إذا دل على القلة ، أو خرج إلى معانٍ أخرى غير القلة

والكثرة ؛ فإن نعته يكون جمعًا ، وسنورد في هذا القسم ثلاثة أمثلة جاء فيهن خلاف بين

المفسرين ، لنرى أثر هذه القاعدة في الترجيح بين أقوال المفسرين :

• المثال الأول / في قوله تعالى : ﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٦]

ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿الْجَوَارِ﴾ ، وجاء نعته جمعًا ، وهو قوله تعالى :

(١) معاني القرآن للفراء (١ / ٣٢٧)

﴿الْكُنُوسِ﴾ ، واختُلف في معنى (الجواري الكنس) ، على عدة أقوال :

- ١ . أنها الدراري السبعة : الشمس والقمر وزحل وعطارد والمريخ والزهرة والمشتري .
 - ٢ . أن المراد الخمسة دون الشمس والقمر .
 - ٣ . أن المراد النجوم كلها لأنها تخنس بالنهار حين تختفي .
 - ٤ . أنها بقر الوحش لأنها تفعل هذه الأفعال في كناسها وهي المواضع التي تأوي إليها من الشجر والغيران ونحوه . ومنهم من قال : هي الطباء وذهب هؤلاء في الخنس إلى أنه من صفة الأنوف لأنها يلزمها الخنس وكذلك هي بقر الوحش أيضا .
- والأقرب إلى الصواب - والله أعلم - قول من قال : أنها الدراري السبعة أو من قال : الخمسة دون الشمس والقمر و القول الأخير أقرب وهو قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومما يقوي هذا القول :

- ١ . مجيء النعت جمعًا فيه دلالة على قلة جمع ما لا يعقل وعظمته .
- ٢ . كونهن جاريات ؛ فمسارهن الجري ، بخلاف البقر والطاء فمسارها الرعي .
- ٣ . ذكر الليل والصبح بعدهن ، وهو سبب رؤية الكواكب واختفائها .
- ٤ . عظمة خلقهن ، فهن أعظم خلقًا من البقر والطاء .
- ٥ . أن الشمس والقمر لا تخنس؛ بل تغيب، وهي سبب في رؤية واختفاء بقية الكواكب.

وعلى ذلك فإن مجيء النعت جمعًا مناسب لعظمة خلقهن وقلة عددهن ، فلا يقسم الله إلا بعظيم ، وشتان بين البقر والكواكب الدراري .

• المثال الثاني / في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنِّي بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنِّي أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [يوسف: ٦٧]

ورد في هذا الموضع قوله تعالى : ﴿ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾ نعت مفرد ل ﴿ أَبْوَابٍ ﴾ ، واختُلف في معنى الأبواب فمنهم من قال : أبواب مصر وكان لها أربعة أبواب ، ومنهم من قال : الطرق لا الأبواب ، فجاء النعت مفردًا لدلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة . وعلى هذا فقول من قال إنها الطرق أقرب للصواب ، كما بُيِّنَ ذلك في موطنه .

● المثال الثالث / في قوله تعالى : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ [يوسف: ٢٠]

حيث ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ دَرَاهِمَ ﴾ ؛ منعوتًا بمفردٍ ، وهو قوله تعالى : ﴿ مَعْدُودَةٌ ﴾ ، واختُلف في معنى الثمن البخس وفي عدد الدراهم ، وجاء التعبير في هذه الآية عن بيع يوسف - عليه السلام - دقيق الوصف ، حيث جاء نعت الدراهم مفردًا ليفيد الكثرة ، ونُعت الثمن بالبخس ؛ ليدل على أنه غير حق في يوسف - عليه السلام - ، فالثمن وإن جَلَّ فهو بخس ، أما قول من قال أنه بمعنى قليل ففي قوله نظر ، فكأنه يقول : لو زيد المبلغ لكان مكافئًا ليوسف ، حاشاه - عليه السلام - فهو أجل وأرفع من أن يقدر بثمن ، فهو حر ، وهو نبي الله .

* القسم الثالث : الأثر المتعلق بالنعته وعود الضمير - مجتمعين معًا - على جمع

ما لا يعقل في الترجيح بين المفسرين

في هذا القسم لا يوجد إلا مثال واحد ورد فيه خلاف بين المفسرين ، وبقية الكلمات والمواضع الواردة في ما جاء منعوتًا من جمع ما لا يعقل في القرآن وعاد عليه الضمير ؛ لم يرد فيها خلاف تُؤثر فيه مراعاة القلة والكثرة في النعت وعود الضمير ، وعلى ذلك سنورد هذا المثال في هذا القسم مختصرًا ، فقد سبق تفصيله في موطنه الذي ورد فيه .

● قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ٧]

ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ آيَاتٌ ﴾ ، وجاء نعته جمعًا ، وهو قوله تعالى : ﴿ مُحْكَمَاتٌ ﴾ ، وعاد عليه الضمير جمعًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ هُنَّ ﴾ ، وبالنظر إلى أقوال العلماء ، يجد أن منهم من فسر المحكم والمتشابه ، ومنهم من حدد المحكم بآيات ، ومثل للمتشابه ، ولكننا لو طبقنا ما اطرد معنا في هذا البحث ، لوجدنا أن الآيات جاء نعتها جمعًا للفت الانتباه إلى ما فيها من معنى ومقصد ذاك النعت : وهو الإحكام (محكمات) ، وهذا ما

اطرد مع كلمة (الآيات) - التي يقصد منها آيات القرآن المتلوة أو الحجج والبراهين - في القرآن كله ؛ فإذا هذه الآيات جاء نعتها جمعاً ، أما عود الضمير عليها جمعاً ففيه دلالة جمع ما لا يعقل على القلة ، وعلى ذلك فإننا نجد أن أقرب الأقوال إلى هذا المعنى قولان :

- القول الأول / أن الآيات المحكمات هن ثلاث آيات في سورة الأنعام ، قاله ابن عباس ، وعلل لذلك مقاتل بقوله : " هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ ﴿ ﴾ يعني أصل الكتاب لأنهن في اللوح المحفوظ مكتوبات وهن محرمات على الأمم كلها في كتابهم . وإنما تسمى أم الكتاب لأنهن مكتوبات في جميع الكتب التي أنزلها الله - تبارك وتعالى - على جميع الأنبياء ، وليس من أهل دين إلا وهو يوصي بهن . "

- القول الثاني / أن الآيات المحكمات هن الفاتحة ، وهو قول أبي عثمان أورده القرطبي ، وكذلك جاء في ذكر أسمائها عند ابن رجب ما نصه : " الاسم الثاني : أم الكتاب ، ففي «المسند» و«سنن ابن ماجه» عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقولُ : (مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْكِتَابِ فَهِيَ خِدَاجٌ) . وفي «سنن أبي داود» من حديث أبي هريرة : (﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أُمَّ الْقُرْآنِ ، وَأُمَّ الْكِتَابِ ، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي) . وقد سماها ابنُ عَبَّاسٍ وغيره: أُمَّ الْكِتَابِ ، وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ ، وَلَا فِي الْقُرْآنِ مِثْلَ أُمَّ الْكِتَابِ ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي " .^(١)

والأقرب للصواب - والله أعلم - القول الثاني ، ومما يقويه :

١ . اطراد قاعدة النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل في هذه الآية على هذا القول .

٢ . ورود أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتسمية الفاتحة بأمر الكتاب .

٣ . قال به بعض العلماء .

(١) صحيح ابن خزيمة (١ / ٢٨١)

الخاتمة

أحمد الله سبحانه وتعالى على أن أعانني على إتمام هذا البحث ، فقد آن لهذه الرحلة مع هذه الرسالة العلمية أن تنتهي ، والتي صحبتُ فيها آيات كتاب الله ؛ الذي لا تنتهي عجائبه ، ولا يُملُّ من كثرة الترداد ، كما عشت في هذه الرحلة المباركة مع آثار علماء أجلاء بذلوا جهدهم في خدمة كتاب الله ، وبعد هذا التطواف الرحيب في كتاب الله ؛ والذي جمعت فيه جموع ما لا يعقل التي جاءت منوعة ، أو عاد عليها الضمير ، أو جاءت منوعة وعاد عليها الضمير معاً ، حيث جاء ذلك في اثنين وسبعين وثلاث مئة موضع في القرآن الكريم ؛ وذلك على النحو الآتي :

أولاً / ورد في القرآن الكريم أربع وتسعون كلمة لجمع ما لا يعقل وعاد عليها الضمير ، وذلك في واحد وخمسين ومئتي موضع .

ثانياً / ورد في القرآن الكريم سبع وخمسون كلمة لجمع ما لا يعقل وجاءت منوعة ، وذلك في أربعة وتسعين موضعاً .

ثالثاً / ورد في القرآن الكريم عشرون كلمة لجمع ما لا يعقل منوعة وعاد عليها الضمير معاً ، وذلك في سبعة وعشرين موضعاً .

وبعد دراسة هذه الكلمات وتحليلها ، توصلت إلى أبرز النتائج الآتية :

أولاً / النتائج المتعلقة بعود الضمير على جمع ما لا يعقل :

١. إن الضمير العائد على جمع ما لا يعقل يأتي مفرداً وجمعاً ، مؤنثاً ومذكراً ، ولكلٍ من ذلك دلالة .

٢. يعود الضمير في القرآن بصيغة المفرد المؤنث على جمع ما لا يعقل؛ إذا كان جمع ما لا يعقل يدل على الكثرة، وجاء ذلك في ستة عشر ومئتي موضع في القرآن، وأما إذا كان جمع ما لا يعقل يدل على القلة؛ فيعود عليه الضمير بصيغة الجمع المؤنث .

٣. يعود الضمير في القرآن بصيغة الجمع المؤنث على جمع ما لا يعقل؛ إذا كان جمع ما لا يعقل يدل على القلة، أو أنزل منزلة العاقل .

٤. عاد الضمير في القرآن بصيغة جمع المذكر العاقل على جمع ما لا يعقل في ثلاثة

مواضع ؛ وذلك لإنزال جمع ما لا يعقل منزلة العاقل ، وهن :

- الموضع الأول/ في قوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُنُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنبياء: ٥٧-٥٨] ، حيث عاد الضمير جمعاً مذكراً في قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ أَصْنَم ﴾ ، وذلك لإنزالها منزلة العاقل.

- الموضع الثاني/ في قوله تعالى : ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَافِيَةً ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٧١-٧٧] ، حيث عاد الضمير مفرداً مؤنثاً في قوله تعالى: ﴿ لَهَا ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ أَصْنَم ﴾ ، وورد كذلك في هذه الآيات الأفعال التالية: ﴿ يَسْمَعُونَكُمْ - يَنْفَعُونَكُمْ - يَضُرُّونَ ﴾ ، والفاعل (واو الجماعة) ضميراً متصلًا للعقلاء يعود على جمع ما لا يعقل ﴿ أَصْنَم ﴾ ، كما عاد عليها الضمير مرة أخرى جمعاً للعقلاء في كلمة ﴿ فَإِنَّهُمْ ﴾ ، والأصنام كثيرة ؛ فعاد عليها الضمير مفرداً مؤنثاً في أول هذه الآيات، ثم أنزلت منزلة العاقل استخفافاً بها وبمن يعبدها، فالموطن هنا موطن حجاج وإلزام.

- الموضع الثالث/ في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لِيُجِودِيهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فُصِّلَتْ: ٢١] ، حيث عاد الضمير جمعاً مذكراً للعقلاء ، في قوله تعالى : ﴿ شَهِدْتُمْ ﴾ ؛ على جمع ما لا يعقل ﴿ جُلُود ﴾ ، وكذلك (واو الجماعة) في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا ﴾ ، ودل على العقلاء ، و العادة في اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ؛ أَنَّهُ إِذَا وُصِفَ غَيْرُ الْعَاقِلِ بِصِفَةٍ تَخْتَصُّ بِالْعَاقِلِ ؛ أُجْرِيَ عَلَيْهِ حُكْمُهُ ، فيعود عليه الضمير بصيغة الجمع كما يعود الضمير على جمع العاقل مراعاة للمطابقة .

٥. عاد الضمير على جمع ما لا يعقل بصيغة المفرد المذكر، في أربعة مواضع - على غير

العادة في القرآن -؛ وذلك لوجود ما يستلزم التذكير، وهن:

- الموضع الأول / في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [النحل: ٦٦] ، وإنما جاء الضمير على صيغة المفرد المذكر؛

وساغ تخريج ذلك بكلمة (بعض) أو (ما) ، أي (مما في بطون ما ذكرنا) ، أو غير ذلك ، ف جاء في هذا الموضوع ما يستلزم التذكير .

- الموضع الثاني / في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ٧٤] ، وأما الضمير المفرد في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ﴾ ، فيقول ابن عطية : " ووحده الضمير في ﴿ منه ﴾ حملاً على لفظ (ما) ، وقرأ أبي بن كعب والضحاك (منها الأنهار) حملاً على الحجاره " (١) ، وقال الواحدي : " الكناية عائدة على ﴿ ما ﴾ ، و (ما) من المبهمات يجوز تذكيره وتأنيثه ، تقول العرب : من النعال ما يعجبني بالياء والتاء حملاً على التأويل . وقيل : إن ﴿ من ﴾ واقعة على بعض الحجاره ، وبعض مذكر ، والعرب تقول : بعض النساء قام ، وبعضهن قمن ، فمن ذكر فللفظ (بعض) ومن أنث فلتأويله " (٢) ، ف جاء في هذا الموضوع ما يستلزم التذكير .

- الموضع الثالث / في قوله تعالى : ﴿ وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ [النساء : ٤] ، وإنما جاء الضمير على صيغة المفرد المذكر ؛ لأجل الحمل على المعنى ، لأن الصدقات تحمل في لفظها معنى (الصداق) ، أو (الإيتاء) ، أو اسم الإشارة (ذلك) فيكون المعنى : عن شيء من ذلك ، ف جاء في هذا الموضوع ما يستلزم التذكير .

- الموضع الرابع / قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل : ٦٧] ، حيث عاد الضمير مفرداً مذكراً ، في قوله تعالى : ﴿ مِنْهُ ﴾ على جمع ما لا يعقل ﴿ ثَمَرَاتِ ﴾ ، ليدل على مفرد ، فهو ليس كناية عن ﴿ ثَمَرَاتِ ﴾ مباشرة ، وإنما لشيء يتعلق بها ، فقيل فيه أنه يعود إلى مضمرة ، قدره بعضهم بـ (الشيء) فيكون (شيءٌ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا) وبعضهم قدره بـ (ما) فيكون التقدير : (مَا تَتَّخِذُونَ مِنْهُ) وقيل إنه يعود إلى المضاف المحذوف الذي هو العصير أي : من عصيرها ، ف جاء الضمير في هذا الموضوع مفرداً مذكراً لوجود ما يستلزم التذكير .

(١) الخمر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (١ / ١٦٧)

(٢) تفسير البسيط للواحدي (٣ / ٧١)

ثانيا / النتائج المتعلقة بنعت جمع ما لا يعقل:

١. إن نعت جمع ما لا يعقل يأتي مفردًا وجمعًا ، ولا يأتي إلا مؤنثًا .
٢. إذا كان جمع ما لا يعقل يدل على الكثرة؛ فإن نعته يكون مفردًا، وهذا مطرد في القرآن، جاء ذلك في خمسة وأربعين موضعًا في القرآن، وأما إذا كان جمع ما لا يعقل يدل على القلة، أو على معانٍ أخرى غير القلة والكثرة، فإن النعت يكون جمعًا، جاء ذلك في سبعة وأربعين موضعًا في القرآن.
٣. قد يخرج جمع ما لا يعقل من معنى القلة أو الكثرة إلى معانٍ أخرى تفهم من خلال السياق، ومن خلال معنى النعت ودلالته، ولذلك يأتي النعت على صيغة الجمع، فيكون فيه لفت انتباه إلى صفة ذاك الجمع لا عدده، وذلك مثل كلمة: (آيات) في القرآن -التي يقصد بها آيات القرآن الكريم المتلوة أو الحجج والدلائل- فإن نعتها لا يأتي إلا جمعًا ، كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ [الحج:١٦]، وذلك لأن الأصل في إنزالها ووجودها هو العلم والعمل بها ، وليس النظر إلى قلة أو كثرة. ومن الأمثلة كذلك ما كان فيه معنى العظمة فيأتي النعت جمعًا لتلك الدلالة مثل: (قدور راسيات) في قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ:١٣]، ومثل: (رواسي شامخات)، في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَاخِصَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات:٢٧]، وغير ذلك من المعاني التي ترد من خلال دلالة جمع النعت .

ثالثا / نتائج عامة:

١. وضوح علة المعادلة في النعت والضمير؛ وذلك أن دلالة جمع ما لا يعقل على الكثرة - أيًا كانت صيغته - يكون معها النعت مفردًا، وكذلك يعود عليه الضمير مفردًا، وهذا ظاهرٌ ومطردٌ في القرآن، كما هو ظاهرٌ ومطردٌ في تمييز العدد .
٢. إن مسألة دلالة صيغة الجمع على قلة أو كثرة فيها نظر، وتحتاج إلى بحث مستقل،

وذلك لعدم اعتبارها مع النعت والضمير، وأنَّ المؤثر في دلالة الجمع على قلة أو كثرة إنما هو السياق، كما بان معنا في هذا البحث.

٣. دقة أساليب اللغة العربية وقوتها، وذلك من خلال انضباط كثيرٍ من قواعدها واطرادها، وأنه لا تتغير لفظة بلفظة إلا لدلالة؛ وخاصة في القرآن الكريم، كما أنه لا يوجد لفظة اعتباطية، أو لفظة يمكن استبدال غيرها بها دون تَعْيِيرِ المعنى مطلقاً.

وأخيراً

فهذا جهد المقل ، وبذل المقصر ، فهو عرضة للخطأ والنقص ، فإن وفقت فالفضل لله وحده ، وإن كانت الأخرى فحسبي أني اجتهدت ، وعبدت هذا الطريق الذي لم يسلكه أحد قبلي على هذا النحو ، وبذلت قصارى ما عندي ، وما توفيقى إلا بالله ؛ عليه توكلت وإليه أنيب ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيد الغر الميامين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الملحقات

جدول لما جاء على صيغ جموع القلة الوارد في البحث وعدد المواضع التي ورد فيها

الرقم	جموع القلة	عاد عليها الضمير			جاءت منعوتة وجاءت نعتها		جاء منعوتاً وعاد عليه الضمير
		مفرداً مؤنثاً	مفرداً مذكراً	مفرداً مؤنثاً وجمعاً مذكراً وجمعاً مؤنثاً	مفرداً	جمعا	
١	أبواب				١		
٢	آذان	٣					
٣	أرجل	١					
٤	أرحام	١					
٥	أزواج	٢					
٦	أسماء	٤			٣		١
٧	أشهر					١	١
٨	أشياء	١					
٩	أصنام		٣				
١٠	أضعاف				٢		
١١	أعمال	١					
١٢	أعين	٤					
١٣	أغلال						١
١٤	أفئدة	١					
١٥	أكواب	١			١		
١٦	ألسنة					١	
١٧	ألواح	٢					
١٨	أمثال	٢					
١٩	أموال	٨					١
٢٠	أنعام	٩	١				

					٣	أنفس	٢١
					٢	أنهار	٢٢
					١	أهلة	٢٣
					١	أودية	٢٤
					١	أوزار	٢٥
	٧	٢			١	أيام	٢٦
					٢	أيد	٢٧
		١				أيمان	٢٨

جدول لما جاء على صيغ جموع الكثرة مما لا يعقل الوارد في البحث وعدد المواضع التي ورد فيها

الرقم	جموع الكثرة	عاد عليها الضمير				جاءت منعوتة وجاءت نعتهما		جاء منعوتتا وعاد عليه الضمير
		مفردا مؤنثا	جمعا مؤنثا	مفردا مؤنثا وجمعا مذكرا	مفردا مؤنثا ومفردا مذكرا	مفردا	جمعا	
١	أُخر						٣	
٢	أساطير							١
٣	أمم						١	
٤	بحار							٢
٥	بدن							١
٦	بروج						١	
٧	بلاد							١
٨	بيوت							٧
٩	تماثيل							١
١٠	ثياب						٢	
١١	جبال					٢		١٠
١٢	جدد						١	
١٣	جلود			٢				
١٤	جمالة						١	
١٥	جوارح					١		
١٦	جواري					١		٢
١٧	حجارة			١	١			١
١٨	حدائق						١	١
١٩	حدود							٣

١							حُمُر	٢٠
		١					حُشْب	٢١
		١					دِراهِم	٢٢
						٢	دِيار	٢٣
		١					رِهان	٢٤
	١						رِواسِي	٢٥
						٢	رِياح	٢٦

جدول لما جمع بالألف والتاء لما لا يعقل الوارد في البحث وعدد المواضع التي ورد فيها

الرقم	ما جمع بالألف والتاء	عاد عليها الضمير				جاءت منعوتة وجاءت منعوتة وجاءت منعوتة وعاد عليها الضمير معا
		مفردا مؤنثا	جمعا مؤنثا	مفردا مذكرا	مفردا	
١	أمانات	١				
٢	آيات	٣٥			٢	١١
٣	باقيات					٢
٤	بقرات					٢
٥	ثمرات	٢		١		
٦	جماليات					١
٧	جنات	٤٢				٢
٨	حسنات		١			
٩	خيرات	١				
١٠	درجات					١
١١	سموات		١١			١
١٢	سنبلات					٢
١٣	سيئات	١				
١٤	صافنات	١				
١٥	صدقات	٣				
١٦	صدقات			١		
١٧	طيبات	٢				
١٨	ظلمات	٢				١
١٩	كلمات		١			
٢٠	مغيرات		١			

قائمة المصادر

١. أسرار التكرار في القرآن المسمى (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان) ، محمود بن حمزة الكرمانى، ويعرف بتاج القراء (ت ٥٠٥هـ) ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، مراجعة وتعليق : أحمد عبد التواب عوض ، دار الفضيلة .
٢. إعراب القرآن ، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النَّحَّاس (ت ٣٣٨هـ) ، تحقيق : د/ زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م .
٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ، لناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت ٦٩١ هـ) ، إعداد وتقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى .
٤. البحر المحيط في التفسير ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٥٤هـ) ، عناية: الشيخ زهير جعيد، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤٣١-١٤٣٢هـ - ٢٠١٠م .
٥. تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، وزارة الارشاد والأنباء في الكويت ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .
٦. التحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
٧. التعبير القرآني ، د/ فاضل صالح السامرائي ، دار عمار ، عمان - الأردن ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
٨. تفسير أبي السعود أو (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ، لأبي السعود بن محمد العمادي الحنفي (ت ٩٨٢هـ) ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض - المملكة العربية السعودية .
٩. تفسير الإمام مجاهد بن جبر، لمجاهد بن جبر وقيل جبير المكي (ت ١٠٢هـ)، تحقيق : د/ محمد عبد السلام أبو النيل ، دار الفكر الإسلامي الحديثة ، مدينة نصر - مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .

١٠. تفسير البسيط ، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق :
د/ محمد صالح الفوزان ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ١٤٣٠هـ .
١١. تفسير البغوي معالم التنزيل ، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ) ،
تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة،
الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م .
١٢. تفسير السمرقندي المسمى (بحر العلوم) ، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن
إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٥هـ) ، تحقيق : الشيخ/ علي محمد معوض ، الشيخ/ عادل
أحمد عبد الموجود ، د/ زكريا عبد المجيد النوتي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ،
الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .
١٣. تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
(ت ٣١٠هـ) ، تحقيق : د/ عبد الله التركي ، دار هجر للطباعة والنشر .
١٤. تفسير الفاتحة لابن رجب ، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن
السلامي البغدادي الحنبلي (ت ٧٩٥هـ) ، تحقيق : سامي محمد جاد الله ، المكتبة
الشاملة . مرقم آليا .
١٥. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، للإمام محمد الرازي فخر
الدين ابن ضياء الدين عمر (ت ٦٠٤هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ،
١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
١٦. تفسير القرآن ، لأبي المظفر السمعاني منصور بن محمد التميمي المرزوي (ت ٤٨٩هـ)،
تحقيق : أبي تميم ياسر بن إبراهيم ، أبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن ،
الرياض - المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
١٧. تفسير القرآن العزيز ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زَمِين (ت ٣٩٩هـ) ،
تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز ، الفاروق الحديثة ،
القاهرة - مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
١٨. تفسير القرآن العظيم ، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي
الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، صحح بإشراف : الشيخ خليل الميس ، دار القلم ، بيروت -

لبنان ، الطبعة الثانية .

١٩. تفسير القشيري المسمى (لطائف الإشارات) ، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري (ت ٤٦٥هـ) ، وضع حواشيه وعلق عليه : عبد اللطيف حسن عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

٢٠. التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، د/ محمد سيد طنطاوي ، دار الرسالة ، مطبعة السعادة ، القاهرة - مصر ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م . طبع على مراحل وفي عدة مطابع.

٢١. تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه : الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

٢٢. تفسير مقاتل بن سليمان ، لمقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠هـ) ، تحقيق : د/ عبد الله محمود شحاته ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

٢٣. تفسير يحيى بن سلام ، ليحيى بن سلام التيمي البصري القيرواني (ت ٢٠٠هـ) ، تحقيق : د/ هند شليبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .

٢٤. الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، تحقيق : د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

٢٥. الجامع لشعب الأيمان ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق : د/ عبد العلي عبد الحميد حامد ، مكتبة الرشد ، الرياض - المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .

٢٦. الجمع في القرآن وأبعاده الدلالية ، د/ يوسف العثمان ، سحر للنشر ، تونس ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩م .

٢٧. حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، الشيخ محمد الخضري ، دار الفكر .

٢٨. حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، أبو العرفان محمد بن علي الصبان (ت١٢٠٦هـ) ، تحقيق : د/ عبد الحميد هندراوي ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت - لبنان ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .

٢٩. حجة القراءات ، لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (توفي حوالي ٤٠٣هـ) ، تحقيق : سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

٣٠. الحجة للقراء السبعة ، لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسيّ (ت ٣٧٧هـ) ، تحقيق: بدر الدين قهوجي، بشير جويجاتي ، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح ، دار المأمون للتراث ، دمشق - سوريا ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

٣١. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

٣٢. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) ، تحقيق: أ.د/أحمد محمد الخراط ، دار القلم، دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م .

٣٣. درة التنزيل وغرة التأويل ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت٤٢٠هـ) ، دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين ، الناشر: جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (٣٠) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

٣٤. درة الغواص في أوهام الخواص ، للقاسم بن علي الحريري (ت ٥١٦هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

٣٥. دَرْجُ الدُّرِّ فِي تَفْسِيرِ الآيِ وَالسُّورِ ، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ، تحقيق: وليد بن أحمد بن صالح الحُسَيْن، و إياد عبد اللطيف القيسي ، مجلة الحكمة، مانشستر - بريطانيا ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

٣٦. ديوان زهير بن أبي سلمى ، شرحه وقدم له : علي حسن فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
٣٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان .
٣٨. زاد المسير في علم التفسير ، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
٣٩. سر صناعة الإعراب ، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، تحقيق: علاء حسن أبو شنب ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة - مصر .
٤٠. شرح اختيارات المفضل ، للخطيب التبريزي ، تحقيق : د/فخر الدين قباوه ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
٤١. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك) ، علي بن محمد بن عيسى ، أبو الحسن ، نور الدين الأشموني (ت ٩٠٠ هـ) ، دار الكتاب العربي بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .
٤٢. شرح التسهيل لابن مالك ، جمال الدين محمد بن عبد الله ، ابن مالك الطائي الجياني (ت ٦٧٢ هـ) ، تحقيق : د/ عبد الرحمن السيد ، د/ محمد بدوي المختون ، هجر للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .
٤٣. شرح الرضي على الكافية ، رضي الدين الأسترابادي ، تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر ، جامعة قاريونس - بنغازي ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٦ م .
٤٤. شرح المفصل لابن يعيش ، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣ هـ) ، تحقيق : أ.د/ إبراهيم محمد عبد الله ، دار سعد الدين ، دمشق - سوريا ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م .
٤٥. صحيح ابن خزيمة ، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (ت ٣١١ هـ) ، تحقيق : د / محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
٤٦. صحيح البخاري ، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، دار

- ابن كثير ، دمشق - سوريا ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
- ٤٧ . صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) ، محمد ناصر الدين الألباني ، أشرف على طبعه : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- ٤٨ . صيغ الجموع في القرآن الكريم ، د/ وسمية عبد المحسن المنصور ، مكتبة الرشد ، الرياض - المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
- ٤٩ . غرائب التفسير وعجائب التأويل ، للشيخ محمد بن حمزة الكرمانى (ت ٥٠٥ هـ) ، تحقيق : د/ شمران سركال يونس العجلي ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة - المملكة العربية السعودية ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت - لبنان .
- ٥٠ . غريب القرآن المسمى (بنزهة القلوب) ، لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني ، عني بتصحيحه وترقيمه وضبط ألفاظه : لجنة من أفضل العلماء ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .
- ٥١ . كتاب معاني القرآن ، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت ٢١٥ هـ) ، تحقيق : د/ هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .
- ٥٢ . الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، اعتنى به : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- ٥٣ . كشف المعاني في المتشابه المثاني ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة (ت ٧٣٣ هـ) ، تحقيق: ناصر علي القطامي ، آيات ، الرياض - المملكة العربية السعودية ، ١٤٣٢ هـ .
- ٥٤ . اللباب في علوم الكتاب ، لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (المتوفى بعد سنة ٨٨٠ هـ) ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، د/ محمد سعد رمضان ، د/ محمد المتولي الدسوقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

٥٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦ هـ) ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
٥٦. مختصر صحيح الإمام البخاري ، للعلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض - المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى للطبعة الشرعية الوحيدة ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
٥٧. معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ) ، تحقيق : د/ عماد الدين بن سيد آل الدرويش ، عالم الكتب ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م .
٥٨. معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، أبي إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١ هـ) ، تحقيق : د/ عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
٥٩. معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
٦٠. معجم القراءات ، د/ عبد اللطيف الخطيب ، دار سعد الدين ، دمشق - سوريا ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
٦١. المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية ، إعداد : د/ إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
٦٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة - مصر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
٦٣. المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مكتبة الشروق الدولية ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
٦٤. المفصل في صنعة الإعراب ، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨ هـ) ، تحقيق : د/ محمد محمد عبد المقصود ، د/ حسن محمد عبد المقصود ، دار الكتاب المصري ، القاهرة - مصر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

٦٥. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيهه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) ، وضع حواشيه : عبد الغني محمد الفاسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
٦٦. النكت والعيون تفسير الماوردي ، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) ، راجعه وعلق عليه : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية و مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت - لبنان .
٦٧. نكت وتنبهات في تفسير القرآن المجيد ، لأبي العباس البسيلي التونسي (ت ٨٣٠ هـ) ، تقديم وتحقيق : الأستاذ / محمد الطبراني ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية ، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م .
٦٨. النهاية في غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ، أشرف عليه وقدم له : علي بن حسن الحلبي ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ هـ .
٦٩. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق : أ.د/ عبد العال سالم مكرم ، عالم الكتب ، القاهرة - مصر ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .
٧٠. الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ) ، تحقيق : الشيخ / عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ / علي محمد معوض ، د/ أحمد محمد صيرة ، د/ أحمد عبد الغني الجمل ، د/ عبد الرحمن عويس ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

فهرس الموضوعات

٣	إهداء
٤	شكر وعرهان
٥	ملخص الرسالة
٨	المقدمة
١٣	التمهيد

٢٧	*الفصل الأول - عود الضمير على جمع ما لا يعقل في القرآن
٢٨	المبحث الأول/ ما جاء على صيغ جموع القلة مما لا يعقل في القرآن وعاد عليه الضمير
٢٨	القسم الأول: ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا فقط.
٤٢	القسم الثاني : ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا، ومفردًا مذكرًا .
٤٥	القسم الثالث : ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا ، وجمعًا مذكرًا ، وجمعًا مؤنثًا .
٤٨	المبحث الثاني/ ما جاء على صيغ جموع الكثرة مما لا يعقل في القرآن وعاد عليه الضمير
٤٨	القسم الأول : ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا فقط .
٦٨	القسم الثاني : ما عاد عليه الضمير جمعًا مؤنثًا فقط .
٦٩	القسم الثالث : ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا ، وجمعًا مؤنثًا .
٧٢	القسم الرابع : ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا ، وجمعًا مذكرًا .
٧٢	القسم الخامس : ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا ، ومفردًا مذكرًا .
٧٤	المبحث الثالث / ما جمع بالألف والتاء مما لا يعقل في القرآن وعاد عليه الضمير
٧٤	القسم الأول : ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا فقط .
٩٢	القسم الثاني : ما عاد عليه الضمير جمعًا مؤنثًا فقط .
١٠١	القسم الثالث : ما عاد عليه الضمير مفردًا مذكرًا فقط .
١٠٢	القسم الرابع : ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا ، ومفردًا مذكرًا .
١٠٧	المبحث الرابع / عود الضمير على أكثر من جمع لما لا يعقل في القرآن
٢٠٥	

- القسم الأول : عود الضمير مفردًا مؤنثًا على أكثر من جمع لما لا يعقل في القرآن ١٠٧
- القسم الثاني : عود الضمير جمعًا مؤنثًا على أكثر من جمع لما لا يعقل في القرآن ١٠٩
- ملحوظات الفصل الأول ١١٠

- *الفصل الثاني - ما جاء منوعوتا من جمع ما لا يعقل في القرآن ١١١
- المبحث الأول / ما كان على صيغ جموع القلة مما لا يعقل في القرآن وجاء منوعوتا ... ١١٢
- القسم الأول : ما جاء نعته مفردًا فقط ١١٢
- القسم الثاني : ما جاء نعته جمعًا فقط ١١٤
- القسم الثالث : ما جاء نعته مفردًا وجمعًا ١١٥
- المبحث الثاني / ما كان على صيغ جموع الكثرة مما لا يعقل في القرآن وجاء منوعوتا ... ١٢١
- القسم الأول : ما جاء نعته مفردًا فقط ١٢١
- القسم الثاني : ما جاء نعته جمعًا فقط ١٣٢
- المبحث الثالث / ما جمع بالألف والتاء مما لا يعقل في القرآن وجاء منوعوتا ١٤٢
- القسم الأول : ما جاء نعته جمعًا فقط ١٤٢
- القسم الثاني : ما جاء نعته مفردًا وجمعًا ١٤٤
- ملحوظات الفصل الثاني ١٥١

* الفصل الثالث - ما جاء منوعوتا من جمع ما لا يعقل في القرآن وعاد عليه

- الضمير ١٥٢
- المبحث الأول / ما كان على صيغ جموع القلة مما لا يعقل في القرآن ، وجاء منوعوتا ، وعاد عليه الضمير ١٥٣
- المبحث الثاني / ما كان على صيغ جموع الكثرة مما لا يعقل في القرآن ، وجاء منوعوتا ، وعاد عليه الضمير ١٥٥
- المبحث الثالث / ما جُمع بالألف والتاء مما لا يعقل في القرآن ، وجاء منوعوتا ، وعاد عليه الضمير ١٦٣
- ملحوظات الفصل الثالث ١٧٠

*الفصل الرابع - أثر مراعاة القلة والكثرة في النعت وعود الضمير على جمع ما لا

- يعقل في تفسير القرآن ١٧١
- المبحث الأول / أثر مراعاة القلة والكثرة في النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل في
معنى ١٧٣
- القسم الأول : الأثر المتعلق بعود الضمير على جمع ما لا يعقل في المعنى ١٧٣
- القسم الثاني : الأثر المتعلق بنعت جمع ما لا يعقل على المعنى ١٧٤
- القسم الثالث: الأثر المتعلق بالنعت وعود الضمير -مجتمعين معًا- على جمع ما لا يعقل في المعنى ١٧٦
- المبحث الثاني / أثر مراعاة القلة والكثرة في النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل في
الترجيح بين المفسرين ١٧٨
- القسم الأول : الأثر المتعلق بعود الضمير على جمع ما لا يعقل في الترجيح بين المفسرين ١٧٨
- القسم الثاني : الأثر المتعلق بنعت جمع ما لا يعقل في الترجيح بين المفسرين ١٨٢
- القسم الثالث : الأثر المتعلق بالنعت وعود الضمير - مجتمعين - على جمع ما لا يعقل في الترجيح بين
المفسرين ١٨٤

الخاتمة ١٨٦

الملحقات ١٩١

جدول لما جاء على صيغ جموع القلة الوارد في البحث وعدد المواضع التي ورد فيها ١٩٢

جدول لما جاء على صيغ جموع الكثرة الوارد في البحث وعدد المواضع التي ورد فيها ١٩٤

جدول لما جمع بالألف والتاء الوارد في البحث وعدد المواضع التي ورد فيها ١٩٦

قائمة المصادر ١٩٧

فهرس الموضوعات ٢٠٥

وصلى الله وسلم على نبينا محمد